الدرر الملاح في خطب المساجد

إعداد

فضيلة الشيخ ناظم بن محمد بن سلطان المساك

مكتبة الإمام الذهبي
الكويت

حُقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م

مكتبة الإمام الذهبي
الكويت

حولي – شارع المثنى – ص.ب: ١٠٧٥ الرمز البريدي: 32011

هاتف : ٢٦٥٧٨٠٦ – فاكس: ٢٦١٢٠٠٤

الدرر اللاح في خطب المساجد

إعداد

فضيلة الشيخ ناظم بن محمد بن سلطان المساح

مكتبة الإمام الذهبي
الكويت

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحْمَدُهُ، ونَستعينُهُ، ونَستغفرُهُ، ونَعوذُ باللهِ من شُرورِ أَنْفُسِنَا، ومن سيئاتِ أعمالِنا، من يَهْدِهِ اللهُ فَلا مُضِلَّ له، ومن يُضْلِلْ فلا هاديَ لهُ، وأشهدُ أنْ لاَّ إله إلا اللهُ وحده لا شريكَ لهُ، وأشهدُ أنَّ مُحمَّداً عبدُهُ ورسولهُ.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ (آل عمران).

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴿١﴾ ﴾ (النساء).

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴿٧١﴾ ﴾ (الأحزاب).

أمَّا بعدُ:

فإنَّ أصدقَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وأحسنَ الهَدْيِ هَدْيُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأُمورِ مُحْدَثَاتُها، وكُلَّ مُحْدَثَةٍ بدعةٌ، وكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ، وكلَّ ضَلالَةٍ في النارِ.

إليكَ أيُّها القارئُ ـ بارك اللهُ فيكَ ـ مجموعةً من الخُطَبِ في أُمورٍ مُتفرِّقَةٍ، أَلقيتُها في بعضِ مساجدِ دولتِنا «الكويت» حفظَها اللهُ، وجميعَ ديارِ الإسلامِ العزيزةِ من كلِّ شرٍّ ومكروهٍ، وهذه الخُطَبُ أُذيعَتْ مُباشَرةً عَبْرَ التلفزيون

والإذاعة، بَذَلْتُ فيها ما تَيَسَّرَ من الجَهْدِ، وأحببتُ أنْ تكونَ في مُتناولِ طالبِ العلمِ، حتَّى تَعُمَّ بها الفائدةُ، ويَزْدَادَ الثَّوَابُ والأجرُ بذلك.

وقد اختار لهذه الخطب بعضُ طلبةِ العلم منْ إخواننا اليمنيين الأخ عبدالملك قاسم حميد العشاري العنوان: «الدررُ الملاحُ في خطبِ المسباح» بعد أن راجعها معي فأجبتهُ على ذلك.

نسألُ الله الواحدَ الأحدَ أنْ يجعلَ لها قبولاً عندَ عبادِه، وأنْ يُعينَنا وجميعَ المسلمين على العملِ بما نقولُ ونَسْمَعُ من الحقِّ.

وَلَقَدْ رَاعَيْتُ عندَ إعدادِ هذه الخُطَبِ التالي:

١ ـ كثرةَ الأدلةِ من الكتابِ والسنةِ، لأنَّ أثرَ هَذَيْنِ الوَحْيَينِ على القلوب عظيم، وذلك لما يحويان منْ نورٍ، وأحكامٍ مُحْكَمَةٍ، وعباراتٍ بليغةٍ جامعةٍ.

٢ ـ الحرصَ عَلَى إيرادِ ما صحَّ عن النبيِّ ﷺ واجْتِنَابَ الأحاديثِ الضَّعيفةِ والموضوعةِ حتَّى ولو كانت في جانبِ التَّرغيبِ والتَّرهيبِ وفضائلِ الأعمالِ، ففي مَا صَحَّ عنِ المصطفى ﷺ غُنْيَةٌ وَكِفَايَةٌ.

٣ ـ إيرادَ آثارِ السلفِ الصالحِ في فهمِ هذين الوَحْيَيْنِ، فهُمْ خيرُ القُرونِ، فأفهامُهم صحيحةٌ، وأعمالُهم سديدةٌ، وقُلُوبُهم سَليمةٌ، وصَدقَ ابنُ عُمَرَ حين قالَ: «مَنْ كَانَ مُسْتَناً فَلْيَسْتَنَّ بِمَنْ قد ماتَ، أولئكَ أصحابُ محمدٍ ﷺ كانوا خيرَ هذه الأمةِ، أبَرَّها قُلُوباً، وأعمَقَها علماً، وأقلَّها تَكَلُّفاً، قَوْمٌ اختَارَهُمُ اللهُ لصُحبةِ نَبِيِّهِ ﷺ كانوا على الهُدَى المستقيم واللهِ ربِّ الْكَعْبَةِ.

٤ ـ تطعيمَ هذه الخُطبِ ببعضِ أبياتٍ مِنَ الشِّعْرِ المؤثِّرِ، فالشعرُ وَقْعُهُ عظيمٌ على القلوبِ لا يُنْكَرُ، كما هو وسيلةٌ منْ وسائلِ الإعلامِ، لذلك أقرَّ النبيُّ ﷺ في دعوتِه استخدامَ الشعرِ قال ابنُ سيرينَ: كانَ شعراءُ رسولِ اللهِ ﷺ عبدَاللهِ بن رَوَحَةَ، وحَسَّانَ بن ثابتٍ، وكَعْبَ بنَ مَالِكٍ.

وعن عائشةَ أُمِّ امؤمنين ـ رضيَ اللهُ عنها ـ قالتْ: كان النبيُّ ﷺ يَضَعُ لحسانَ منبراً في المسجدِ يقومُ عليهِ قائماً، يُفَاخِرُ عنْ رسولِ اللهِ ﷺ أو قالتْ: يُنَافِحُ عنْ رسولِ اللهِ ﷺ ويقولُ رسولُ اللهِ ﷺ: «إنَّ اللهَ يؤيِّدُ حسَّانَ بروحِ القُدسِ، ما يُفاخِرُ أو يُنافِحُ عنْ رسولِ اللهِ ﷺ» (صحيح الترمذي ٢٢٨٢).

وعن أَنَسٍ قال: دخلَ النبيُّ ﷺ، مكةَ في عُمْرَةِ القَضَاءِ، وابنُ رَوَاحَةَ بينَ يَدَيْهِ يقولُ:

خَلُّوا بَنِي الكُفَّارِ عَنْ سَبِيْلِهِ
اليومَ نَضرِبُكُم على تَنْزِيْلِهِ
ضَرْباً يُزيلُ الهَامَ عنْ مَقِيْلِهِ
ويُذْهِلُ الخَلِيْلَ عنْ خَلِيلِهِ

فقالُ عمرُ: يا ابن رواحة! في حَرَمِ اللهِ وبين يَدَيَّ رسولِ اللهِ ﷺ تقولُ الشعرَ؟ فقالَ النبيُّ ﷺ: «خَلِّ يا عُمَرُ، فَلَهِيَ أسرعُ فيهم من نَضْحِ النَّبْلِ»، وفي لفظٍ: «فَوالذي نفسي بِيَدِهِ، لَكَلامُهُ عليهم أشَدُّ منْ وَقْعِ النَّبْلِ» (صحيح الترمذي ٢٢٨٣).

٥ ـ راعيتُ ـ قدرَ الاستطاعةِ المقامَ الذَّي ألقيتُ هذه الخُطَبَ منه : «التلفزيون والإذاعة» فَلُكُلِّ مقامٍ مقالٌ، فليس كلُّ ما يَعْتَقِدُهُ الخطيبُ وَيَعْرِفُهُ وَيُرِيدُهُ يقالُ.

٦ ـ حاولتُ أنْ أختارَ المواضيعَ التي تُعَالِجُ واقِعَاً قائماً ـ قَدْرَ الاستطاعةِ ـ فاختيارُ موضوعِ الخطبة أَثَرُهُ عظيمٌ في شدِّ المستمعينَ لها.

٧ ـ وراعيتُ أيضاً تَرْتِيْبُ موضوعِ الخطبةِ على نقاطٍ منسَّقةٍ ومرتَّبةٍ، وعرضتُ هذه النقاطَ في مقدمةِ الخُطْبَةِ، حتَّى يأخذَ المستمعُ فِكرَةً مُجْمَلَةً عمَّا سَيُقَالُ في هذه الخُطْبَةِ، ثمَّ بعد ذلك قُمتُ بالحديثِ عَنْ كلِّ نقطةٍ بشيءٍ منْ التفصيلِ.

٨ ـ حاولتُ أَنْ تكونَ هذه الخُطَبُ قَصِيْرةً اتِّبَاعاً لسنَّةِ المصطفى ﷺ القائلِ: «إنَّ طُولَ صَلاةِ الرجلِ، وَقِصَرَ خُطْبَتِهِ مئنة منْ فِقْهِهِ» (أخرجهُ مسلمٌ عن عمار بن ياسر رضي اللهُ عنهُ) أي: مِمَّا يُعْرَفُ بِهِ فِقْهُ الرجلِ، وَكلُّ شيءٍ دَلَّ عَلىٰ شَيءٍ فهُوَ مِئْنَّةٌ لَهُ. الألباني.

أَيُّهَا القارئُ: مَا قدمناهُ لكَ لاَ يَعْدُ أَنْ يكونَ جُهْداً بَسِيْطاً لِخدمةِ هذا الدينِ العظيمِ نسألُ اللهَ أَنْ يَتَقَبَّلَهُ منَّا، وأَنْ يجعلَ لَهُ القَبُولَ عِنْدَ النَّاسِ إِنَّهُ وَلِيُّ ذَلِكَ والقَادِرُ عليهِ وصلى اللهُ على نبينا مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ.

كتبه

أبو محمد

ناظم بن محمد بن سلطان المسباح

٢٩ من محرم ١٤٢٤هـ الموافق ١ أبريل ٢٠٠٣م

الكويت

بسم الله الرحمن الرحيم

التَّقوى، حُكْمُها، تعريفُها، فضلُها، سُبُلُ تحصيلِها

الخُطبةُ الأولى:

يعتني النَّاسُ مِنَ الذكورِ والإناثِ بلباسِهم، وهذا أمرٌ مشروعٌ والحمدُ للهِ، قال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ (الآعراف: ٣١)، وقال تعالى: ﴿وَلاَ تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ (القصص: ٧٧)، وقَدْ يُسْرِفُ بعضُ الناسِ في ذلك فَتُنْفَقَ أموالٌ طائلَةٌ، وهذا مذمومٌ.

عن عمرو بنِ شعيبٍ عن أبيه عن جدِّه قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «كُلُوا وَاشْرَبُوا، وَتَصَدَّقُوا، وَالْبَسُوا، مَا لَمْ يُخَالِطْ إِسْرَافٌ وَلاَ مَخِيلَةٌ» أخرجَهُ أحمدُ وابنُ ماجه بإسنادٍ حسنٍ.

وَيَغْفَلُ كثيرٌ مِنَ الناسِ عنْ أفضلِ وأسمَى لباسٍ يَتَزَيَّنُوْنَ بِهِ أمامَ اللهِ وأمامَ عبادِهِ، وهذا اللباسُ الذي غَفِلَ عَنْهُ الناسُ هُوَ لِبَاسُ التَّقوى.

قَالَ الشاعرُ:

إِذَا الْمَرْأُ لَمْ يَلْبَسْ ثِيَاباً مِنَ التُّقَى
تَقَلَّبَ عُرْيَاناً وَإِنْ كَانَ كَاسِيَاً
وَخَيْرُ لِبَاسِ الْمَرْءِ طَاعَةُ رَبِّهِ
وَلاَ خَيْرَ فِيمَنْ كَانَ لِلَّهِ عَاصِيَاً

(*) اختصاراً للكتاب، وتجنباً للتكرار حذفت مقدمات الخطب والدعاء في آخرها، لذلك سترى أني أدخلُ في الموضوع مباشرة.

وأحسنُ من ذلك قولُهُ سبحانَهُ:

﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ (الأعراف: ٢٦).

فأجملُ لباسِ المرءِ لباسُ التقوى.

عِبادَ الله:

موضوعُ خُطْبَتِنَا فِي يومِنا هذا يدورُ حول «التقوى» والحديثُ عن التقوى يطولُ، ولكنْ أحاولُ أنْ أَخْتَصِرَ الموضوعَ بما يَتَّسِعُ الوقتُ لَهُ، وسأتناولُ النِّقَاطَ الآتيةَ إنْ شاءَ اللهُ تَعَالَى:

أولاً: تعريفُ التَّقْوَى.

ثانياً: حُكْمُهَا الشَّرْعِيُّ.

ثالثاً: فَضْلُهَا.

رابعاً: كَيْفَ نَكُوْنُ مِنَ الأَتْقِيَاءِ.

خامساً: تقوى اللهِ تكونُ في السِّرِ وَالْعَلَنِ.

سادساً: إضافاتُ التقوى ومعناها.

سابعاً: ميزانُ التفاضُلِ بينَ الناسِ بالتقوى.

أولاً: تعريفُ التقوى:

والتقوى في اللغةِ: اتخاذُ وِقَايَةٍ وَحَاجِزٍ يَمْنَعُكَ وَيَحْفَظُكَ مِمَّا تَخَافُ مِنْهُ

وَتَحْذَرُهُ، وتقوى الله عزَّ وَجَلَّ يُعَرِّفُهَا ابْنُ رَجَبٍ: «بأَنْ يجعلَ العبدُ بينَهُ وبينَ مَا يخشاهُ منْ ربِّهِ ومِنْ غضبِهِ وَسَخَطِهِ وَعِقَابِهِ وَقَايَةً تَقِيْهِ منْ ذَلِكَ، وَهُوَ فِعْلُ طَاعَاتِهِ واجْتِنَابُ مَعَاصِيْهِ»، وللسلفِ في تفسيرِ التقوى أقوالٌ كثيرةٌ منها: «أَنْ يُطَاعَ فَلاَ يُعْصَى، وَيُذْكَرَ فَلاَ يُنْسَى، وَيُشْكَرَ فَلاَ يُكْفَرَ».

قالُ الراغبُ الأصفهانيُّ: التقوى جَعْلُ النفسِ في وقايةٍ، مِمَّا يَخَافُ، وهذا تحقيقُهُ، ثم يُسَمَّى الخوفُ تارةً تقوى، والتقوى خوفاً حسبَ تسميةِ مُقْتَضَى الشيءِ بِمُقْتَضِيهِ، والمقتضِي بِمُقْتَضَاهُ، وصارتِ التقوى في تَعَارِيْفِ الشرعِ حِفْظِ النفسِ عَمَّا يُؤثِمُ وذلك بِتَرْكِ المحظورِ.

ويدخلُ في تقوى اللهِ فِعْلُ الواجباتِ وَتَرْكُ الْمُحَرَّمَاتِ، وهذه تقوى واجبةٌ على العبدِ لابدَّ من تحقيقِها، كَمَا يَدخلُ في التقوى فِعْلُ الْمُسْتَحَبَّاتِ، وَتَرْكُ المكروهاتِ، وهذا يُؤَدِّي إلى كمالِ تحقيقِ التَّقْوَى، قَالَ تَعَالَى: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝٥﴾ (البقرة).

ثانياً: الْحُكْمُ الشَّرْعِيُّ: التقوى هي غايةُ الدِّيْنِ، وأصلُ كلِّ خيرٍ وفضيلةٍ، وهي واجبةٌ شرعاً.

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ...﴾ (الأحزاب: ١).

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝٢٧٨﴾ (البقرة).

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ① يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ② ﴾ (الحج).

فالوصيةُ بالتقوى وصيةٌ عظيمةٌ، وهي وصيةُ اللَّهِ للأوَّلينَ والآخِرينَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ ﴾ (النساء: ١٣١).

وكان رسولُ الله ﷺ يبدأُ أكثرَ خُطَبِهِ بتذكيرِ الناسِ بتقوى الله عَزَّ وَجَلَّ ففي خُطْبَةِ الحاجةِ كانَ يَقْرَأُ الآياتِ الآتيةَ:

قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ (آل عمران)، وقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ① ﴾ (النساء)، وقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ⑦⓪ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ⑦① ﴾ (الأحزاب).

ثالثاً: فَضْلُ التقوى

وَرَدَتْ نُصُوصٌ كَثِيرَةٌ في الكتابِ وَالسُّنَّةِ الْمُطَهَّرَةِ تُبَيِّنُ فَضْلَ التقوى، وإليك بعضاً منها:

١ ـ الْجَنَّةُ يَرِثُهَا الْمُتَّقُونَ قال تعالى: ﴿ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ⑥③ ﴾ (مريم).

٢ ـ التقوى سببٌ لمحبة الله للعبد، قال تعالى: ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾ ﴾ (آل عمران).

٣ ـ فتحُ بركاتِ السمواتِ والأرضِ للمُتَّقين. قال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ (الأعراف: ٩٦).

٤ ـ مَعِيَّةُ اللهِ مَعَ الْمُتَّقين قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ (النحل).

٥ ـ تَيْسِيرُ الأُمُورُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ بتقوى اللهِ، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴾ (الطلاق: ٤).

٦ ـ خيرُ زادِ العبدِ في الدُّنيا والآخِرَةِ التقوى قال تعالى: ﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ ﴾ (البقرة: ١٩٧).

٧ ـ الْعَاقِبَةُ الطَّيِّبَةُ في الدُّنْيَا والآخِرَةِ لِلْمُتَّقين قال تعالى: ﴿ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (الأعراف: ١٢٨).

رابعاً: النَّاسُ يَتَفَاضَلُوْنَ عِنْدَ اللَّهِ بالتقوى لا بِالأَحْسَابِ:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾ (الحجرات).

وقيلَ يا رسولَ اللهِ مَنْ أكرمُ الناسِ؟ قالَ: «أَتْقَاهُمْ».

أخرجَهُ الشيخانِ عن أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقالَ النَّبيُّ ﷺ لأبي ذرٍّ: «انْظُرْ، فَإِنَّكَ لستَ بخيرٍ من أحمرَ ولا أسودَ إلاَّ أَنْ تَفْضُلَهُ بالتقوى». حديثٌ حسنٌ أخرجَهُ أحمدُ في مُسْنَدِهِ عن أبي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قَالَ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لاَ يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ» أخرجَهُ مُسْلِمٌ عن أبي هُريرةَ.

قَالَ شاعرُ الزهدِ والحكمَةِ «أبوالعَتَاهِيَة»:

أَلاَ إِنَّمَا التَّقْوَى هِيَ الْعِزُّ وَالْكَرَمْ
وَحُبُّكَ لِلدُّنْيَا هُوَ الذُّلُّ وَالنَّدَمْ
وَلَيْسَ عَلَى عَبْدٍ تَقِيٍّ نَقِيْصَةٌ
إِذَا صَحَّحَ التَّقْوَى وَإِنْ حَاكَ أَوْ حَجَمْ

خامساً: تَقْوَى اللَّهِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَنِ:

عن أبي ذَرٍّ جُنْدُبَ بن جُنَادَةَ وأبي عبدالرَّحمنِ مُعاذُ بن جبلٍ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ» رواهُ التِّرمذيُّ.

قوله ﷺ: «اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتُ» يعني اتَّقِ اللَّهَ فِي السِّرِّ حَيْثُ لاَ يَرَاكَ أَحَدٌ، وفي الْعَلَنِ حَيْثُ يَرَاكَ الناسُ، لأنَّ اللَّهَ مُرَاقِبٌ لجميعِ الأعمالِ والأقوالِ والأحوالِ، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُم رَقِيْباً﴾ (النساء: ١) وقال ابنُ كثيرٍ: وهذا إرشادٌ وأمْرٌ بمراقبةِ الرَّقيبِ».

إنَّ عَدَمَ مُراقبةِ اللهِ في السِّرِّ علامَةٌ على مَرَضِ القلبِ، وهذا هو فِعْلُ المنافقين، لذلك أنكرَ اللهُ عليهم حيثُ إنَّهُم يَسْتَخْفُوْنَ بِقَبَائِحِهِمْ من الناسِ لِئَلاَّ يُنْكِرُوا عليهم، ويُجَاهِرُوْنَ اللهَ بِهَا، وهو مُطَّلِعٌ على السرائرِ، عالِمُ مَا في الضمائرِ قال تعالى: ﴿يَسْتَخْفُوْنَ مِنَ النَّاسِ وَلاَ يَسْتَخْفُوْنَ مِنَ اللَّهِ﴾ (النساء: ١٠٨).

لذلكَ قالَ بعضُ الصالحين: «اتَّقِ اللَّهَ أَنْ يَكُوْنَ أَهْوَنَ النَّاظِرِيْنَ إِلَيْكَ».

وقالَ أبوسليمان: إنَّ الخاسرَ مَنْ أبدَى للناسِ صالِحَ عَمَلِهِ، وبَارَزَ بالقبيحِ مَنْ هُوَ أَقْرَبُ إليه من حَبْلِ الْوَرِيْدِ!!. وقالَ بَعضُهم: تقوى اللهِ في السِّرِّ علامةُ كمالِ الإيمانِ.

الخُطبةُ الثانيةُ:

سادساً: كيفَ نَكونُ منَ الأتقياءِ؟:

١ ـ الدُّعَاءُ: علينا أن ندعُوَ اللهَ بقلوبٍ صادقةٍ أنْ يَرْزُقَنَا التَّقْوَى.

٢ ـ مُجَاهَدَةُ النفسِ في طاعةِ اللهِ، فالطاعةُ سببُ حُصولِ التقوى.

﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٧٩)﴾ (البقرة)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٨٣)﴾ (البقرة).

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُم لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢١)﴾ (البقرة).

٣ ـ مُجَاهَدَةُ النفسِ بِتَرْكِ الْمُوبِقَاتِ مِنْ الشِّرْكِ، وَالسِّحْرِ، وَالزِّنَى، وَالرِّبَا، وعقوقِ الوالدين، وقطيعةِ الأرحامِ، والغِشِّ، والخيانةِ، واللِّواطِ، وَالظُّلْمِ.

قال عليُّ بنُ محمدٍ البسامي:

وَإِذَا بَحَثْتَ عَنِ التَّقِيِّ وَجَدْتَهُ
رَجُلاً يُصَدِّقُ قَولَهُ بِفِعَالِ

وَإِذَا اتَّقَى اللَّهَ امْرُؤٌ وَأَطَاعَهُ
فَيَدَاهُ بَيْنَ مَكَارِمٍ وَفَعَالِ

وَعَلَى التَّقِيِّ إِذَا تَرَاسَخَ فِي التُّقَى
تَاجَانِ: تَاجُ سَكِينَةٍ وَجَمَالِ

وَإِذَا تَنَاسَبَتِ الرِّجَالُ فَمَا أَرَى
نَسَبَاً يَكُونُ كَصَالِحِ الأَعْمَالِ

بسم الله الرحمن الرحيم

الأمَانةُ

الخُطبةُ الأولى:

في يوم السبت القادم الخامس من شهر يوليو - إنْ شاءَ اللهُ تعالىٰ - سَيَتَوَجَّهُ الناخِبونَ في كويتِنا العزيزة - حفظها اللهُ مِنْ كلِّ مكروهٍ - إلىٰ صناديقِ الاقتراعِ للمشاركةِ في اختيارِ مَنْ يُمَثِّلُهُم في السُّلطةِ التشريعيةِ لمجلسِ تِسْعٍ وتِسْعِيْنَ وَتُسْعْمائةٍ وَأَلْفٍ، وحولَ هذا الأمرِ أُذَكِّرُكُم عبادَ اللهِ بالتالي:

أولاً: علينا أن نشكرَ اللهَ على مَا نحنُ فيهِ مِنْ حريةٍ ومن مُشاركةٍ في اتِّخاذ قراراتنا السياسية، والتربويةِ والاجتماعيةِ والاقتصاديةِ وغيرها، قال تعالى: ﴿وأمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ (الشورى: ٣٨) وقال تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ في الأَمْرِ﴾ (آل عمران: ١٥٩) والشكرُ يكونُ في القلبِ واللسانِ والأعمالِ، قال تعالى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيْدَنَّكُمْ﴾ (إبراهيم: ٧) وقال سبحانه: ﴿اعْمَلُوا آلَ داودَ شُكْراً..﴾ (سبأ: ١٣) كما ينبغي شكرُ الدولةِ والثناءِ عليها على أتاحةِ فرصةِ المشاركةِ الشعبيةِ في إدارةِ شؤونِ البلادِ، فجزى اللهُ المسؤولين في الدولةِ عناً خيرَ الجزاءِ، وأعانهمُ على إقامةِ حُقوقِ اللهِ في أرضهِ، وإقامةِ حُقوقِ عبادهِ.

ثانياً: يجبُ علينا أنْ نهتدي بنُورِ الوَحْيَيْنِ في اختيارِ النوابِ، فَدِينُنا الحنيفُ مَا مِنْ أمرٍ يُقَرِّبُنَا إلى اللهِ سبحانهُ، ويُسْعدنا في الدارين إلا دلَّنا عليه، وما مِنْ أمرٍ يُبْعِدُنا عن ربِّنا، ويَضُرُّنا، ويُعرِّضُنا للبوارِ والخسرانِ والشقاءِ إلاَّ

وحذَّرنا منه، قال تعالى حاكياً عن إحدى ابنتي الرجلِ الصالحِ في مدين ﴿ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ ﴿٢٦﴾ ﴾ (القصص).

ففي الآيةِ أُسُسُ الاختيارِ لتولِّيةِ المناصبِ في الدولةِ.

الأساسُ الأولُ: القوةُ وتَعْني العِلمَ والفهمَ والدرايةَ في أمورِ الحياةِ وحُسْنِ التَّصرُّفِ في المواقفِ المختلفةِ بما يعودُ على البلادِ والعبادِ بالنفعِ. ولكُلِّ منصبٍ مُواصفاتهُ فعملُ النائبِ كما حدَّدهُ الدستورُ المراقبةُ والمحاسبَةُ والتشريعُ والتشريعُ لابدَّ أنْ يكونَ بحدودِ الشريعةِ.

وحكى اللهُ لنا في كتابهِ العزيزِ عنْ عزيزِ مصْرَ عندما عَلِمَ أنَّ بلادهُ ستتعرَّض إلى أزمةٍ اقتصاديةٍ عنيفةٍ ورأى يوسفَ عليه السلام المنقَذ للبلادِ من الضياعِ بادرَ عزيزُ مصْرَ في توليته وزارةَ الاقتصادِ قال سبحانه: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ (يوسف).

فيوسفُ عليه السلام عندما عرضَ عليه عزيزُ مصْرَ الولايةَ، اختارَ ما يناسبه ومَا يستطيعُ أنْ يقومَ بهِ على الوجهِ المطلوبِ، لذلك قال: ﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ ﴾ (يوسف) أي عندي من العلمِ ما يُمَكِّنُني من القيامِ بمهمتي في إدارةِ شؤونِ البلادِ اقتصادياً.

الأساسُ الثاني: في اختيارِ النائبِ: أنْ يكونَ أميناً عفيفاً معروفاً بين الناسِ بأمانته، أو يشهدُ لهُ الثقاتُ في ذلك، وإليكم ما تيسَّر منْ نُصوصِ كتابِ ربِّكُمْ وسنَّةِ نبيِّكُمْ ﴿وَالذِّكْرَىٰ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾﴾ (النساء).

أيُّها المسلمُ الكريمُ: فالادلاءُ بالصوتِ من الأمانةِ، التي حَمَلْتَهَا، وربُّكَ الذي خلقك فسوّاك فعَدَلَك يأمرُكَ بإعطائه من يستحقُّ فارع الأمانةَ بارك اللهُ فيك.

أرعى الأمَانةَ لا أخُونُ أمَانَتِي

إنَّ الخَؤونَ عَلَى الطَّرِيقِ الأنْكَبِ

فيجبُ علينا أنْ نختارَ مَنْ يصلحُ لهذه المهمَّةِ العظيمةِ.

وقال آخر:

إذا أنْتَ حَمَّلْتَ الخؤونَ أمانةً

فإنَّك قدْ أسْنَدتَها شرَّ مُسْنَدِ

وقالَ تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ (الأنفال).

ولقد أثنى اللهُ سبحانهُ على مَنْ حفظَ الأمانةَ، وكتبَ لهُ الفلاحَ في الدُّنيا والآخرةِ قال سبحانه: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾﴾ إلى أن قال: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾﴾ (المؤمنون).

وقال سبحانه: ﴿فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾ (البقرة: ٢٨٣). فأداءُ الأمانةِ واجبٌ، وهو مِنْ تقوى اللهِ عزَّ وجلَّ.

هذا ما تيسَّر من نصوصِ الكتابِ العزيزِ، أمَّا مَا ثبت في سنةِ المصطفى ﷺ في الحثِّ على أداءِ الأمانةِ والترغيبِ في ذلك والترهيبِ من نَقْضِها فكثيرٌ جداً.

١ ـ عن أبي هريرة ـ رضيَ اللهُ عنهُ ـ قال: قال رسولُ اللهُ ﷺ: «أدِّ الأمانةَ إلى مَنِ ائْتَمَنَكَ، ولا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ» أخرجهُ أبو داودَ وغيرُهُ.

فأداءُ الأمانةِ مِنْ واجباتِ الدِّيْنِ والخيانةُ من الْمُحَرَّمات.

أيُّها المسلمون: بَيَّنَ ﷺ أنَّ إسنادَ الأمورِ إلى غيرِ الأكفاءِ في إدارة شؤونِ البلادِ والعبادِ ضياعٌ للأمانةِ التي أمرنا اللهُ سبحانه بحفظها.

عن أبي هريرة ـ رضي اللهُ عنهُ ـ قال: بينما النبيُّ ﷺ في مجلسٍ يُحَدِّثُ القومَ جاء أعرابي فقال: متى الساعةُ؟ فمضى رسولُ الله ﷺ يُحَدِّث. فقال بعضُ القومِ: سمعَ ما قال فكره ما قال، وقال بعضُهم: بل لم يسمعْ. حتَّى إذا قضى حديثَهُ قال: «أين أراهُ السائلُ عن الساعةِ؟» قال: هَا أنا يا رسولَ الله. قال: فإذا ضُيِّعَتِ الأمانةُ فانتظرِ الساعةِ». قال: كيف إضاعتها؟ قال: «إذا وُسِّدَ الأمْرُ إلى غيرِ أهلهِ فانتظرِ الساعةِ» البخاري.

كما بيَّنَ رسولُ اللهِ ﷺ بأنَّ إيمانَ العبدِ لا يَكْمُلُ ولا يستقيمُ إلاَّ بأداءِ الأمانةِ.

قال ﷺ: «لا إيمانَ لمنَ لا أمانةَ لهُ، ولا دينَ لمنْ لا عهدَ لهُ» أخرجهُ مسلمٌ عن أبي بردة رضيَ اللهُ عنهُ.

وكان رسولُ الله ﷺ لا يجاملُ أحداً في تولية الولايات، لأنَّ المجاملةَ في تولية المناصبِ تكونُ على حسابِ الناسِ وضياع حقوقهم وتدهورِ أمورِهم واضطرابِها.

عن أبي ذر ـ رضيَ اللهُ عنهُ ـ قال: قلتُ: يا رسولَ الله، ألا تَسْتَعْمِلُنِي؟ قال: فضربَ بيدِه على مَنْكبي. ثم قال: يا أبا ذر إنَّك ضعيفٌ، وإنَّها أمانةٌ، وإنَّها يومُ القيامةِ خزيٌ وندامةٌ، إلاَّ مَنْ أخذها بحقها وأدَّى الذي عليه فيها» أخرجهُ مسلمُ.

أيها المسلمون: أبو ذرٍ رضيَ اللهُ عنهُ صحابيٌّ جليلٌ قال ﷺ في مناقبهِ وفضلهِ: «ما أظلَّت الخضراءُ، ولا أقلَّتِ الغبراءُ، من ذي لهجةٍ أصدقَ من أبي ذر رضي اللهُ عنهُ» رواهُ أحمدُ والترمذيُّ (صحيحُ الجامع) عن ابن عمرو.

فالرسولُ ﷺ لم يستعملهُ لأنَّ التدينَ والطيبةَ شيءٌ، والقيادةَ وفنَّها شيءٌ، وقد يجتمعان في المرءِ وقد لا يجتمعان.

كما بيَّنَ ﷺ أنَّ من علاماتِ النفاقِ تضييعُ الأمانةِ فعلى المسلمِ أنْ يحذرَ من التشبهِ بالمنافقين قال ﷺ: «آيةُ المنافقِ ثلاثٌ: إذا حدَّث كذبَ وإذا وَعَدَ أخْلفَ، وإذا ائْتُمِنَ خانَ» (أخرجهُ البخاريُّ ومسلمٌ عن أبي هريرة رضيَ اللهُ عنهُ).

وزادَ مسلمٌ في روايةٍ لهُ: «وإنْ صلَّى وصامَ وزعمَ أنَّهُ مسلمٌ».

أيُّها المسلمون: حثَّنا الصادقُ المصدوقُ ﷺ على التبصرِ والتأملِ في تولية الرجالِ المناصبَ وخاصةً في آخرِ الزمانِ، حيثُ تقلُّ الأمانةَ في الناسِ.

وعن حذيفةَ رضيَ اللهُ عنهُ قال: حدَّثنا رسولُ الله ﷺ أنَّ الأمانةَ نزلت في جذرِ قلوبِ الرجالِ، ثم نزلَ القرآنُ، فعلموا من القرآن، وعلموا من السنةِ، ثمَّ حدَّثنا عن رفعِ الأمانةِ، فقال: ينامُ الرجلُ النومةَ، فتقبضُ الأمانَة من قلبهِ فيظلُّ أثرُها مثل الوكت، ثم ينامُ الرجلُ فتقبضُ الأمانةُ من قلبه فيظلُّ أثرُها من أثر المجلِ كجمرٍ دحرجته على رجلك فنفط، فتراهُ منتبراً، وليس فيه شيءٌ ثم أخذ حصاة فدحرجها على رجلهِ فيصبحُ الناسُ يتبايعون لا يكادُ أحدٌ يؤدِّي الأمانةَ حتى يُقال: إنَّ في بني فلان رجلاً أميناً، حتى يُقال للرجلِ: ما أظرفه ما أعقله، وما في قلبه مثقال حبةٍ من خردلٍ من إيمانٍ. رواهُ مسلمٌ وغيرهُ.

الجذرُ: هو أصلُ الشيء.

والوكتُ: هو الأثرُ اليسيرُ.

المجلُ: هو تنفطُ اليدِ من العملِ وغيره.

عن عمران بن حُصين رضيَ اللهُ عنهما عن النبيِّ ﷺ قالَ: «خيرُكم قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثمَّ يكونُ بعدَهم قومٌ يشهدون ولا يُستشهدون، ويخونون ولا يُؤتمنون، ويُنذرون ولا يُوفون، وتظهرُ فيهم السِّمَنُ» رواه البخاريُّ ومسلمٌ.

أيها المسلمون: إنَّ عدمَ إعطاء الصوتِ لمن يستحقُّ ضياعٌ للأمانةِ التي أمرنا بحفظها، وخيانةٌ للهِ ولرسوله ﷺ والمسلمين ونعيذُ أنفسنا بالله جميعاً من ذلك.

عن ابن عباس رضيَ اللهُ عنْهُما قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «مِنْ استعملَ رجلاً من عصابةٍ، وفيهم من هو أرضى للهِ منه، فقد خان اللهَ ورسولَه والمؤمنين» رواهُ الحاكمُ من طريق حسين بن قيس عن عكرمة عنه، وقال: صحيح الإسناد.

أيها المسلمون:

أن الصوتَ الذي ستُدلي به يوم السبت شهادةٌ فإنْ كانتْ للمستحقِّ برأت ذمَّتُك والحمدُ للهِ وإنْ كانت لغيرِ الْمُستحقِّ فهي شهادةُ زورٍ أسأل اللهَ أن يحفظَ الجميعَ منها.

عن أبي بكرة رضيَ اللهُ عنه قال: كنَّا عندَ رسولِ اللهِ ﷺ فقال: «ألا أُنَبِّئُكُم بأكبرِ الكبائر ثلاثاً: الإشراكُ باللهِ، وعقوقُ الوالدين وشهادةُ الزورِ، ألاَ وشهادةُ الزورِ، وقولُ الزورِ، وكانَ متكئاً فجلسَ، فما زال يُكَرِّرُها حتَّى قُلنا: ليته سكت. رواهُ البخاريُّ ومسلمٌ والتِّرمذيُّ.

وعن أنسٍ رضيَ اللهُ عنهُ قال: ذكرَ رسولُ اللهِ ﷺ الكبائرَ فقالَ: الشركُ باللهِ، وعقوقُ الوالدينِ، وقتلُ النفسِ، وقال: ألا أُنَبِّئُكُم بأكبرِ الكبائر؟ قول الزورِ، أو قال: شهادةُ الزورِ. رواهُ البخاريُّ ومسلمٌ.

أيُّها المسلمون:

خَوْفُ المسلمِ من ربِّه، وحُبُّه لوطنهِ يدعوه إلى الحرصِ على تولية الأمناءِ الأخيارِ الأقوياء أهل الكفاءةِ والدرايةِ.

ولقد تَغنَّى الشُّعراءُ بِحُبِّ الوطنِ:

مَـــوْطـــنُ الإنـــســـانِ أمٌّ فـــإذا

عـــقَّـــهُ الإنـــســـانُ يـــومـــاً عَـــقَّ أمَّـــهُ

وَقَالَ آخَرُ:

بِـــلادِي وإنْ جَـــارتْ عَـــلَـــيَّ عـــزيـــزةٌ

وأهْـــلِـــي وإنْ ضـــنُّـــوا عَـــلَـــيَّ كـــرامُ

وَقَالَ آخَرُ:

إذَا عَـــظَّـــم الـــبـــلادَ بـــنُـــوهـــا

أنْـــزَلَـــتْـــهُـــمْ مَـــنَـــازلَ الإجْـــلالِ

تـــوَّجَـــتْ هَـــامَـــهُـــم كَـــمَـــا تَـــوَّجُـــوهَـــا

بِـــكَـــرِيمٍ مِـــنَ الـــثَّـــنَـــاءِ وغَـــالِ

الخطبة الثانية

أيُّها الإخوةُ:

الكويتُ عزيزةٌ في قلوبِكم الكريمةِ، فهي الموطِنُ (موطنُ الإنسان أمٌّ لهُ) ومن حقِّها عليكم، أنْ تنتقُوا لهَا أفضلَ وأسمَى ما عندَكُمْ من رجالٍ كي يواصلوا مسيرةَ الخيرِ والإصلاحِ والتقوى والصلاحِ والرقيِّ والتقدمِ في جميعِ الأمورِ.

إنَّ أثرَ الرجالِ عظيمٌ في حياةِ الأممِ فبهم بعدَ اللهِ العزُّ والرقيُّ وحفظُ المالِ والنفسِ والعرضِ والدينِ.

أيُّها الأحبةُ: كونوا موفَّقين في اختيارِ بطانةٍ صالحةٍ لقيادتكم تعينها على الخيرِ والهدى والصلاحِ وأثرُ البطانةِ عظيمٌ على أيِّ قيادةٍ كانتْ.

قال رسولُ الله ﷺ «مَنْ وَلِيَ مِنكُمْ عَمَلاً، فأَرَادَ اللهُ بِهِ خيراً جَعَلَ لَهُ وَزِيراً صالحاً إنْ نَسِيَ ذَكَّرَهُ، وَإنْ ذَكَرَ أَعَانَهُ» رواهُ النسائيُّ عن عائشة (صحيح الجامع).

وعن أبي سعيد الخدري، وأبي هريرة رضيَ اللهُ عنهما: أن رسولَ الله ﷺ قال: مَا بَعَثَ اللهُ مِنْ نَبِيٍّ، ولاَ اسْتَخْلَفَ مِنْ خَلِيْفةٍ إلاَّ كانتْ لهُ بِطانتانِ: بِطانةٌ تَأمُره بالمعروفِ وَتَحُضُّهُ عليه، وبِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بالشَّرِّ وَتَحُضُّهُ عليهِ والمعصومُ مَنْ عَصَمَ اللهُ. رواهُ البخاريُّ واللفظُ لهُ.

بسم الله الرحمن الرحيم

الْغَدْرُ

الخُطبةُ الأولى:

الإسلامُ دِيْنُ الطُّهْرِ، وَالطِّيِّبَةِ، وَالسُّمُوِّ، وَالنَّزَاهَةِ، والعدلِ، والرحمةِ، لأَنَّهُ صَدَرَ من اللهِ الرحمنِ الرحيمِ الحكيمِ العليمِ، الَّذي اتَّصَفَ بصفاتِ الكمالِ والجلالِ، وَتَنَزَّهَ عن كلِّ عيبٍ ونقيصةٍ، قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ﴾ (آل عمران: ١٩)، فالإسلامُ دينُ اللهِ الخالدُ الَّذي ارتَضَاهُ لعبادِه، وَأَكْمَلَهُ لهم، قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾ (المائدة: ٣).

ولا يَرْضَى من عبادِه غيرَ الإسلامِ، قالَ تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ (آل عمران).

ومِنْ جمالِ الإسلامِ، وكمالِه، ومَحَاسِنِه أنهُ دعا إلى الأخلاقِ الساميةِ، وذلك لما لها من أثرٍ عظيمٍ في حياةِ الناسِ الاجتماعيةِ والاقتصاديةِ والسياسيةِ والأمنيةِ وغيرِها، فأمورُ البَشَرِ لا تستقيمُ إذا تَجَرَّدَ الناسُ من القِيَمِ والأخلاقِ، قال ﷺ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ صَالِحَ الأَخْلاَقِ» أخرجهُ الحاكمُ عن أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ.

قالَ ﷺ مرغِّباً بِحُسْنِ الْخُلُقِ: «إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلاَقاً» أخرجه الشيخانِ عن عبدالله بن عمرو بن العاصِ رضيَ اللهُ عنهما.

وقالَ ﷺ: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِيْنَ إِيْمَاناً أَحْسَنُهُمْ خُلُقاً وَخِيَارُكُمْ خِيَارُكُمْ لِنِسَائِهِم» أخرجهُ الترمذيُّ عن أبي هريرةَ.

وقالَ ﷺ: «مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ فِي مِيْزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ» أخرجهُ الترمذيُّ عن أبي الدرداء.

وقالَ ﷺ عندما سُئِلَ عن أكثرِ ما يُدْخِلُ الناسَ الجنةَ؟ قال: «تَقْوَى اللَّهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ» أخرجهُ الترمذيُّ عن أبي هريرةَ.

كما حَذَّر أُمَّتَهُ ﷺ من الأَخلاقِ الذَّمِيْمَةِ، وذلك لآثارها السلبيةِ على الأمةِ، فهي تُؤَدِّي إلى التَّقَاطُعِ وَالتَّدَابُرِ وَشَلِّ المجتمعِ، وهَلْ تُفْلِحُ أُمَّةٌ فَسَدَتْ أَخْلاقُهَا؟

قال شوقي:

وَإِذَا أُصِيْبَ الْقَوْمُ فِي أَخْلاَقِهِمْ
فَأَقِمْ عَلَيْهِمْ مَأْتَماً وَعَوِيْلاً

وقالَ آخرُ:

وَلَيْسَ بِعَامِرٍ بُنْيَانُ قَوْمٍ
إِذَا أَخْلاَقُهُمْ كَانَتْ خَرَابَاً

وَمِنَ الأخلاقِ الذميمةِ الَّتي حَذَّرَ مِنْهَا الإِسلامُ العظيمُ الْغَدْرُ.

والْغَدْرُ: هو الإِخْلالُ بالشيءِ وَتَرْكُهُ، فَنَقْضُ الْعَهْدِ، وَتَرْكُ الْوَفَاءِ بِه غَدْرٌ، والْغَدْرُ ضِدُّ الْوَفَاءِ.

وَالْغَدْرُ مُحَرَّمٌ فِي دِيْنِ الإِسْلامِ، وعَدَّه الحافظان ابنُ حَجَرٍ والذَّهَبِيُّ ـ رَحِمَهُمَا اللَّهُ ـ مِنْ كبائرِ الذنوبِ والخَطايا، فالمسلمُ السَّوِيُّ الَّذي يَعْمَلُ بالإِسلامِ، وَيَلْتَزِمُ به لا يغدرُ أبداً، لقد عدَّ النبيُّ ﷺ الغَدرَ من صفاتِ المنافقين.

عن عبدالله بن عمر ـ رضيَ اللهُ عنهما ـ أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيْهِ كَانَ مُنَافِقاً خَالِصاً، وَمَنْ كَانَتْ فِيْهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيْهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا ائْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ» (متفقٌ عليه).

وهذا ترهيبٌ للمسلمِ من الْغَدْرِ، فالمسلمُ يَعي معنى النِّفاقِ وَعَواقِبَهُ الوَخيمةِ في الدُّنيا والآخرةِ، لذلك يفرُّ وينفرُ مِنْ خِلالِهِ الدَّنيئةِ ويَجْتَهِدُ على تَطْهِيرِ نَفْسِهِ مِنْهُ.

أيُّها المسلمون:

اللهُ جَلَّ جلالُهُ خَصْمُ الْغَدَّارِ يومَ القيامةِ، ومَنْ كانَ اللهُ خَصْمَهُ يَخْصِمُهُ.

عنْ أبي هريرةَ ـ رضيَ اللهُ عنهُ ـ عن النبيِّ ﷺ قالَ: «قالَ اللهُ: ثلاثةٌ أنا خَصْمُهُمْ يومَ القِيامَةِ: رَجُلٌ أَعْطَى بِي ثُمَّ غَدَرَ، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرّاً فَأَكَلَ ثَمَنَهُ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيْراً فَاسْتَوْفَى مِنْهُ وَلَمْ يُعْطِهِ أَجْرَهُ» أخرجه البخاري.

أيُّها المسلمون:

اللهُ سبحانَهُ وتعالى خَصْمٌ لجميعِ الظالمين إلاَّ أنَّهُ أرادَ التَّشديدَ على هؤلاءِ بالتصريحِ وذلك لِقُبْحِ الْغَدْرِ وَخُطُوْرَتِهِ عَلَى النَّاسِ.

وعن أبي سعيد ـ رضيَ اللهُ عنهُ ـ قالَ: قال رسولُ الله ﷺ: «لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ ـ أي عَلامَةٌ يُشْهَرُ بِهَا فِي النَّاسُ يُفْضَحُ بِسَبَبِ غَدْرِهِ ـ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرْفَعُ لَهُ بِقَدْرِ غَدْرِهِ، أَلاَ وَلاَ غَادِرَ أَعْظَمُ غَدْراً مِنْ أَمِيْرِ عَامَّةٍ» أخرجهُ البخاريُّ.

فَغَدْرُ إمامِ الْعَامَّةِ عَظِيْمٌ عندَ اللهِ وذلك لِمَا يَترَتَّبُ عليهِ مِنْ ضَيَاعِ الدِّيْنِ وَالْخُلُقِ والمالِ والبلادِ، لذلك استحقَّ هذا الوعيدَ يومَ الْمَعَادِ.

كَمَا حَذَّرَ أُمَّتَهُ ﷺ من الغدرِ بِمَنْ لهم عَهْدٌ وَمِيْثَاقٌ معَ دولةِ الإسلامِ.

عن صفوانَ بن سُليمٍ عن عدَّةٍ منْ أبناءِ أصحابِ رسولِ اللهِ ﷺ عنْ رسولِ اللهِ ﷺ قال: «أَلاَ مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِداً أَوْ انْتَقَصَهُ، أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ، أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئاً بِغَيْرِ طِيْبِ نَفْسٍ فَأَنَا حَجِيْجُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» أخرجهُ أبوداود.

عن أبي هريرةَ ـ رضي اللهُ عنهُ ـ عن النبيِّ ﷺ قالَ: «أَلاَ مَنْ قَتَلَ نَفْساً مُعَاهِداً لَهُ ذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ رَسُوْلِهِ فَقَدْ أَخْفَرَ بِذِمَّةِ اللَّهِ فَلاَ يُرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ» أخرجهُ الترمذيُّ.

وَخَرَّجَ البخاريُّ في صحيحه، عن عليٍ رضي اللهُ عنهُ، عن النبيِّ ﷺ: «ذِمَّةُ الْمُسْلِمِيْنَ وَاحِدَةٌ فَمَنْ أَخفر مُسْلِماً ـ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِيْنَ لاَ يُقْبَلُ مِنْهُ صَرْفٌ وَلاَ عَدْلٌ» عَدْلٌ: فِداءٌ، أَخْفَرَ: أي نَقَضَ الْعَهْدَ وَغَدَرَ لاَ يَقْبَلُ اللَّهُ أَعْمَالَهُ.

وكانَ منْ وَصَايَاهُ ﷺ للمجاهدين في سبيلِ اللهِ تركُ الْغَدْرِ.

عن بُريدةَ ـ رضيَ اللهُ عنهُ ـ قالَ: كانَ رسولُ ﷺ إذَا أَمَّرَ أميراً على جَيْشٍ أو سَرِيَّةٍ، أوصاهُ في خَاصَّتِهِ بتقْوى اللهِ وَمَنْ مَعَهُ من المسلمين خَيراً، ثمَّ قالَ: «اغْزُوا بِاسْمِ اللَّهِ فِي سَبِيْلِ اللَّهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ باللَّهِ، اغْزُوا ولا تَغُلُّوا وَلاَ تَغْدِرُوا، وَلاَ تُمَثِّلُوا وَلاَ تَقْتُلُوا وَلِيْداً، إلى آخر الحديثِ الَّذي أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.

وفي وصيةِ أبي بكر رضيَ اللهُ عنه لأسامةَ حينَ بَعَثَهُ إلى الشامِ:

«لاَ تَخُونُوا، وَلاَ تَغُلُّوا، وَلاَ تَغْدِرُوا، وَلاَ تُمَثِّلُوا، وَلاَ تَقْتُلُوا طِفْلاً صَغِيْراً، وَلاَ شَيْخاً كَبِيْراً، وَلاَ امْرَأَةً، وَلاَ تَعْقِرُوا نَخْلاً، وَلاَ تُحَرِّقُوهُ، وَلاَ تَقْطَعُوا شَجَرَةً مُثْمِرَةً، وَلاَ تَذْبَحُوا شَاةً، وَلاَ بَقَرَةً، وَلاَ بَعِيْراً، إِلاَّ لِمَأْكَلَةٍ، وَسَوْفَ تَمُرُّوْنَ بِأَقْوَامٍ قَدْ فَرَّغُوا أَنْفُسَهُمْ فِي الصَّوَامِعِ «يُرِيْدُ الرُّهْبَان»، فَدَعُوْهُمْ وَمَا فَرَّغُوا أَنْفُسَهُمْ لَهُ».

وكذلك كان يفعلُ سيدُنا عمرُ بنُ الخطابِ رضيَ اللهُ عنهُ، فقدْ جاءَ في كتابٍ لَهُ: «لاَ تَغُلُّوا وَلاَ تَغْدِرُوا، وَلاَ تَقْتُلُوا وَلِيْداً، وَاتَّقُوا اللَّهَ فِي الْفَلاَّحِيْنَ».

عِبَادَ اللَّهِ:

فالوفاءُ وَتَرْكُ الغَدرِ هو خُلُقُ جميعِ الأنبياءِ والمرسلينِ، فهو من دينِ محمدٍ ومُوسى وعِيسى وغيرِهم عليهم صلواتُ ربي وتسليماتُهُ.

عن ابنِ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهما أنَّ أبا سفيان أخبرَهُ من فيهِ إلى فيهِ، قالَ: انطلقتُ في المدةِ التي كانت بيني وبين رسولِ اللهِ ﷺ قالَ: فبينَا أنا بالشامِ إذْ جيءَ بكتابٍ من رسولِ اللهِ ﷺ إلى هِرَقْلٍ ـ يعني عظيمَ الرُّوْمِ ـ قال: وكانَ دِحْيَةُ الْكَلْبِيُّ جاءَ بهِ وَدَفَعَهُ إلى عظيمِ بُصْرَى، فَدَفَعَهُ عظيمُ بُصْرَى إلى هِرَقْلَ، فقالَ هِرَقْلُ: هل هَاهُنا أحدٌ من قومِ هذا الرجلِ الَّذي يزعُمُ أنَّهُ نَبيٌّ؟ قالوا: نعمْ. قال فدُعيتُ في نفرٍ من قريشٍ. فدخلنا على هِرَقْل. فأجلسَنا بين يَدَيْهِ فقالَ: أَيُّكُمْ أَقْرَبُ نَسَباً من هذا الرجلِ الَّذي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبيٌّ؟ فقال أبو سفيان: فقلتُ: أنا، فَأَجْلَسُوْنِي بين يديهِ، وَأَجْلَسُوا أصحابي خَلْفِي. ثمَّ دعا بترجمانه: فقال لهُ: قُلْ

لهم إنِّي سائلٌ هذا عن الرجلِ الَّذي يزعمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، فإنْ كَذَبَنِي فَكَذِّبُوْهُ، قال: فقال أبوسفيان: وايمُ اللَّهِ لولا مَخَافَةُ أنْ يُؤْثَرَ عَليَّ الكذبُ لَكَذَبْتُ. ثُمَّ قَالَ لِتَرْجُمَانِهِ سَلْهُ ... وَوَجَّهَ هِرَقْلُ الرومِ عدَّةَ أسئلةٍ لأبي سفيان منها فيما يَتَعَلَّقُ بموضوعنا، قال: فهلْ يَغْدِرُ؟ قلتُ: لا، ونحنُ منهُ في مُدَّةٍ لا ندري مَا هو صانعٌ فيها، قالَ: فواللهِ مَا أَمْكَنَنِي مِنْ كَلِمَةٍ أُدْخِلُ فيها شيئاً غيرِ هذه.

قال هِرَقْلُ في نهايةِ حديثِهِ مع أبي سفيان، وَسَأَلْتُكَ هَلْ يَغْدِرُ؟ فَزَعَمْتَ أَنْ لاَ، وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ لاَ تَغْدِرُ.

أيُّها المسلمون:

لقد التزم النبيُّ ﷺ بكُلِّ عُهودِهِ ومواثيقِهِ معَ الناسِ، ولم يَثْبُتْ عنهُ أَنَّهُ نَقَضَهَا أوْ غَدَرَ.

ففي يومِ الحُدَيْبِيَّةِ عندما عاهدَ قُريشاً، وكان من ضِمْنِ بُنُوْدِ الصُّلحِ أنَّ من أتَى مُحَمَّداً مُسلماً من قريشٍ دُونَ إذنِ أوليائِهِ ردَّهُ عليهم، ولقدْ جاءَهُ بعدَ هذا العهدِ أبوجندلٍ فارّاً من سجونِ مكَّةَ وتعذيبِهم.

فلمَّا رأى سُهَيْلٌ - وهو مُمَثِّلُ قُرَيْشٍ في صلحِ الحُدَيْبِيَةِ - أبا جَنْدَلٍ قامَ إليه فضربَ وَجْهَهُ، ثُمَّ قالَ يا مُحَمَّدُ: قد لَجَّتِ الْقَضِيَّةُ بيني وبينك قبلَ أنْ يَأْتِيَكَ هذا، قال: صَدَقْتَ. فقامَ إليهِ فأخذَ بتلابيبِهِ قال: وَصَرَخَ أبوجندلٍ بأعلَى صوتِهِ يا مَعَاشِرَ المسلمين: أَتَرُدُّوْنَنِي إلى أهلِ الشِّرْكِ فَيَفْتِنُوْنِي في دِينِي؟ قالَ: فزادَ النَّاسُ شراً إلى ما بِهِم، فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «يا أبا جَنْدَلٍ: اصْبِرْ واحتَسِبْ، فإنَّ اللهَ - عزَّ وجلَّ - جاعلٌ لكَ ولِمَنْ مَعَكَ مِنَ الْمُسْتَضْعَفِيْنَ فَرجاً ومَخْرَجاً. إنا

قد عقدنا بيننا وبين القوم صُلحاً فأعطيناهم على ذلك وأعطونا عليه عهداً، وإنَّا لَنْ نَغْدِرَ بهم» قال فَوَثَبَ إليه عُمَرُ بن الخَطَّاب معَ أبي جَنْدَلٍ فجعلَ يمشي إلى جنبهِ وَهُوَ يقولُ: اصبر أبا جَنْدَلٍ فَإِنَّمَا همُ المشركون، وإنما دَمُ أَحَدِهِمْ دَمُ كَلْبٍ.

عِبَادَ اللهِ:

مَوْقفٌ صَعْبٌ جداً على رسولِ اللَّه ﷺ وأصحابه ﷺ حيثُ يَرَوْنَ أخاهَم أبا جَنْدَلٍ يُضْرَبُ ويُهانُ بهذه الطريقةِ وَيَمْتَنِعُ رسولُ اللهِ ﷺ من نُصْرَتِهِ وهو القائلُ: «انْصُرْ أخاكَ ظالماً أو مَظْلوماً» البخاريُّ والترمذيُّ وأحمدُ عن أنسٍ، وذلك حِرْصاً منهُ ﷺ بالالتزامِ بالعُهودِ والمواثيقِ التي أَبْرَمَهَا معَ الناسِ، وحتى لا يكونَ غدَّاراً، فالإسلامُ دينُ قِيَمٍ وَمَبَادِئَ يَجِبُ مُرَاعَاتُهَا واحْتِرَامُهَا، وَصَدَقَ أحمدُ شوقي حين قال:

وَإِذَا أَخَذْتَ الْعَهْدَ أَوْ أَعْطَيْتَهُ
فَجَمِيعُ عَهْدِكَ ذِمَّةٌ وَوَفَاءُ

أيها المسلمون:

لقد التزمَ الصحابةُ بأخلاقِ نبيِّهم، وترجَمُوها إلى واقعٍ حَيٍّ عَمَلِيٍّ في حياتِهم، فالتزموا بِعُهودِهم ومواثيقِهم معَ الناسِ جميعاً.

عن نافعٍ قال: لَمَّا خَلَعَ أهلُ المدينةِ يزيدَ بنَ مُعاويةَ جمعَ ابنُ عمرَ حَشَمَهُ وَوَلَدَهُ فقالَ: إنِّي سمعتُ النبيَّ ﷺ يقولُ: «يُنْصَبُ لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وإنَّا قدْ بايعنا هذا الرَّجُلَ على بيعِ اللهِ ورسولِهِ، وإنِّي لا أعلمُ أعظمَ مِنْ أَنْ يُبَايِعَ رجلٌ على بيعِ اللهِ ورسولِهِ ثُمَّ ينصبُ لهُ القتالُ، وإنِّي لا أعلمُ أحداً

منكم خلعَهُ ولا بايعَ في هذا الأمرِ إلاَّ كانَتْ الْفَيْصَلُ بيني وبينَهُ» أخرجَهُ مسلمٌ والبخاريُّ.

وعن سُلَيْمِ بن عامرٍ «رجلٍ من حِمْيَرَ» قال: كان بين معاويةَ، وبين الرومِ عهدٌ، وكان يسيرُ نحوَ بلادهم، حتَّى إذا انقضى العهدُ غزاهم، فجاءَ رجلٌ على فرسٍ أو بُرْذَوْنٍ وهو يقولُ: اللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ، وفاءٌ لا غَدْرٌ، فَنَظَرُوا فإذا عمْرو بن عَبْسَةَ، فأرسلَ إليه معاويةُ فَسَأَلَهُ، فقالَ: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «مَنْ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَوْمٍ عَهْدٌ فَلاَ يَشُدَّ عُقْدَةً، وَلاَ يَحُلَّهَا حَتَّى يَنْقَضِيَ أَمَدُهَا أَوْ يَنْبُذَ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ» فرجعَ معاويةُ. (أخرجهُ أبوداود)

والشاهدُ من هذا، أَنَّ معاويةَ رَضِيَ اللَّهُ عنهُ عندما بَلَغَهُ النَّهْيُ رَجَعَ وَوَقَفَ عِنْدَ حُدُوْدِ اللَّهِ تَعَالى وَلَمْ يَغْدِرْ.

أيُّها المسلمون:

خبيبٌ صحابيٌّ جليلٌ رضيَ اللهُ عنهُ، أرسلَهُ محمدٌ ﷺ في مجموعةٍ من الصحابةِ كي يَتَجَسَّسُوا على قريشٍ فَأَسَرَهُ بنولحيانَ وهم حيٌّ من هُذيلٍ، وباعُوهُ في مكةَ على بني الحارثِ بن عامرِ بن نَوْفَلٍ، حيثُ قَتَلَ أحدَ رِجالِهم، وَحَبَسَهُ بَنو الحارثِ حتَّى تَخْرُجَ الأشهرُ الْحُرُمُ فَيَقْتُلُوهُ، وجعلوهُ عندَ امرأةٍ تَحْرُسُهُ قيلَ: هي زينبُ بنتُ الحارثِ أختُ عُقْبَةَ بْنِ الحارثِ الذي قتل خبيباً، فلمَّا بَلَغَهُمْ أَنَّهُمْ أجْمَعُوا على قتلِه استعارَ مُوساً من زينبَ لِيَسْتَحِدَّ «أي يَحْلِقَ عانَتَهُ»، فَغَفَلَتْ زينبُ عن صَبِيٍّهَا، فذهبَ إلى خُبَيْبٍ فَوَضَعَهُ على فَخِذِهِ، فَلَمَّا رَأَتْهُ فَزِعَتْ فَزْعَةً، عَرَفَ ذَلِكَ منها وفي يده الموس.

فقالَ: أَتَخْشَيْنَ أَنْ أَقْتُلَهُ؟ مَا كُنْتُ لأَفْعَلَ ذَاكَ إِنْ شاءَ اللهُ تعالى «وَمَا كُنْتُ لأَغْدِرَ».

فالإسلامُ دينُ المبادئ السامية، دينُ الرحمةِ، حَدَّثَ نافعٌ عن عبدِالله بنِ عمرَ أنَّ امرأةً وُجِدَتْ في بعض مَغَازِي رسولِ الله ﷺ مقتولةً فأنكرَ ذلك، ونَهَى عن قَتْلِ النساءِ وَالصِّبْيَانِ. أخرجهُ مسلمٌ.

أيُّها المسلمون:

كان بإمكانِ خُبَيْبٍ أنْ يُمْسِكَ هذا الطفلَ رَهِيْنَةً عندَهُ، وَيُساوِمَ عليهِ لإنقاذِ حياتهِ من القتلِ، ولكنِ الإيمانُ الراسخُ في قلبه، والتَّخَلُّقُ بِخُلُقِ الإسلام القَويمِ منعه من ذلك، فمبادئُ الإسلامِ يَجِبُ ألاَّ تُتْرَكَ أمامَ حُظوظِ الدُّنيا الفانية، والشهواتِ العاجلة، والاجتهاداتِ السَّقِيْمَةِ للوصولِ للغايات، فالغايةُ لا تُبَرِّرُ الوسيلةَ المحرمةَ في الإسلامِ، فيجبُ أنْ يَبْقَى الإسلامُ على نَقَائِهِ وَطُهْرِهِ وَسُمُوِّهِ.

وفي عهد معاويةَ رَضِيَ اللهُ عنهُ نَقَضَ الرومُ عهدَهم وفي يدِ المسلمين رهائنُهم، فامْتَنَعَ المسلمون عن قَتلِ الرَّهائنِ، بل أَطْلَقُوا سَرَاحَهُمْ وقالوا: إنَّ وفاءً بِعَهْدٍ مِنْ غَيْرِ غَدْرٍ خَيْرٌ مِنْ غَدْرٍ بِغَدْرٍ، فاتَّقوا اللهَ أيُّها المسلمون: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً ﴿٣٤﴾﴾ (الإسراء: ٣٤).

أقولُ قولي هذا واستغفرُ اللهَ لي ولَكم

الخطبةُ الثانيةُ

الغَادِرُ يَحْمِلُ لِوَاءَ غَدْرِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْياً وَعَاراً بَيْنَ الخَلائِقِ.

وَالْغَدْرُ صِفَةٌ ذَمِيْمَةٌ لا يَتَخَلَّقُ بِهَا إلاَّ فَاقِدُ الإِيْمَانِ، وَيَكْفِي الْغَادِرَ سَخْطاً وَغَضَباً أَنَّ اللَّهَ خَصْمُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

الغادِرُ ممقوتٌ من الله والملائكةِ والناسِ أَجْمَعِيْنَ، يَحْذَرُهُ الناسُ فلا يَطْمَئِنُّوْنَ إلى مُخَالَطَتِهِ ومُتاجرته ولاَ مُعَامَلَتِهِ.

الْغَدْرُ دَلِيْلٌ على خِسَّةِ النَّفْسِ وَحَقَارَتِهَا.

يُعَامِلُهُ اللَّهُ بِعَكْسِ مَقْصُوْدِهِ فَلا يَتِمُّ لَهُ أمراً.

وكمْ عانتِ البشريةُ وتعاني من الغدرِ القديمِ والحديثِ وكم تسبَّبَ الغدرُ في إشعالِ نارِ الحربِ والعداوةِ بين الأفرادِ وبين الدولِ، والتاريخُ يشهدُ ويُسَجِّلُ أحداثَ الغدرِ التي امتلأَتْ بها صفحاتُهُ، ومن غدرِ الإنسانِ بالإنسانِ، مَا أصابَ المسلمين في بِئْرِ مَعُوْنَةَ، حيثُ اسْتُشْهِدَ منهم سَبْعُوْنَ قُتِلُوا غَدراً وغِيلةً بأيدي قبائلِ رِعْلٍ وَذَكْوَانَ وَالْقَارَةِ، ومكث الرسولُ ﷺ يَدْعو على هؤلاءِ الْمعْتَدِيْن.

ومن غَدرِ الإنسانِ بالإنسانِ، ما يَفْعَلُهُ اليهودُ بالمسلمين من قَتْلٍ للأبرياءِ والنساءِ والأطفالِ، مُتجاوِزِينَ كُلَّ القِيَمِ والأعرافِ الدوليةِ، ولا عجبَ فاليهودُ هم الذين حاولوا الغدرَ برسولِ اللهِ ﷺ حينما كان في مَحَلَّةٍ من مَحَلاَّت بَني النضيرِ وكان مُسنِداً ظهرَه إلى جدارٍ في محلتِهم، فأرسلوا أحدهم لإلقاءِ صخرةٍ كبيرةٍ عليه ولكنَّ اللهَ تعالى كفاهُ غَدْرَهم، وكتبَ عليهمُ الجلاءَ.

ولقد اسْتَشْرَى الغدر فُي هذه السنين الأخيرة من الدولِ القويةِ بالدولِ الضعيفة، ومن الإنسان بالإنسان حتىً صار الإنسانُ في كثيرٍ من الأحيانِ مَصْدَرَ تَرويعٍ لأخيهِ الإنسانِ، بل ومَصْدراً لأسبابِ هلاكهِ وعاد إلى الأذهانِ قولُ الشاعرِ:

وَدَعْوَى الْقَوِيِّ كَدَعْوَى السِّبَاعِ
مِنَ النَّابِ وَالظُّفْرِ عِنْوَانُهَا

وَالْغَدْرُ يَكُوْنُ شَدِيداً وَصَعْباً عَلى النَّفْسِ عِنْدَمَا يَكوْنُ مِمَّنْ يَرْبُطُكَ بِهِ أُخُوَّةُ الدِّيْنِ، وَأَوَاصِرُ الْقُرْبَى وَحُقُوْقُ الْجِوَارِ.

وصدق من قال «الشاعر الجاهلي: طرفة بن العبد»:

وَظُلْمُ ذَوِي الْقُرْبَى أَشَدُّ مَضَاضَةً
عَلَى النَّفْسِ مَنْ وَقْعِ الْحُسَامِ الْمُهَنَّدِ

بسم الله الرحمن الرحيم

وَقَفَاتٌ مَعَ الوقتِ

الخطبةُ الأولى:

أيُّها المسلمون: الوقتُ لهُ أهميَّةٌ عظيمةٌ في حياةِ الأفرادِ والجماعاتِ، فَالأُمَّةُ التي تَعْتَنِي بوقتِها تَسْمُو وَتَتَقَدَّمُ وَتُمَكَّنُ، والأمةُ التي لا تُقَدِّرُ الوقتَ تَضْعُفُ وتهونُ، تَعالَوْا أيّها المسلمون أُحَدِّثْكُمْ عن الوقتِ وحَدِيثي مَعكم يكونُ كالتالي:

١ ـ أهميةُ الوقتِ في القرآنِ.

٢ ـ اعتناءُ السنةِ النبويةِ بالوقتِ.

٣ ـ أهميةُ الوقتِ عندَ سَلَفِ الأُمةِ.

٤ ـ الوقتُ في نظرِ الشعراءِ.

٥ ـ أَسْبَابٌ تُعِيْنُ عَلى حِفْظِ الْوَقْتِ.

٦ ـ بماذا نَسْتَغِلُّ الوقتَ.

٧ ـ تَمَنِّي الْمُفَرِّطِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقْتاً كَي يَعْمَلَ صَالِحاً.

أيُّها المسلمون: الوقتُ لهُ خصائِصُ، فمن هذه الخصائصِ:

ـ سُرْعَةُ انْقِضائِهِ:

وَالْـوَقْـتُ أَنْـفَـسُ مَـا عُـنِـيَـتَ بِـحِـفْـظِـهِ

وَأَرَاهُ أَسْـهَـلَ مَـا عَـلَـيْـكَ يَـضِـيْـعُ!!

ـ ما مضَى منه لا يعودُ ولا يُعَوَّضُ.

ـ أغلى ما يَمْلِكُ الإنسانُ.

دَقَّـاتُ قَـلْـبِ الْـمَـرْءِ قَـائِـلَـةٌ لَـهُ

إِنَّ الْـحَـيَـاةَ دَقَـائِـقٌ وَثَـوَانِـي

أهميةُ الوقتِ في القرآنِ:

أقسمَ اللهُ بكُلِّ أجزاءِ الوقتِ، وهذا فيه بيانُ أهميَّتِه، لأنَّ اللهَ إذَا أقسَمَ بشيءٍ دَلَّ على أهميَّتِه.

قالَ سُبحانهُ: ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ① وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ② ﴾ (الليل).

قالَ تعالى: ﴿ وَالْفَجْرِ ① وَلَيَالٍ عَشْرٍ ② ﴾ (الفجر).

وقالَ سبحانه: ﴿ وَالضُّحَىٰ ① وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ② ﴾ (الضحى).

وقالَ تعالى: ﴿ وَالْعَصْرِ ① إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ② ﴾ (العصر).

وقالَ عزَّ وجلَّ: ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ⑦ ﴾ (الشرح).

أي: إذا فرغتَ من تبليغِ رِسَالَتِكَ وَالْغَزْوِ: فاجتهدْ في الدعاءِ وَاطْلُبْ من اللهِ حَاجَتَكَ.

اعتناءُ السنةِ النبويةِ بالوقتِ:

١ ـ رَوَى ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما قالَ: قالَ رسولُ اللهُ ﷺ: «نِعْمَتَانِ مَغْبُوْنٌ فِيْهِمَا كَثِيْرٌ مِنَ النَّاسِ، الصِّحَةُ وَالْفَرَاغُ» (رواهُ البخاريُّ).

٢ ـ وعن مُعاذِ بن جَبَلٍ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «لَنْ تَزُوْلَ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلُ عَنْ أَرْبَعِ خِصَالٍ: عَنْ عُمْرِهِ فِيْمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ شَبَابِهِ فِيْمَا أَبْلاهُ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيْمَا أَنْفَقَهُ» (حديثٌ صحيحٌ رواه الطبرانيُّ).

٣ ـ وقال ﷺ: «اغْتَنِمْ خَمْساً قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ» رواه الحاكم.

أيُّها المسلمون: السُّنَّة الْعَمَلِيَّةُ حَافِلَةٌ بالحِرص على الوقتِ.

ـ استغفارُهُ ﷺ مئة مرَّةٍ في مجلسٍ واحدٍ دالٌّ على حِرْصِهِ واستغلالِهِ لوقتِهِ ﷺ.

ـ تعليمهُ ﷺ لابن عباسٍ وهو على حمارِهِ في الحديثِ المشهورِ (يَا غُلامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ....) فيه دليلٌ وشاهدٌ على حرصِهِ على الوقتِ.

ـ إلقاؤه محاضرة في المقبرة أثناء حفر وإعداد قبر أحد أصحابه كذلك فيه شاهد ـ عباد الله ـ على أهمية الوقت.

أهميةُ الوقت عندَ السَّلَفِ:

قالَ ابنُ مسعود رضيَ اللهُ عنهُ: إنِّي لأَمْقُتُ الرجلَ أنْ أراهُ فَارِغاً ليسَ في شيءٍ من عَمَلِ الدُّنيا ولا عَمَلِ الآخرةِ.

وقال الحسنُ البَصْريُّ: «يا بنَ آدمَ إنَّمَا أنتَ أيامٌ، كُلَّمَا ذَهَبَ يَوْمٌ ذَهَبَ بَعْضُكَ».

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِالْعَزِيْزِ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«إنَّ الليلَ والنهارَ يعملانِ فيكَ فَاعْمَلْ فِيهما».

قالَ ابنُ مسعود رضيَ اللَّهُ عنهُ: «مَا نَدِمْتُ على شيءٍ نَدَمِي على يومٍ غَربتْ شَمْسُهُ نَقَصَ فيه أجلِي ولم يَزِدْ فيه عَمَلِي».

وقالَ حكيمٌ: «مَنْ أَمْضَى يوماً من عمرِه في غيرِ حَقٍّ قضاهُ، أَوْ فرضٍ أَدَّاهُ، أَوْ مَجْدٍ أَصَّلَهُ، أَوْ حَمْدٍ حصَّلَهُ، أَوْ خَيْرٍ أَسَّسَهُ، أَوْ عِلْمٍ اقْتَبَسَهُ فقد عَقَّ يومَهُ وَظَلَمَ نَفْسَهُ.

أهميَّةُ الوقتِ عندَ الشعراءِ:

قالَ شوقي رَحِمَهُ اللَّهُ:

دَقَّــاتُ قَــلْــبِ الْــمَــرْءِ قَــائِــلَــةٌ لَــهُ

إنَّ الْــحَــيَــاةَ دَقَــائِــقٌ وَثَــوَانِــي

وقال آخر:

لَـقَـدْ هَـاجَ الْـفَـرَاغُ عَـلَـيْـهِ شُـغْـلاً
وَأَسْـبَـابُ الْـبَـلاءِ مِـنَ الْـفَـرَاغِ

قالَ أبو العتاهية:

إنَّ الـشَّـبَـابَ وَالْـفَـرَاغَ وَالْـجِـدَةْ
مَـفْـسَـدَةٌ لِـلْـمَـرْءِ أَيُّ مَـفْـسَـدَةْ
وَالـدَّهْـرُ يَـكْـبُـو بِـالْـفَـتَـى وَتَـارَةً
يُـنْـهِـضُـهُ مِـنْ عَـثْـرَةٍ إِذَا كَـبَـا
وَالْـوَقْـتُ أَنْـفَـسُ مَـا عُـنِـيْـتَ بِـحِـفْـظِـهِ
وَأَرَاهُ أَسْـهَـلَ مَـا عَـلَـيْـكَ يَـضِـيْـعُ

أسبابٌ تعينُ على حِفْظِ الوقتِ:

١ ـ الخوفُ منَ اللهِ وخشيتُهُ ومُرَاقَبَتُهُ.

٢ ـ صُحبةُ الصالحينَ ذوي العُقولِ السليمةِ والمعرفةِ بقيمةِ الوقتِ.

عَـنِ الْـمَـرْءِ لاَ تَـسَـلْ وَسَـلْ عَـنْ قَـرِيْـنِـهِ
فَـكُـلُّ قَـرِيْـنٍ بِـالْـمُـقَـارَنِ يَـقْـتَـدِي

٣ ـ تَذَكُّرُ الْمَوْتِ.

٤ ـ قراءَةُ سِيرةِ العلماءِ الأفذاذِ من هذه الأُمَّةِ.

٥ ـ الحذرُ من التسويفِ، والمبادرةُ بإنجازِ الأعمالِ.

قال ﷺ: «بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ سَبْعَاً، هَلْ تَنْتَظِرُوْنَ إلاَّ فَقْراً مُنْسِيَاً، أَوْ غِنَىً مُطْغِيَاً، أَوْ مَرَضَاً مُفْسِداً، أَوْ هَرَمَاً مُفَنِّداً، أَوْ مَوْتَاً مُجْهِزَاً».

٦ ـ الدُّعاءُ.

٧ ـ تَنْوِيْعُ مَا يَسْتَغِلُّ بِهِ الْوَقْتِ.

٨ ـ تنظيمُ الوقتِ.

٩ ـ مُخَالَفَةُ الْهَوَى.

الخطبةُ الثانيةُ:

أيُّها المسلمون: بِمَاذَا نَسْتَغِلُّ أَوْقَاتِ الْفَرَاغِ؟ نَسْتَغِلُّهَا بِأُمُوْرٍ صَالِحَةٍ مِنْهَا:

١ ـ حفظُ كتابِ اللَّهِ تعالى.

٢ ـ قِرَاءَةُ الْكُتُبِ الْمُفِيْدَةِ.

٣ ـ ذِكْرُ اللَّهِ تعالى.

٤ ـ الأَمْرُ بالمعْرُوْفِ والنَّهيُ عَنِ الْمُنْكَرِ.

٥ ـ أداءُ النوافلِ.

٦ ـ حضورُ دُرُوسَ العِلمِ.

٧ ـ الذَّهابُ إلى بيتِ اللَّهِ الحَرامِ للحَجِّ والعُمرةِ والصَّلاةِ فيه والطَّوافِ والاعتكافِ.

٨ ـ سَمَاعُ الأَشْرِطَةِ النَّافِعَةِ.

٩ ـ زِيَارَةُ الأَقَارِبِ وَالأَرْحَامِ.

١٠ ـ زيارةُ المقبرةِ.

١١ ـ مُسَاعَدَةُ الآخَرِيْنَ.

١٢ ـ مُمَارَسَةُ بعضِ الأنشطةِ الرياضيةِ.

١٣ ـ مُمَارَسَةُ الفتياتِ للخياطةِ.

١٤ ـ مُمَارَسَةُ الفتياتِ لِلْحِيَاكَةِ.

١٥ ـ فُنُوْنُ الطَّهْيِ.

١٦ ـ التدريبُ على تربيةِ الأولادِ والبناتِ.

عبادَ اللهَ سيتمنى الْمُفَرِّطُوْنَ يومَ القيامةِ وقتاً كي يعملوا فيه خَيراً:

﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَ لَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ (فاطر).

﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ (المؤمنون).

بسم الله الرحمن الرحيم

مَا وَرَدَ في ذَمِّ الإسرافِ

الخُطبةُ الأولى:

الإسرافُ: مأخوذٌ من مادَّة «س ر ف» سَرَفَ الَّتي تَدلُّ عَلَى تَعَدِّي الحَدِّ والإغفالِ للشيءِ، وقالَ الرَّاغبُ ـ رحمَهُ اللهُ ـ السَّرَفُ تجاوزُ الحَدِّ في كُلِّ فعْلٍ يفعلهُ الإنسانُ، وإنْ كَانَ ذَلِكَ في الإنْفَاقِ أَشْهَرَ. قَالَ تَعَالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾ (الزمر: ٥٣)، فالإسْرَافُ هُنَا يَتَنَاولُ المالَ وغيرَهُ، وسُمِّي قومُ لوطٍ مُسْرِفِيْنَ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُمْ تَعَدَّوا فِي وَضْعِ البَذْرِ في غيرِ المَحْرَثِ المخصوصِ لَهُ، والإسْرافُ في الْقَتْلِ: أَنْ يَقْتُلَ وَلِيُّ الدَّمِ غيرَ القاتلِ أَوْ يَتَعَدَّاهُ إلى مَنْ هُوَ أَشْرَفُ مِنْهُ حَسْبَمَا كانتِ الْجَاهِلِيَّةُ تَفْعَلُهُ والسَّرَفُ ضِدُّ الْقَصْدِ.

عبادَ الله:

ومظاهرُ الإسْرافِ في حياةِ بعضِ المسلمين كثيرةٌ منها:

١ ـ الإسْرَافُ في اللِّبَاسِ وَالْمَرْكَبِ فالأَمْوَالُ الطَّائِلَةُ تُنْفَقُ عَلَيْهَا.

٢ ـ الإسْرَافُ في البناءِ والانغماسِ في مظاهرِ الرفاهيةِ فَمَقَابِضُ الأبوابِ وَصَنَابِيْرُ المياهِ من الذَّهَبِ عندَ الْبَعْضِ!!.

٣ ـ الإسْرَافُ في اسْتِخْدَامِ الْهَوَاتِفِ النَّقَّالَةِ دُوْنَ حَاجَةٍ، فَقَدْ تَصِلُ فَوَاتِيْرُ الْبَعْضِ إِلَى مِئَاتِ الدَّنَانِيْرِ فِي الشَّهْرِ!!.

٤ ـ الإسْرَافُ في اسْتِخْدَامِ الكهرباءِ والماءِ.

٥ ـ الإسْرَافُ فِي الوقتِ بما لا يَعُوْدُ عليه بالنفعِ بَلْ يُوقعُ الضَّررَ عليهِ وعَلَى مَنْ يَعُوْلُ.

٦ ـ الإسْرَافُ في الحفلاتِ من زواجٍ، وغيرِهِ ثُمَّ تُرْمَى الأَطْعِمَةُ الكثيرَةُ في حاوياتِ الْقِمَامَةِ دُوْنَ أنْ يَسْتَفِيْدَ منها الفقراءُ والمساكينُ.

٥ ـ إسْرَافُ الْبَعْضِ في الوقوعِ في المعاصِي مِنْ زِنَا وربَاً وشُربِ الخمرِ وغيرِهِ، بل يتجاوَزُ البعضُ إلى الْمُجَاهَرَةِ بِمَعْصِيَتِهِ نَعُوذُ باللهِ مِنْ ذلك، والرسولُ ﷺ يقولُ: «كُلُّ أُمَّتِي مُعَافَىً إلاَّ الْمُجَاهِرِيْنَ، وَإِنَّ مِنَ الْمُجَاهَرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلاً، ثُمَّ يُصْبِحُ وَقَدْ سَتَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَيَقُوْلُ يَا فُلاَنُ عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللَّهِ» مُتَّفَقٌ عليه.

فَلْيَتَّقِ اللهَ بعضُ المسلمينَ وَلْيَدَعُوا الْمُجَاهَرَةَ بِالْمَعْصِيَةِ أمامَ المسلمينَ وَأَهْلِهِمْ وَذَوِيْهِمْ، ففي الْجَهْرِ بالمعصيةِ اسْتِخْفَافٌ بِحَقِّ اللَّهِ وَرَسُوْلِهِ وبِصَالِحي المؤمنين، وفي التَّسَتُّرِ بها السلامَةُ من الاسْتِخْفَافِ.

أيُّهَا المسلمونَ: ما وَرَدَ في كتابِ اللهِ عن الإسْرَافِ التَّالي:

قالَ تباركَ وتَعَالَى: ﴿وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (١٤١)﴾ (الأنعام).

قالَ الحافظُ ابنُ كثيرٍ ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ في تفسيرِها: ولا تُسْرِفُوا في الأَكْلِ لِمَا فيهِ مِنْ مَضَرَّةٍ ـ العقلِ والبَدَنِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ (الاعراف) وفي صحيحِ البُخاري تعليقاً: وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَالْبَسُوا وَتَصَدَّقُوا في غيرِ إسرافٍ ولا مَخِيلَةٍ. وهذا من هذا والله أعلم (٣/ ٣٤٣).

وقالَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (٣١) ﴾ (الأعراف).

قالَ ابنُ عباسٍ ـ رضيَ اللهُ عنهما: كُلْ ما شِئْتَ، وَالْبَسْ مَا شِئْتَ، مَا أَخْطَأَتْكَ خَصْلَتَانِ سَرَفٌ وَمَخِيلَةٌ.

فَعَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَحْذَرَ مِنْ الوُقوعِ بالاختيالِ وَالْكِبْرِ وَمُجَاوَزَةِ الْحَدِّ فِي أَكْلِهِ وَشُرْبِهِ، فَإِنَّ السَّرْفَ يُبْغِضُهُ اللَّهُ وَيَضُرُّ بَدَنَ الإِنْسَانِ وَمَعِيْشَتَهِ، قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ جَمَعَ اللَّهُ الطِّبَّ كُلَّهُ فِي نِصْفِ آيَةٍ ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ﴾.

وقالَ ﷺ: «مَا مَلأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنِهِ، حَسْبُ ابنِ آدمَ أَكَلاَتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ فَاعِلاً لا مَحَالَةَ، فَثُلُثٌ طَعَامٌ، وَثُلُثٌ شَرَابٌ، وَثُلُثٌ لِنَفْسِهِ» (أخرجَهُ أحمدُ عن المقدام والكندي).

قالَ ابنُ الْقَيِّمِ ـ رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى ـ «إِنَّ مُجَاوَزَةَ الْحَدِّ فِي كُلِّ أَمْرٍ يَضُرُّ بمصالحِ الدُّنْيَا والآخرةِ، بَلْ يُفْسِدُ البدنَ أيضاً، إِذْ أَنَّهُ مَتَى زَادَتْ أَخلاطُهُ عَنْ حَدِّ الْعَدْلِ وَالْوَسَطِ ذَهَبَ مِنْ صِحَّتِهِ وقُوَّتِهِ بِحَسَبِ ذلك، وهذا مُطَّرِدٌ أيضاً في الأَفْعَالِ الطبيعيةِ كالنومِ والسَّهرِ والأكلِ والشُّربِ والجِمَاعِ والحركةِ والرياضةِ وَالْخَلْوَةِ وَالْمُخَالَطَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ».

وقالَ تَعَالَى: ﴿ وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا (٢٦) إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا (٢٧) ﴾ (الإسراء).

قَالَ الحافظُ ابنُ كثيرٍ: لَمَا أَمَرَ بالإنفاقِ نَهَى عَنِ الإسرافِ فيه، بَلْ يَكُوْنُ وَسَطَاً، كَمَا قالَ في الآيةِ الأُخرى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾ (الفرقان)، ثُمَّ قَالَ مُنَفِّراً عَنِ التَّبْذِيْرِ وَالسَّرَفِ، ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾ (الإسراء) أي: أشباهَهُمْ فِي ذَلِكَ في التبذيرِ وَالسَّفَهِ، وَتَرْكِ طاعةِ اللهِ وارتكابِ مَعْصِيَتِهِ.

وقالَ سبحانَهُ: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾﴾ (الإسراء).

وقالَ ابنُ كثيرٍ في تفسيرِها: يقولُ تعالى آمِراً بالاقتصادِ فِي الْعَيْشِ، ذَامًّا للبُخْلِ، نَاهِيَاً عَنِ السَّرفِ: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ أي لا تَكُنْ بَخِيْلاً مَنُوْعَاً، لا تُعْطِي أحَداً شيئاً، كَمَا قالتِ اليهودُ عليهم لَعَائِنُ اللَّهِ: ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ...﴾ (المائدة: ٦٤) أي: نَسَبُوْهُ إِلَى الْبُخْلِ تَعَالَى وتَقَدَّسَ الْكَرِيْمُ الْوَهَّابُ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾ أي: ولا تُسْرِفْ في الإنفاقِ فَتُعْطِي فَوْقَ طَاقَتِكَ، وَتُخْرِجَ أَكْثَرَ مِنْ دَخْلِكَ فَتَقْعُدَ مَلُوْمَاً مَحْسُوْراً.

عِبَادَ اللَّهِ:

وَصَفَ اللَّهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ دُعَاةَ الشَّرِّ والإفْسَادِ والانْحِلالِ بِالْمُسْرِفِيْنَ، وَحَذَّرَ عِبَادَهُ مِنْ طَاعَتِهِمْ والاغترارِ بما يَدْعُوْنَ إليه مِنْ بَاطِلٍ، قَالَ تَبَارَكَ وتَعَالى عَلَى لسانِ عبدِهِ ورسولِهِ صالحٍ وَهُوَ يَدْعو قَوْمَهُ لعبادةِ اللهِ وَحْدَهُ وَيُحَذِّرُهُمْ مِنْ طاعةِ دُعَاةِ الشَّرِّ وَالْفَسَادِ ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾

الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ وَلا يُصْلِحُونَ (١٥٢) ﴾ (الشعراء) فَسَمَّى دُعَاةَ الشَّرِّ وَالْغَيِّ مُسْرِفِيْنَ.

والإِسْرَافُ في المعاصِي، وَالصَّدُّ عنِ سبيلِ اللهِ سببٌ في إضلالِ اللَّهِ لِلْعَبْدِ وَحِرْمَانِهُ مِنْ نُوْرِ الْهِدَايَةِ قالَ سبحانَهُ: ﴿ كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ (٣٤) ﴾ (غافر).

وقالَ سبحانَهُ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ (٢٨) ﴾ (غافر).

أيُّهَا المسلمون:

أَمَّا مَا وَرَدَ فِي سُنَّةِ نَبِيِّنَا ﷺ عَنِ الإِسْرَافِ:

قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ عُقُوْقَ الأُمَّهَاتِ، وَوَأْدَ الْبَنَاتِ، وَمَنَعاً وَهَاتْ، وَكَرِهَ لَكُمْ ثَلاثاً، قِيْلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ» أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيْحِهِ عَنِ الْمُغِيْرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أيُّها المسلمُ أيَّتُها المسلمةُ:

الْمَالُ قُوَّةٌ لَكُمْ وعِزٌّ لَكُمْ بينَ الناسِ فلا يَجُوْزُ إِضَاعَتُهُ فِي السَّفَهِ وَالتَّبْذِيْرِ وَالْمِخْيَلَةِ وَالرَّفَاهِيَةِ الْجَائِرَةِ.

وَقَالَ ﷺ: «إِيَّاكُمْ والغُلُوَّ فِي الدِّيْنِ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الْغُلُوُّ فِي الدِّيْنِ» أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما.

فَمُجَاوَزَةُ الْحُدُوْدِ مَنْهِيٌّ عَنْهُ حَتَّىٰ فِي التَّدَيُّنِ للهِ تَعَالَى، فَعَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَنْتَهِيَ إِلَى حَيْثُ أُمِرَ وَأَنْ يَكُوْنَ وَقَّافاً عَنْدَ حُدُوْدِ الشَّرْعِ.

عن ابنِ مسعودٍ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ أنَهُ قَال: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُوْنَ وَقَالَهَا ثَلاَثاً» أخرجَهُ الترمذيُّ وغيرُهُ.

وَالْمُتَنَطِّعُوْنَ: الْمُتَعَمِّقُوْنَ الْمُغَالُوْنَ الْمُجَاوِزُوْنَ الحدودَ في أقوالِهم وأفعالِهم. الدِّيْنِيةِ وَالدُّنْيَوِيَّةِ.

فَالْمُسْتَحَبُّ عِنْدَهُمْ وَاجِبٌ، وَالْمَكْرُوْهُ حَرَامٌ، وَالْمُبَاحُ مَكْرُوْهٌ.

عِبَادَ اللَّهِ: ذَكَرَ أَهْلُ الْعِلْمِ مِنْ مَضَارِّ الإِسْرَافِ التَّالي:

١ ـ يَجْلِبُ غَضَبَ الرَّبِّ لأَنَّهُ يُنَافِي كَمَالَ الإِيْمَانِ.

٢ ـ التَّشَبُّهُ بِالشَّيْطَانِ فِي الإِفْسَادِ.

٣ ـ إِضَاعَةُ الْمَالِ وَالْفَقْرِ فِي الْمَالِ.

٤ ـ النَّدَمُ وَالْحَسْرَةُ عَلَى مَا ضَاعَ مِنْ غَيْرِ فَائِدَةٍ.

٥ ـ يَطْبَعُ الْمُجْتَمَعَ بِطَابِعِ الانْحِلاَلِ وَالْبُعْدِ عَنِ الْجِدِّ وَالاجْتِهَادِ.

٦ ـ يَدَعُ الْمُجْتَمَعَ عَالَةً عَلَى غَيْرِهِ عَاجِزاً عَنِ الْقِيَامِ بِمَهَامِهِ.

أيُّها المسلمون:

عَلَيْكُمْ بِالتَّوَسُّطِ فِي الأُمُوْرِ كُلِّهَا، وَالتَّوَسُّطُ هُوَ أَنْ يَتَحَرَّى الْمُسْلِمُ الاعْتِدَالَ وَيَبْتَعِدَ عَنِ التَّطَرُّفِ قَوْلاً وَفِعْلاً، بِحَيْثُ لاَ يُقَصِّرُ وَلاَ يُغَالِي، فالتَّوَسُّطُ الْقَصْدُ المصونُ عنِ الإفراطِ والتفريطِ. وأُمتُنا الإسلاميَّةُ أُمَّةُ التَّوَسُّطِ في جميعِ أمورِها الدينيةِ والدنيويةِ.

قالَ تَعالى في كتابِهِ العَزِيْزِ: مَادِحاً أُمَّةَ الإِسْلامِ ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا...﴾ (البقرة: ١٤٣) أي: عَدْلاً، خِيَاراً.

وقالَ الحسنُ البَصْرِيُّ - رحمَهُ اللهُ تعالى - «خَيْرُ الأُمُوْرِ أَوْسَاطُهَا».

قالَ شاعِرٌ:

عَلَيْكَ بِأَوْسَاطِ الأُمُوْرِ فَإِنَّهَا
نَجَاةٌ وَلاَ تَرْكَبْ ذَلُوْلاً وَلاَ صَعْبَاً

وَقَالَ آخرُ:

حُبُّ التَّنَاهِي غَلَطٌ
خَيْرُ الأُمُوْرِ الْوَسَطُ

وَقَالَ آخرُ:

لاَ تَذْهَبَنَّ فِي الأُمُوْرِ فُرَطَاً
لاَ تَسْأَلَنَّ إِنْ سَأَلْتَ شَطَطَاً
وَكُنْ مِنَ النَّاسِ جَمِيْعَاً وَسَطَاً

وقالَ زُهَيْرُ بْنُ أبي سلمَى:

هُمُ وَسَطٌ تَرْضَى الأَنَامُ بِحُكْمِهِمْ
إِذَا نَزَلَتْ إِحْدَى اللَّيَالِي بِمَعْظَمِ

عنْ عبدالله بنِ عباسٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «إنَّ الْهَدْيَ الصَّالِحَ وَالسَّمْتَ الصَّالِحَ وَالاقْتِصَادَ جُزْءٌ مِنْ خَمْسَةٍ وَعِشْرِيْنَ جُزْءاً مِنَ النُّبُوَّةِ» أخرجَهُ أبو دَاوُدَ.

فالاقتصادُ، هَدْيُ الأنبياءِ في الأفعالِ والأقوالِ، وَمِمَّا دَعَوا إليه العِبَادَ عليهم الصلاةُ والسَّلامُ.

أيُّها المسلمون: التَّوَسُّطُ مَطْلُوْبٌ حتَّى في التَّقَرُّبِ إلى اللَّهِ في النَّوافِلِ.

عن أبي جُحَيْفَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قالَ: آخَى النَّبِيُّ ﷺ بينَ سلمانَ وأبي الدَّرْدَاءِ، فزارَ سلمان أبا الدَّرْدَاءِ، فَرَأَى أُمَّ الدَّرْدَاءِ مُتَبَذِّلَةً فقالَ لَهَا: مَا شَأْنُكِ؟ قالتْ: أخوكَ أبو الدَّرْدَاءِ ليسَ لَهُ حَاجَةٌ في الدُّنْيَا. فَجَاءَ أبو الدَّرْدَاءِ فَصَنَعَ لَهُ طَعاماً فقال له: كُلْ. قالَ: فإنِّي صائمٌ. قالَ: مَا أَنَا بآكِلٍ حتَّى تَأْكُلَ. قَالَ: فَأَكَلَ. فَلَمَّا كانَ اللَّيْلُ ذَهَبَ أبو الدَّرْدَاءِ يَقُومُ. قَالَ: نَمْ. فنامَ. ثُمَّ ذَهَبَ يَقُوْمُ. فقالَ: نَمْ. فَلَمَّا كانَ مِنْ آخرِ الليلِ قالَ سَلْمَانُ: قُمِ الآن، فَصَلَّيَا. فقالَ لَهُ سلمانُ: إنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقاً، وَلِنَفْسِكَ عليكَ حَقّاً وَلأَهْلِكَ عليكَ حَقاً، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ. فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «صَدَقَ سَلْمَانُ» أخرجَهُ البُخَارِيُّ.

الخُطبةُ الثانيةُ:

أيُّها المسلمون:

وَمِمَّا ذُكِرَ مِنْ فَوَائِدِ التَّوَسُّطِ والاعتدالِ التَّالِي:

١ ـ السَّلاَمَةُ مِنَ الزِّيَادَةِ وَالنُّقْصَانِ.

٢ ـ الأَمْنُ مِنَ الْفَقْرِ وَالْحَاجَةِ.

٣ ـ حُصُوْلُ الْبَرَكَةِ وَالنَّمَاءِ.

٤ ـ دَلِيْلُ كَمَالِ الْعَقْلِ وَتَمَامُ الرُّشْدِ.

٥ ـ ضَمَانُ النَّجَاةِ حَتَّى الْمَمَاتِ.

٦ ـ ضَمَانُ الاسْتِمْرَارِ فِي الْخَيْرِ.

٧ ـ هُوَ صِفَةٌ مُمَيَّزَةٌ لِلأُمَّةِ.

٨ ـ فِيْهِ تَأَسٍّ بِالرَّسُوْلِ ﷺ وَبِالأَصْحَابِ الْكِرَامِ.

٩ ـ فِيْهِ أَمَانٌ مِنَ الْمِلاَلِ.

١٠ ـ فِيْهِ مُخَالَفَةٌ لِطَرِيْقِ الشَّيْطَانِ.

١١ ـ التَّوَسُّطُ هُوَ الاعْتِدَالُ وَالْقَصْدُ وَفِي ذَلِكَ الْخَيْرُ كُلُّهُ.

١٢ ـ التَّوَسُّطُ مَدَارُ الْفَضَائِلِ فِي كَثِيْرٍ مِنَ الأُمُوْرِ، فَالشَّجَاعَةُ مَثَلاً وَسَطٌ بَيْنَ الْجُبْنِ وَالتَّهَوُّرِ.

بسم الله الرحمن الرحيم

أحكامُ يومِ الْجُمْعَةِ

الخطبة الأولى:

الإنسانُ ضعيفٌ ﴿وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾ (النساء) ومن ضَعْفِه أَنَّهُ يَنْسى، ويَغفلُ، لذلك شرعَ اللهُ الذكرى قال سبحانَهُ: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾﴾ (الأعلى) وقال تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾ (الذاريات)، لذلك أوجبَ اللهُ سبحانهُ على المسلمين في كلِّ يومِ جُمْعَةٍ أَنْ يَجْتَمِعُوا في بيُوتهِ المطهرةِ لاستماعِ ما تَيسَّرَ من كلامِه، وكلامِ رسولهِ ﷺ ومن الحِكَمِ والمواعظِ والترغيبِ في طاعةِ اللهِ تعالى ورسولهِ ﷺ والترهيبِ من الذنوبِ والمعاصي، وبذلك يتَّعِظُ وَيَتَذَكَّرُ المؤمنون قال عزَّ وجلَّ: ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾﴾ (الاعلى) وقال: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا...﴾ (الأنفال: ٢).

وبهذا يُواصِلُ المؤمنون السَّيْرَ على صِراطِ اللهِ المستقيمِ، ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ (الانعام) حتَّى يُدْرِكَهُمُ الموتُ وهم على ذلك فَيَفُوزوا بمرضاةِ اللهِ تعالى وبما أَعَدَّ لعبادِهِ المتقين.

فَحَوْلَ يومِ الْجُمْعَةِ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهِ مِنْ أَحْكَامٍ شَرْعِيَّةٍ يَدُورُ حَدِيثُنَا معكُمْ في يَوْمِنَا هَذا، ونِقَاطُ خُطْبَتِنَا كالتالي:

١ ـ فَضْلُ يَوْمِ الْجُمْعَةِ.

٢ ـ حُكْمُ صَلاةِ الْجُمْعَةِ.

٣ ـ التَّرْهِيْبُ مِنَ التَّخَلُّفِ عَنْ الْجُمْعَةِ.

٤ ـ حُكْمُ الْبَيْعِ وَكُلِّ مَا يَشْغَلُ عَنِ الْجُمْعَةِ.

٥ ـ جُمْلَةٌ مِنَ الآدَابِ النَّبَوِيَّةِ لِلْجُمْعَةِ.

٦ ـ أُمُوْرٌ مُسْتَحَبَّةٌ فِي يَوْمِ الْجُمْعَةِ.

٧ ـ كَرَاهَةُ إِفْرَادِ يَوْمِ الْجُمْعَةِ بِصِيَامِ نَفْلٍ.

٨ ـ حُكْمُ حُضُوْرِ النِّسَاءِ لِلْجُمْعَةِ.

٩ ـ التَّرْوِيْحُ عَنِ النَّفْسِ وَالأَهْلِ فِي الْجُمْعَةِ.

فضلُ يومِ الْجُمْعَةِ:

أيُّها المسلمون: يومُ الجمعةِ أفضلُ أيامِ الأسبوعِ وسُمِّي بذلك، اشتقاقاً من الْجَمْعِ فإنَّ أهلَ الإسلامِ يجتمعونَ فيه في كلِّ أُسبوعٍ، فيه خُلِقَ آدَمُ ـ عليه السلامُ ـ وفيه أُدْخلَ الجنَّةَ، وَفيه أُخْرِجَ مِنْهَا، وَفِيْهِ قُبِضَ، وَفِيْهِ النَّفْخَةُ، وَالصَّعْقَةُ.

عن أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ يَوْمُ الْجُمْعَةِ، فِيْهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيْهِ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ، وَفِيْهِ أُخْرِجَ مِنْهَا» (أخرجهُ مسلمٌ).

وفي روايةِ أبي داودَ قالَ ﷺ: «وفيه النَّفْخَةُ، وَفِيْهِ الصَّعْقَةُ».

في يومِ الْجُمْعَةِ ساعةٌ الدُّعاءُ فيها مُستجابٌ، أخْرَجَ البخاريُّ في صحيحِهِ عن أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ: أن رسولَ اللهِ ذكرَ يومَ الْجُمْعَةِ فقالَ: «فيها ساعةٌ لا يُوافِقُها عبدٌ مسلمٌ وهو قائمٌ يُصَلِّي، يَسْأَلُ اللهَ شيئاً إلا أعطاهُ، وأشارَ بيدِهِ يُقَلِّلُهَا».

لقد ذهبَ بعضُ الصحابةِ، وأحمدُ وإسحاقُ، إلى أَنَّ وقتَ ساعةِ الإجابةِ بعدَ العصرِ إلى أن تَغْرُبَ الشَّمْسُ.

الموتُ ليلةَ الْجُمْعَةِ أو يومَ الْجُمْعَةِ لهُ فضيلةٌ عن بقيةِ الأيَّامِ، فهو من عَلاَمَاتِ حُسْنِ الخَاتمة إنْ شاءَ اللهُ تعالى:

عن عبدِالله بنِ عمرو قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوْتُ يَوْمَ الْجُمْعَةِ، إلاَّ وَقَاهُ اللَّهُ فِتْنَةَ الْقَبْرِ» أخرجهُ أحمدٌ وغيره.

حُكْمُ صَلاةِ الْجُمْعَةِ:

عبادَ اللهِ: الْجُمْعَةُ وَاجِبَةٌ علَى كلِّ من لا عُذرَ لهُ من المسلمين الذُّكُورِ المكلَّفين الأحرار، قال تبارك وتعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ ﴾ (الجمعة).

فيجبُ على كلِّ مُكَلَّفٍ يَسمعُ الأذانَ الثاني، أنْ يُلَبِّي نداءَ اللهِ ويَحْضُرَ بيتَ اللهِ معَ جماعةِ المسلمين لِسَمَاعِ الذِّكْرِ، ففي ذلك خَيرٌ لهُ في دينِهِ ودُنياه، وعن طارقِ بنِ شهابٍ، عن النبيِّ ﷺ قال: «الْجُمْعَةُ حَقٌّ واجِبٌ على كُلِّ مُسْلِمٍ، في جماعةٍ، إلا أربعةً: عبدٌ مملوكٌ، أو امرأةٌ، أو صبيٌّ، أو مريضٌ» (أخرجهُ أبوداود).

ولقد انعقدَ إجماعُ المسلمينَ على وُجوبِها والحمدُ للهِ.

فإيَّاكَ إياك يا عبدَالله أنْ تَتهاونَ في تركِ صلاةِ الْجُمْعَةِ.

التَّرهيبُ مِنَ التَّخَلُّفِ عن الْجُمْعَةِ:

أيُّها المسلمون: تَركُ الْجُمْعَةِ بدونِ عُذرٍ يُؤدِّي إلى أنْ يُطْبَعَ على قلبِ تارِكِها ويُبْتَلَى بالنِّفاقِ، والنِّفاقُ عواقبُهُ وخيمةٌ في الدُّنيا والآخرةِ، قال رسولُ الله ﷺ: «مَنْ سَمِعَ النِّدَاءَ يَوْمَ الْجُمْعَةِ فَلَمْ يَأْتِهَا، ثُمَّ سَمِعَهُ فَلَمْ يَأْتِهَا، ثُمَّ سَمِعَهُ فَلَمْ يَأْتِهَا طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قَلْبِهِ وَجَعَلَ قَلْبَهُ قَلْبَ مُنَافِقٍ» (رواه البيهقي).

عن أبي هريرةَ، وابنِ عمرَ رضيَ اللهُ عنهما أنَّهُمَا سَمِعَا رسولَ الله ﷺ يقولُ على أعوادِ منْبَرِهِ: لَيَنْتَهِيَنَّ أقوامٌ عن وَدْعِهِمُ الْجُمُعَاتِ، «أي تَرْكِهِمْ» أو ليختمَنَّ الله على قلوبهم، ثم ليكونَنَّ من الغافلين» أخرجه مسلم وغيره.

فعليك يا عبدَالله، يا مسلمُ أن تحذرَ من ذلكَ الوعيدِ وأنْ تقومَ بما أوجبَ اللهُ عليكَ ففي ذلك خَيْرٌ لكَ.

عبادَ الله: لقدْ هَمَّ نبيُّكم بتحريقِ بُيوتِ الذين يَتخَلَّفُوْنَ عن شُهُوْدِ الْجُمْعَةِ وذلكَ أَنَّ تَرْكَ الْجُمْعَةِ مِنَ الْمُكَلَّفِ مُنْكَرٌ عَظِيْمٌ.

عن ابنِ مسعودٍ رضيَ اللَّهُ عنهُ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ لقومٍ يَتخَلَّفُوْنَ عَنِ الْجُمْعَةِ: «لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ رَجُلاً يُصَلِّي بِالنَّاسِ ثُمَّ أُحَرِّقَ عَلَى رِجَالٍ يَتَخَلَّفُوْنَ عَنْ الْجُمْعَةِ بُيُوْتَهُمْ» (أخرجهُ مسلمٌ في صحيحه).

وعنْ ابنِ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ: «مَنْ تَرَكَ الْجُمُعَةَ ثَلاثَ جُمَعٍ مُتَوَالِيَاتٍ، فَقَدْ نَبَذَ الإِسْلامَ وَرَاءَ ظَهْرِهِ».

إنَّ الْبَيْعَ بَعْدَ النِّدَاءِ الثَّانِي حَرَامٌ:

قال تعالى: ﴿فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾﴾ (الجمعة).

عبادَ اللَّه: لقد اتَّفقَ العُلماءُ على تحريمِ البيعِ بعدَ النداءِ الثاني، واخْتَلَفُوا في صِحَّتِه إنْ وَقَعَ على قولين، وظاهرُ الآيةِ يَدُلُّ على عَدَمِ صِحَّتِه واللهُ أعلمُ، وكذا كلُّ ما يَشْغَلُ عن الْجُمُعَةِ لا يجوزُ، فَلْيَتَّقِ اللهَ قَوْمٌ يَنْشَغِلُوْنَ بالبيعِ والشراءِ وأمورٍ أخرى ويَتركونَ حُضورَ الْجُمُعَةِ، فالتجارَةُ الرابحةُ في طاعةِ اللهِ ورسولِه ﷺ.

جُمْلَةٌ مِنْ الآدابِ النبويَّةِ لِلْجُمُعَةِ:

عبادَ اللَّه: يُسْتَحَبُّ للمسلمِ أَنْ يَغْتَسِلَ لِلْجُمُعَةِ، وأَنْ يَلْبَسَ أحسنَ ثيابِه، وَأَنْ يَتَطَيَّبَ وَيَتَسَوَّكَ، وأنْ لا يُؤْذِيَ أحداً من الجالسين فلا يُفَرِّقْ بين اثنينِ لِيَجْلِسَ بَيْنَهُمَا، ولا يَتَخَطَّى رقابَ الناسِ لِيَصِلَ للصفوفِ الأُولى، ويجبُ عليه أَنْ يُنْصِتَ إذا خَطَبَ الإِمَامُ.

أيُّها المسلمون: مَنْ حَرَصَ على هذه الآدابِ النبويَّةِ كانتْ سَبباً في مغْفِرَةِ ذنوبِه بين الجُمُعَتَيْنِ بلْ وزيادةِ ثلاثةِ أيامٍ.

أخرجَ البخاريُّ في صحيحِه عن سلمانَ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «لاَ يَغْتَسِلُ رَجُلٌ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَيَتَطَهَّرُ مَا اسْتَطَاعَ مِنْ طُهْرٍ، وَيَدَّهِنُ مِنْ

دُهْنِه، أَوْ يَمَسُّ مِنْ طِيْبِ بَيْتِه، ثُمَّ يَخْرُجُ فَلاَ يُفَرِّقُ بَيْنَ اثنين، ثُمَّ يُصَلِّي مَا كُتِبَ لَهُ، ثُمَّ يُنْصِتُ إِذَا تَكَلَّمَ الإِمامُ، إِلاَّ غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجُمْعَةِ الأُخْرَى» (رواهُ البخاريُّ).

وفي رواية مسلم: «وزيادةُ ثلاثةِ أيامٍ...».

عن عبدالله بن بُسْرٍ رضيَ اللهُ عنهُ، جاءَ رجلٌ يَتَخَطَّى رِقابَ الناسِ يومَ الْجُمْعَةِ، والنَّبيُّ ﷺ يخطبُ، فقالَ لهُ النَّبيُّ ﷺ: «اجْلِسْ فَقَدْ آذَيْتَ» أخرجهُ أبوداود ـ صحيح أبي داود ٩٨٩.

وعن أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ: إذا قُلْتَ: أَنْصِتْ والإمامُ يَخْطُبُ فقد لَغَوْتَ» أخرجهُ أبوداود ٩٨٣.

ومعنى لَغَا كَمَا بيَّن أهلُ العِلْمِ: قيل: معناه خابَ من الأجْرِ وقيل أَخْطَأَ، وقيل: صارَتْ جُمْعَتُهُ ظُهراً وقيل غيرَ ذلك.

أُمُوْرٌ مُسْتَحَبَّةٌ فِي يَوْمِ الْجُمْعَةِ:

١ ـ قراءَةُ سورةِ الكهفِ عن أبي سعيد رضيَ اللهُ عنهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ قَرَأَ سُوْرَةَ الْكَهْفِ فِي يَوْمِ الْجُمْعَةِ، أَضَاءَ لَهُ مِنَ النُّوْرِ مَا بَيْنَ الْجُمْعَتَيْنِ» (أخرجهُ الحاكمُ وغيرهُ).

وفي روايةٍ: «مَنْ قَرَأَ سُوْرَةَ الْكَهْفِ فِي يَوْمِ الْجُمْعَةِ، أَضَاءَ لَهُ مِنَ النُّوْرِ مَا بَيْنَ الْبَيْتِ الْعَتِيْقِ» (صحيحُ الجامع ٦٣٤٦).

٢ ـ كَثْرَةُ الصلاةِ على النبيِّ ﷺ: عَن أَوْسِ بن أَوْسٍ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ، قالَ

رسولُ الله ﷺ : «إنَّ مِنْ أفضلِ أيامكم يومَ الْجُمْعَةِ فَأَكْثِرُوا عليَّ مِنَ الصلاةِ فيه، فإنَّ صلاتَكُم معروضَةٌ عليَّ» (أخرجهُ أبوداود وغيرهُ).

٣ ـ كَثْرَةُ ذِكْرِ الله تعالى قالَ سبحانَهُ: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾﴾ (الجمعة).

٤ ـ استحبابُ التَّبكيرِ لصلاةِ الْجُمْعَةِ: بعضُ الناسِ ـ هداهُمُ اللهُ ـ يعتادُ التأخيرَ عن الْخُطْبَةِ وهذا يُحرِمُ نفسَهُ من ثوابٍ عظيمٍ من الكريمِ سبحانَهُ، فَاحْرِصْ يا عبدَالله على الحضورِ مُبَكِّراً للخُطبةِ والصلاةِ، فَخَيْرُ صُفُوفِ الرِّجَالِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى أَوَّلُهَا.

عن أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «إذَا كانَ يومُ الْجُمْعَةِ كانَ على كلِّ بابٍ من أبوابِ المسجدِ ملائكةٌ يكتبونَ الناسَ على قدرِ مَنَازِلِهِم، الأولَ فالأولَ فإذا جلسَ الإمامُ طووا الصُّحُفَ وجاؤوا يستمعون الذكرَ، ومَثَلُ «الْمُهَجِّرِ» كمثلِ الذي يُهدي بَدَنَةً، ثُمَّ كالذي يُهْدِي بَقَرَةً، ثُمَّ كالذي يُهْدِي الكبشَ، ثُمَّ كالذي يُهْدِي الدجاجةَ، ثُمَّ كالذي يُهْدِي البيضةَ» (أخرجَهُ النسائيُّ).

٥ ـ صِلةُ الأرحامِ حيثُ إنَّ الكثيرَ منْ أهلِ الإسلامِ يُعَطِّلُ أعمالَهُ الدنيويةِ يومَ الْجُمْعَةِ، فزيارةُ الأرحامِ وتَفَقُّدُ أحوالِهم وإعانَتُهم على أمورِ دينِهم ودُنياهُمْ أَمْرٌ مُسْتَحَبٌّ رَغَّبَ فيه الشرعُ الحكيمُ.

قال ﷺ: «مَنْ أحبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُنسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ» (أخرجهُ البخاريُّ ومسلمٌ عن أنسٍ رضيَ اللهُ عنهُ).

فَصلةُ الرحمِ بالزيارةِ أو غيرِها سَبَبٌ للتوسعةِ على العبدِ في رزقِهِ والزيادةِ في عُمرِهِ والبركةِ في حياتِه.

عبادَ اللهِ: وردَ النهيُ عنْ تخصيصِ ليلةِ الْجُمْعَةِ بقيامٍ ويومِها بِصيامٍ:

عن أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ عن النبيِّ ﷺ: قالَ: «لا تَخُصُّوا ليلةَ الْجُمْعَةِ بقيامٍ من بين الليالي. ولا تَخُصُّوا يومَ الْجُمْعَةِ بصيامٍ من بينِ الأيامِ، إلاَّ أنْ يكونَ في صومٍ كان يصومُه أحدُكُم» رواهُ مسلمٌ.

قال النَّوَوِيُّ: وفي هذه الأحاديثِ الدلالةُ الظاهرةُ لقولِ جمهورِ أصحابِ الشافعيِّ وموافقيهم، أنَّهُ يُكْرَهُ إفرادُ يومِ الْجُمْعَةِ بالصَّومِ إلاَّ أنْ يوافقَ عادةَ لهُ، فإنْ وَصَلَهُ بيومٍ قبلَه أو بعدَه، أو وافقَ عادةً لهُ بأنْ نذرَ أنْ يصومَ يومَ شِفاءِ مريضِه أبداً، فوافقَ يومَ الْجُمْعَةِ لم يُكْرَهْ».

الخُطبةُ الثانيةُ:

أيُّها المسلمون: حُضورُ النساءِ إلى المساجدِ للجمعةِ مشروعٌ شرعاً، وليس بواجبٍ عليهنَّ، حتَّى يَشْهَدْنَ الخير، ودعوةَ المسلمين، ويَسْتَفِدْنَ من الذِّكْرى.

عن ابن عمرَ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «لاَ تَمْنَعُوا النِّسَاءَ حُظُوْظَهُنَّ مِنَ الْمَسَاجِدِ إِذَا استَأْذَنَكُمْ» (أخرجهُ مسلمٌ).

وعن ابن عمر رضيَ اللهُ عنهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «لاَ تَمْنَعُوا إِمَاءَ اللَّهِ أَنْ يُصَلِّينَ فِي الْمَسْجِدِ» أخرجهُ ابنُ ماجَه وغيرُه.

ولكنْ يجبُ على المسلمةِ أنْ تخرجَ إلى المسجدِ بحجَابِها، وَسَتْرِ زِينَتِهَا عن الأجانبِ وألاَّ تَتطَيَّبَ.

عن أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «لاَ تَمْنَعُوا إِمَاءَ اللَّهِ مَسَاجِدَ اللَّهِ، وَلَكِنْ لِيَخْرُجْنَ وَهُنَّ تَفِلاَتٌ» أخرجهُ أحمدُ وغيرُه.

تَفِلاتٌ: أي تارِكاتٌ للطِّيبِ.

وعنْ موسى بن يسار، قالَ: مَرَّتْ بأبي هريرةَ امرأةٌ وريحُها تَعْصِفُ، فقالَ لها: أينَ تُريدينَ يا أمَةَ الجبارِ؟ قالتْ: إلى المسجدِ، قالَ: وَتَطَيَّبْتِ لهُ؟ قالتْ: نعم، قال: فارجعي فاغْتَسلي، فإنِّي سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «لاَ يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْ امرأةٍ صلاةً خَرَجَتْ إِلَى الْمَسْجِدِ وَرِيْحُهَا تَعْصِفُ حَتَّى تَرْجِعَ فَتَغْتَسِلَ» رواهُ ابنُ خُزَيْمَةَ، الترغيب ٢٩٩٤.

التَّرويحُ عن النفسِ والأهلِ من الأمورِ المباحةِ:

قالَ عليٌّ رضيَ اللهُ عنهُ: «إِنَّ الْقُلُوْبَ تَمَلُّ كَمَا تَمَلُّ الأَبْدَانُ لَهَا طَرَائِف الحِكمةِ»، وقالَ كذلكَ: «رَوِّحُوا الْقُلُوْبَ سَاعَةً بَعْدَ سَاعَةٍ، فَإِنَّ الْقَلْبَ إِذَا أُكْرِهَ عَمِيَ».

وهذا عبادَ اللهِ من جمالِ الإسلامِ وكمالِه ويُسْرِهِ وبُعْدِه عن التَّعَنُّتِ وَالْغُلُوِّ فهذا هو نَبِيُّ الْهُدَى بِأَبِي هُوَ وَأُمِّي يُسَابِقُ زَوْجَتَهُ حَتَّى يُدْخِلَ عَلَيْهَا الْفَرَحَ وَالسُّرُوْرَ.

قالتْ عائشةُ رضيَ اللهُ عنها: «سَابَقَنِي رسولُ اللهِ ﷺ فَسَبَقْتُهُ، فَلَبِثَ حتَّى

إذَا أَرْهَقَنِي اللحمُ «أي سَمِنْتُ» سَابَقَنِي فَسَبَقَنِي، فقال ﷺ: «هَذِهِ بِتِلْك»، يُشِيْرُ إلى المرَّةِ الأُولى.

وقد صارعَ النبيُّ ﷺ رجلاً معروفاً بِقُوَّتِه يُسمَّى «رُكَانَةَ» جاءَ ركانةُ إلى النبيِّ ﷺ وطلبَ منهُ أنْ يصارعَهُ مقابلَ شاةٍ، بشاة فَصَرَعَهُ النَّبِيُّ ﷺ، فقالَ عاوِدْني في أُخْرى فَصَرَعَهُ النَّبِيُّ ﷺ فقالَ: «عاوِدْني فَصَرَعَهُ النَّبِيُّ ﷺ الثالثةَ، فقالَ الرجلُ: ماذا أقولُ لأهلي؟ شاةٌ أكلَهاالذئبُ وشاةٌ نَشَزَتْ، فما أقولُ في الثالثةِ؟ فقالَ ﷺ: «مَا كُنَّا لِنَجْمَعَ عَلَيْكَ أَنْ نَّصْرَعَكَ وَنُغْرِّمَكَ، خُذْ غَنَمَكَ».

بسم الله الرحمن الرحيم

رمضانُ شهرُ الجدِّ والعَطاءِ والبذلِ

الخطبةُ الأولى :

الحمدُ للَّهِ، الذي أنعمَ وَتَفَضَّلَ على أُمَّةِ الإسلامِ بهذه المواسمِ الطيبةِ المباركةِ، التي فيها يقوى الإيمانُ، وَتَزْكُو النفوسُ وتطيبُ القلوبُ من أسقامِها، فشهرُ رمضانَ غيثٌ مُباركٌ للقلوبِ، فيه يقوى الإيمانُ الصادقُ، الذي يدفعُ صاحبَهُ لفعلِ الطاعاتِ والخيراتِ، ويمنعُهُ من الوقوعِ في المعاصي والموبقاتِ، فرمضانُ حياةٌ لأرواحِ المؤمنين، قال تعالى: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ (الأنعام).

وقال تعالى: ﴿وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾﴾. (الحج)

فيا أُمَّةَ الإسلامِ: احْمدُوا اللهَ تعالى واشكروه على نعمةِ شهرِ رمضانَ المبارك، والشكرُ يكونُ بالقلبِ واللسانِ والأعمالِ الصالحةِ، قال تعالى: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾ (سبأ).

واستَغلُّوا هذا الموسمَ العظيمَ كما أمَرَكُمُ اللَّهُ تعالى ورسولُهُ الكريمُ ﷺ ولكم قُدْوَةٌ وَأُسْوَةٌ بِنَبِيِّكُمْ، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ (الأحزاب).

أيُّها المسلمون:

تعالوا نتذاكرُ هَدْيَ رَسُوْلِ اللَّهِ ﷺ في شهرِ رمضانَ لَعَلَّنا نُوَفَّقُ للاقتداءِ بِهَدْيِهِ السامي قال سبحانه: ﴿وَإِنْ تُطِيْعُوه تَهْتَدُوا....﴾ (النور: ٥٤).

أولاً: كان ﷺ يقومُ الليلَ طولَ العامِ، ومَعْلومٌ أنَّ القيامَ في حَقِّهِ وَاجِبٌ، وذلك لما لهذهِ العبادةِ العظيمةِ من أثرٍ عظيمٍ على النفوسِ والأرواحِ.

وعن عائشةَ رضيَ اللهُ عنها قالت: كان النبيُّ ﷺ يقومُ مِنَ اللَّيلِ حتَّى تَتَفَطَّرَ قَدَمَاهُ، فقلتُ لهُ: لِمَ تصنعُ هذا يا رسولَ اللَّهِ وقد غُفِرَ لك مَا تقدَّم مِنْ ذنبك وما تَأَخَّرَ، فقال: «أفلا أكونُ عبداً شَكوراً» متفق عليه.

وعنها قالتْ: مَا كانَ رسولُ اللَّهِ ﷺ يزيدُ ـ في رمضانَ ولا في غيرهِ ـ على إحدى عشرةَ ركعةً: يُصلِّي أربعاً فلا تَسْأَلْ عَنْ حُسْنِهِنَّ وَطُوْلِهِنَّ، ثُمَّ يُصلِّي أربعاً فلا تَسْأَلْ عَنْ حُسْنِهِنَّ وَطُوْلِهِنَّ، ثُمَّ يُصلِّي ثلاثاً فقلت: يا رسول الله أتنامُ قبلَ أنْ توترَ؟ فقال: «يا عائشةُ إن عَيْنَيَّ تَنامانِ، ولا ينامُ قلبي» متفقٌ عليه.

هذه هي صفةُ قيامِهِ يُصَلِّي إحدى عشرةَ ركعةً طوالاً ومن زَادَ على ذلك فهذا جائزٌ والحمدُ للهِ.

وكان ﷺ يُضَاعِفُ عبادتَهُ، في رمضان يَتَحَرَّى ليلةَ القدرِ وخاصَّةً في العشرِ الأواخرِ من رمضانَ، عن عائشةَ رضي اللهُ عنها قالت: كان رسولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا دَخَلَ الْعَشْرُ الأَوَاخِرُ من رمضانَ أحيَا الليلَ وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ وجَدَّ وشَدَّ المِئْزَرَ» متفقٌ عليه.

أيُّها المسلمون: هذا هو هَدْيُ نَبِيِّكُمْ في ليالِي رمضانَ قِيَامٌ وَذِكْرٌ وَدُعَاءٌ فَاقْتَدُوا بِنَبِيِّكُمْ ـ رَحِمَكُمُ اللَّهُ ـ تَنَالُوا الأَجْرَ وَالثَّوَابَ مِنَ الكريمِ الرَّحْمَنِ.

قال ﷺ مُرَغِّباً أُمَّتَهُ بهذهِ العِبَادَةِ:

«مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيْمَاناً وَاحْتِسَاباً غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» متفقٌ عليه.

وقال ﷺ: «مَنْ قامَ ليلةَ الْقَدْرِ إيماناً واحتِسَاباً غُفِرَ له ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» أخرجه الشيخان عن أبي هريرة، وعن عبدالله بن سلام رضيَ اللهُ عنهُ، أن النبيَّ ﷺ قال: «أَيُّهَا النَّاسُ أَفْشُوا السَّلَامَ، وأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا باللَّيْلِ والنَّاسُ نِيَامٌ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ» أخرجَهُ الترمذيُّ.

وقال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَنْزِلُ كُلَّ ليلةٍ إلى سَمَاءِ الدُّنيا حينَ يَبْقَى ثُلُثُ الليلِ الأخيرُ فيقولُ: هل من تائبٍ فأتوبَ عليه؟ هل مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرَ لَهُ؟ هَلْ مِنْ سائلٍ فيُعْطَى سُؤْلَهُ؟ حتَّى يَطْلُعَ الفجرُ» أخرجَهُ مسلمٌ عن ابن مسعود رضيَ اللهُ عنهُ.

أيُّها المسلمون:

أَعْرِضُوا عن اللغوِ واللهوِ في هذه الليالي المباركةِ من هذا الشهرِ الكريمِ، وعرِّضوا أنفسَكم لنفحاتِ اللهِ تعالى وجِدُّوا واجْتَهِدُوا في قيامِ رمضانَ لِنَيْلِ هذا الثوابِ الجزيلِ.

يَـــا رِجَـــالَ الـــلَّـــهِ جِـــدُّوا

رُبَّ دَاعٍ لا يُـــــــــــــــــــــــرَدُّ

مَـــا يَـــقُـــوْمُ الـــلَّـــيْـــلَ إلاَّ
مَـــنْ لَـــهُ عَـــزْمٌ وَجِـــدُّ
لَـــيْـــسَ شَـــيْءٌ كَـــصَـــلاةٍ
الـــلَّـــيْـــلِ لِـــلْـــقَـــبْـــرِ يُـــعَـــدُّ

قال سبحانَهُ مادِحاً عبادَهُ المؤمنين: ﴿كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾ (الذاريات)، وقال سبحانه: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ (السجدة).

ثانياً: كانَ ﷺ كريماً جَواداً، كيفَ لا وهُوَ مِنْ قُرَيْشٍ مِنْ بني هاشم الذين سادُوا الناسَ بالجُودِ والسخاءِ والكرمِ والشجاعةِ ومكارمِ الأخلاقِ، وكان جُودهُ وسخاؤهُ وكَرَمُهُ يَتضاعَفُ في شهرِ رَمَضانَ.

عن ابن عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عنهما قال: كان رسول الله ﷺ أجودَ الناسِ، وكانَ أجودَ ما يكونُ في رمضانَ حينَ يلقاهُ جبريلُ، وكان يلقاهُ جبريلُ في كُلِّ ليلةٍ مِنْ رمضانَ فَيُدَارِسُهُ القُرآن، فَلَرَسُوْلُ اللهِ ﷺ حينَ يلقاهُ جبريلُ أَجْوَدُ بالخيرِ من الريحِ الْمُرْسَلَةِ» متفقٌ عليه.

والريحُ المُرْسَلَةُ: الْمُطْلَقَةُ دَائِمَةُ الْهُبُوْبِ.

وعن جابرٍ رضيَ اللهُ عنهُ قال: مَا سُئِلَ رسولُ الله ﷺ شَيئاً فقالَ «لا»... متفقٌ عليه.

وعن سهلِ بن سَعدٍ رضيَ اللهُ عنهُ، أَنَّ امرأةً جاءَتْ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ بِبُرْدَةٍ منسوجةٍ، فقالت: نَسجتُها بيدَيَّ لأَكْسُوَكَهَا، فأخذَها النبيُّ ﷺ مُحتاجاً إليهَا، فخرجَ إلينا وإنَّها إزارهُ، فقال فلانٌ: اكسنِيها ما أحسنَهَا! فقال: «نعم» فجلسَ النبيُّ ﷺ في المجلسِ، ثُمَّ رَجَعَ فَطَوَاهَا، ثُمَّ أرسلَ بها إليه: فقالَ لَهُ القومُ: ما أحسنتَ! لَبِسَهَا النبيُّ ﷺ مُحتاجاً إليها، ثم سألتَهُ وَعَلِمْتَ أَنَّهُ لا يَرُدُّ سائلاً، فقال: إنِّي واللهِ ما سألتُه لأَلْبَسَهَا، إنما سألتُه لِتكونَ كَفَنِي. قال سهلٌ: فكانت كَفَنَهُ. رواهُ البخاريُّ.

وصدقَ المتنبِّي حين قال:

ولو لم تكنْ في كفِّهِ غيرُ نفسِهِ

لَجَادَ بِهَا فَلْيَتَّقِ اللَّهَ سَائِلُهْ

وعن أنسٍ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ: مَا سُئِلَ رسولُ الله ﷺ عن الإسلامِ شيئاً إلاَّ أعطاهُ، ولقد جاءَهُ رجلٌ فأعطاهُ غَنَماً بين جَبَلَيْنِ فرجعَ إلى قومِهِ فقالَ: يا قومِ أَسْلِمُوا فإنَّ مُحَمَّداً يُعْطِي عطاءَ مَنْ لا يَخْشَى الْفَقْرَ، وإنْ كانَ الرجلُ لَيُسْلِمُ مَا يُرِيدُ إلاَّ الدُّنيا فما يَلْبَثُ إلاَّ يَسيراً حتَّى يكونَ الإسلامُ أَحَبَّ إليه من الدُّنيا وما عليها» رواه مسلم.

وقال ﷺ: «أَعْطُونِي رِدَائِي، فَلَو كَانَ لِي عَدَدُ هذه العِضَاةِ نَعَماً لَقَسَمْتُهُ بَيْنَكُمْ، ثُمَّ لا تَجدونِي بَخِيلاً وَلا جَبَاناً» أخرجه البخاري عن جُبَيْرِ بن مُطْعِمٍ رضيَ اللهُ عنهُ.

ففي هذا الحديثِ فَوائِدُ: منها الحثُّ على الجودِ في كلِّ وقتٍ والزيادةِ منه في رمضانَ.

قالَ ﷺ مُرَغِّباً أُمَّتَهُ بِالْبَذْلِ وَالسَّخَاءِ.

قالَ: «مَنْ فَطَّرَ صَائِماً كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ غَيْرَ أَنَّهُ لاَ يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِ الصَّائِمِ شَيْءٌ». رواهُ الترمذيُّ عن زيد بن خالد.

وهذه السُّنَّةُ تُطَبَّقُ مِنْ أهلِ الخيرِ في كويتِ الخيرِ والعطاءِ بأسلوبٍ يُفْرِحُ صُدورَ المؤمنين، فَمَوائِدُ إفطارِ الصائمِ تُقيمُها لِجانُ الخيرِ في كويتِ الخيرِ في أنحاءِ المعمورةِ فجزاكم اللهُ خيراً يا أهلَ الخيرِ، وَأَخْلَفَ عليكم ما أَنْفَقْتُمْ في سبيلِهِ.

وقالَ ﷺ: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ» (متفق عليه).

وعنهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، وَلاَ يَقْبَلُ اللَّهُ إِلاَّ الطَّيِّبَ، فَإِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُهَا بِيَمِينِهِ ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهَا كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فُلُوَّهُ، حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ» متفق عليه، الفُلُوُّ، هو المُهْرُ.

وعن أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «مَا مِنْ يَومٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلاَّ مَلَكَانِ يَنْزِلاَنِ فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقاً خَلَفاً وَيَقُولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكاً تَلَفاً» متفقٌ عليه.

وعنهُ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ: قالَ اللهُ تعالى: «أَنْفِقْ يُنْفَقْ عَلَيْكَ» متفقٌ عليه.

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي اللهُ عنهما أنَّ رجلاً سألَ رسولَ اللهِ

ﷺ : أَيُّ الإسلامِ خيرٌ؟ قال : «تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتُقْرِأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ» متفقٌ عليه.

ثالثاً : كان ﷺ لا يَفْتُرُ لسانُهُ من ذكرِ اللهِ تعالى لا في رمضانَ ولا في غيرِه، وأفضلُ الذِّكر للهِ تعالى تِلاوةُ القُرآنِ الكريمِ وَمُدَارَسَتُهُ، وكانَ ﷺ يُضاعفُ جَهْدَهُ في مُدَارَسَةِ كتابِ اللهِ عزَّ وجلَّ معَ أمينِ الوحي جبريلَ عليه السلامُ، قالَ ابن عباس رضيَ اللهُ عَنْهُمَا : «كَانَ يَلْقَاهُ جِبْرِيْلُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ» متفقٌ عليه.

فرمضانُ ـ يا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ـ شهرُ القرآنِ قالَ تعالى : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ﴾ (البقرة: ١٨٥)، وقالَ سبحانَهُ : ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۝١ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ۝٢ ﴾ (القدر) وليلةُ الْقَدْرِ هي في رَمضانَ المباركِ .

أيُّها المسلمون :

جِدُّوا في هذه الأيَّامِ المباركةِ بتلاوةِ كتابِ اللهِ.

قال ﷺ مُرَغِّباً أمَّتَه بتلاوةِ الكتابِ العزيزِ :

عن أبي أمامةَ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ : «اقْرَؤوا القرآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيْعاً لأَصْحَابِهِ» رواهُ مسلمٌ.

وعنْ عائشةَ رضيَ اللهُ عنها قالتْ : قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : «الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَهُوَ مَاهِرٌ بِهِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ، وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيْهِ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ لَهُ أَجْرَانِ» متفقٌ عليه.

والمُراد بالسَّفَرَةِ: الرُّسُلُ مِنَ الملائكةِ المطيعينَ الكرامِ فيكونُ قارئُ القُرْآنِ معهم في مَنَازِلِهِمْ في الآخِرَةِ.

وقال ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الأُتْرُجَّةِ: رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ» (متفقٌ عليه).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَنْ قَرَأَ حَرْفاً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ حَسَنَةٌ، والْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لاَ أَقُوْلُ: ألم حَرْفٌ، وَلَكِنْ: أَلِفٌ حَرْفٌ، وَلاَمٌ حَرْفٌ، وَمِيْمٌ حَرْفٌ» رواهُ الترمذيُّ وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

أيُّها المسلمون:

حَقٌّ كتابِ اللهِ تعالى علينا عَظِيْمٌ فَمِنْ حَقِّهِ علينا:

أولاً: أَنْ نَتَعَلَّمَ قِراءَتَهُ كَمَا أَمَرَنَا سُبْحَانَهُ: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾ (المزمل: ٤)، وأنْ نحفظَ منهُ مَا تَيَسَّرَ فإنَّ في حِفْظِهِ فَضْلاً عَظِيْماً.

قال ﷺ: «يُقالُ لِصَاحِبِ القُرآنِ: اقْرَأْ وَارْتَقِ وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَؤُهَا». (أخرجه أبوداود عن عبدالله بن عمرو بن العاص).

وعلينا أَنْ نُعَلِّمَهُ أَبْنَاءَنَا وَبَنَاتِنَا.

ثانياً: علينا أنْ نجتهدَ في فهمِ كتابِ اللهِ سبحانَهُ وَتَدَبُّرِ آياتِه كَمَا أَمَرَنَا اللهُ سبحانهُ وتعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الأَلْبَابِ ﴿٢٩﴾﴾ (ص).

وقالَ سبحانه: ﴿أَفَلا يَتدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا (٨٢)﴾ (النساء).

وقالَ سبحانه: ﴿أَفَلا يَتدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا (٢٤)﴾ (محمد)، فَتَعَلُّمِ قِراءَةِ الْقُرْآنِ وحِفْظِهِ لاَ يَكْفِي بَلْ لا بُدَّ مِنْ أَنْ نَفْهَمَهُ كَمَا بَيَّنَهُ وَفَسَّرَهُ رَسُوْلُ اللَّهِ ﷺ وأصحابُهُ والتابعون، فهم خَيرُ مَنْ فَقِهَ الكتابَ الكريمَ.

الخطبة الثانية:

عبادَ الله: ثالثاً: علينا أَنْ نعملَ بما في كتابِ اللهِ تعالى، فَنُحِلَّ حَلاَلَهُ، وَنُحَرِّمَ حَرَامَهُ، ونقومَ بما أوجبَ علينا، وأنْ نُحَكِّمَهُ في جميعِ شؤونِ حياتنا الاقتصادية والاجتماعية والتربوية قال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥١) وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ (٥٢)﴾ (النور).

وقال تعالى: ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ (٤٩) أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ (٥٠)﴾ (المائدة).

فَقِراءَةُ القرآنِ وَحِفْظُهُ وَفَهْمُهُ لِلتَّبَرُّكِ وَالرُّقْيَةِ وافتتاحِ المحافلِ وعلى الأمواتِ فقط دونَ عملٍ بما فيه فهذا لا يُجْدِي ولايعودُ على أمةِ الإسلامِ بالنفعِ الكاملِ والعزَّةِ، قال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَاماً وَيَضَعُ بِهِ آخَرِيْنَ» (مسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه).

رابعاً: أَنْ نُبَلِّغَ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وِفْقَ قُدْرَتِنَا واستطاعتِنا للناسِ جميعاً، فهذا الكتابُ ليس لنا فقط بل هو للناسِ جميعاً.

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ (الأعراف:١٥٨).

وقال سبحانَهُ آمراً رسولَهُ ﷺ بتبليغِ ما أُنْزِلَ عليه: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ (المائدة).

ومدحَ سبحانَهُ مُبَلِّغِي رسالتِهِ إلى خلقِهِ قائلاً: ﴿ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلاَ يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلاَّ اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيباً ﴾ (الأعراف).

وقال ﷺ: «بلِّغوا عنِّي ولو آيةً...» أخرجهُ البخاريُّ عن عبدالله بن عمرو بن العاص.

وعن النَّوَّاسِ بن سَمْعَانَ رضيَ اللهُ عنهُ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «يُؤْتَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالْقُرْآنِ وَأَهْلِهِ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ فِي الدُّنْيَا تَقْدُمُهُ سُورَةُ الْبَقَرَةِ وَآلُ عِمْرَانَ، تُحَاجَّانِ عَنْ صَاحِبِهِمَا» (رواهُ مسلمٌ).

بسم الله الرحمن الرحيم

الْجَنَّةُ وَطُلاَّبُهَا

الخطبةُ الأولىٰ:

المؤمنُ، يؤمنُ بالغيبِ قال تعالى:

﴿الٓمٓ ① ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ② الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ③ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ④ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ⑤﴾ (البقرة).

والغيبُ كلُّ غائبٍ عن الحاسَّةِ وعن علْمِ الإنسانِ ويُقالُ للشيءِ غَيبٌ وغائبٌ باعتبارِه للنَّاسِ لا بالنِّسْبَةِ للَّهِ فإنَّهُ لا يَغيبُ عنهُ شيءٌ.

وقوله في الآية ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ مَا لا يقعُ تحتَ الحواسِ ولا تَقْتَضيْهِ بدايةُ العقولِ، وإنَّما يُعلمُ بِخَبَرِ الأنبياءِ عليهم السلامُ، مثلُ الجنَّةِ والنَّارِ وعذابِ القبرِ وغيرِ ذلك، وبدفعِهِ يقعُ على الإنسانِ اسمُ الإلحادِ.

ومنْ أمورِ الغيبِ التي يجبُ على المؤمنِ أنْ يؤمنَ بِهَا الإيمانُ بالجنَّةِ دارِ السلامِ، ومَقَرِّ المؤمنين والمؤمناتِ بالآخرةِ، تعالَوا أيُّها ـ المسلمون ـ أُحَدِّثْكُمْ بما تَيَسَّرَ عن الجنَّةِ وطُلاَّبِها، وحديثي مَعَكُمْ عنها وعنْ أهْلِهَا يدورُ حولَ النِّقَاطِ التاليةِ:

أولاً : الجَنَّةُ مَخْلُوْقَةٌ مَوْجُوْدَةٌ الآنَ .

ثانياً : بَيَانُ مَا أَعَدَّ اللَّهُ فِيْهَا لِلْمُؤْمِنِيْنَ .

ثالثاً : حِرْصُ الصَّحَابَةِ عَلَىٰ طَلَبِهَا .

رابعاً : حِرْصُ الْمُؤْمِنَاتِ عَلَى طَلَبِ الْجَنَّةِ .

خامساً : كَيْفَ نَكُوْنُ مِنْ أَهْلِهَا ؟

عبادَ الله : الجنةُ مخلوقةٌ موجودةٌ الآنَ وهذه عقيدةُ المسلمين .

قالَ الطَّحاويُّ في عقيدةِ أهلِ الفرقةِ النَّاجيةِ : والجنَّةُ والنَّارُ مَخْلُوْقَتَانِ ، لاَ تَفْنَيَان أبداً ولا تَبِيْدَانِ ، فإنَّ اللهَ تعالى خَلَقَ الجنَّةَ والنَّارَ قَبْلَ الخَلْقِ .

وقال شارِحُ الطَّحاوية مُحمَّدُ بنُ أبي العزِّ الحنفيَ فَاتَّفَقَ أَهلُ السنَّةِ : على أَنَّ الجنَّةَ والنَّارَ مَخْلُوْقَتَانِ مَوْجُوْدَتَانِ الآنَ ولم يَزَلْ أَهْلُ السُّنَّةِ عَلى ذلك ، حتَّى نَبَغَتْ نَابِعَةُ الْمُعْتَزِلَةِ وَالْقَدَرِيَّةِ فَأَنْكَرَتْ ذَلِكَ .

والدليلُ على وجودِها الآن : قوله تعالى : ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣)﴾ (آل عمران) وعن النَّارِ ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (٢٤)﴾ (البقرة) ، وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ (١٣) عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ (١٤) عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ (١٥)﴾ (النجم) ، وقدْ رأىٰ النَّبيُّ ﷺ سِدْرَةَ الْمُنْتَهَى ، ورأى عِنْدَهَا جَنَّةَ الْمَأْوَىٰ .

كما في الصحيحين ، من حديثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قصةِ الإسراءِ .

وفي آخرِهِ : «ثُمَّ انْطَلَقَ جِبْرِيْلُ حَتَّى أَتَىٰ سِدْرَةَ الْمُنْتَهَىٰ ، فَغَشِيَهَا أَلْوَانٌ لاَ أَدْرِي مَا هِيَ ، قَالَ : ثُمَّ دَخَلْتُ الْجَنَّةَ ، فَإِذَا فِيْهَا حَبَّاتُ اللؤلُؤِ ، وَإِذَا تُرَابُهَا الْمِسْكُ» .

وَالأَدِلَّةُ الَّتِي تَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ الْجَنَّةَ مَخْلُوقَةٌ، وَمَوْجُودَةٌ كَثِيرَةٌ، فَيَجِبُ عَلَىٰ الْمُسْلِمِ أَنْ يُؤْمِنَ بِذَلِكَ، كَمَا آمَنَ سَلَفُ الأُمَّةِ مِنْ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِيْنَ وَالأَئِمَّةِ الأَرْبَعَةِ وَغَيْرِهِمْ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ جَمِيْعاً.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِيْنَ مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلاَ خَطَرَ عَلَىٰ قَلْبِ بَشَرٍ، واقرؤوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿ فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ (السجدة) متفقٌ عليه.

ثانياً: بيانُ ما في الجنَّةِ من نَعِيْمٍ:

وعنْ أبي هريرةَ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «أَوَّلُ زُمْرَةٍ يَدْخُلُوْنَ الْجَنَّةَ فِي صُوْرَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، ثُمَّ الَّذِيْنَ يَلُوْنَهُمْ عَلَىٰ أَشَدِّ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً، لا يَبُوْلُوْنَ وَلاَ يَتَغَوَّطُوْنَ، وَلاَ يَتْفُلُوْنَ، وَلاَ يَتَمَخَّطُوْنَ، أَمْشَاطُهُمْ الذَّهَبُ، وَرَشْحُهُمْ الْمِسْكُ، وَمَجَامِرُهُمُ الأُلُوَّةُ ـ عُوْدُ الطِّيْبِ ـ أَزْوَاجُهُمْ الْحُوْرُ الْعِيْنِ، عَلَى خَلْقِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، عَلَىٰ صُوْرَةِ أَبِيْهِمْ آدَمَ سِتُّوْنَ ذِرَاعاً فِي السَّمَاءِ» (متفق عليه).

وفي روايةٍ للبُخَارِيِّ ومسلمٍ: «آنِيَتُهُمْ فِيهَا الذَّهَبُ، وَرَشْحُهُمُ الْمِسْكُ، وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ يُرَىٰ مُخُّ سُوْقِهِمَا مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ مِنَ الْحُسْنِ، لاَ اخْتِلاَفَ بَيْنَهُمْ، وَلاَ تَبَاغُضَ: قُلُوْبُهُمْ قَلْبُ رَجُلٍ وَاحِدٍ، يُسَبِّحُوْنَ اللَّهَ بُكْرَةً وَعَشِيًّا».

أيُّها المسلمون والمسلماتُ:

الدُّنيا دارُ النقصِ، ففيها المرضُ، فمَن منَّا لا يمرضُ؟ وفيها البُؤْسُ، فَمَنْ منَّا مُنَعَّمٌ طُولَ حياتِه؟ وفيها المشيبُ وضَعْفُ الحواسِ إذا تأخَّرَ مَلَكُ الموتِ عنَّا، وكأسُ الموتِ لابدَّ لكُلِّ ذَكَرٍ وأُنْثَىٰ أَنْ يَتجرَّعَهُ، أَمَّا الْجَنَّةُ فَنَعِيْمُهَا وَشَبَابُهَا فَدَائِمٌ وَلاَ مَرَضَ وَلاَ مَوْتَ فِيْهَا.

وعَنْ أبي سعيدٍ وأبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُمَا أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ يُنَادِي مُنَادٍ: إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيَوْا، فَلاَ تَمُوْتُوا أَبَداً، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا، فَلاَ تَسْقَمُوا أَبَداً، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشُبُّوا فَلاَ تَهْرَمُوا أَبَداً، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا، فَلاَ تَبْأَسُوا أَبَداً» (رواهُ مُسْلِمٌ).

النَّاسُ يحرصونَ على نعيمِ الدُّنيا، ويُؤْثِرُوْنَهُ عَلَى نعيمِ الآخرةِ، ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٧﴾﴾ (الاعلى) رَغْمَ أَنَّ أَدْنَىٰ رَجُلٍ فِي الْجَنَّةِ يَمْلِكُ عَشْرَةَ أَمْثَالِ الدُّنْيَا!!.

وعنْ ابنِ مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي لأعلمُ آخِرَ أهلِ النارِ خُروجاً منها، وآخِرَ أهلِ الجنَّةِ دُخولاً الجنَّةَ، رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ حَبْواً، فيقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ لهُ: اذْهَبْ فادخلِ الجنَّةَ، فيأتيها، فَيُخَيَّلُ إليهِ أَنَّها مَلأَى، فَيَرْجِعُ، فيقولُ: يا رَبِّ! وَجَدْتُهَا مَلأَى، فيقولُ اللَّهُ عزَّ وجلَّ لهُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ، فيأتيها، فيُخَيَّلُ إليه أَنَّهَا مَلأَى، فَيَرْجِعُ. فيقولُ: يا ربِّ! وَجَدْتُهَا مَلأَى، فيقولُ اللَّهُ عزَّ وجلَّ لهُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ. فإن لك مثل الدُّنيا وعشرةَ أمثالِها، أَوْ إِنَّ لَكَ مِثْلَ عَشْرَةِ أَمْثَالِ الدُّنْيَا، فَيَقُوْلُ: أتسخرُ بي، أَوْ تَضْحَكُ بِي وَأَنْتَ

الْمَلِكُ» قال: فلقد رأيتُ رسولَ الله ﷺ ضحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ فَكَانَ يَقُوْلُ: «ذَلِكَ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً» (متفقٌ عليه).

فأيْنَ الْقُلُوْبُ الَّتِي تُصَدِّقُ بِهَذَا النَّعِيْمِ الْعَظِيْمِ فَتُشَمِّرُ لِطَلَبِهِ.

ثالثاً: حِرْصُ الصَّحَابَةِ عَلَى طَلَبِ الْجَنَّةِ:

إنَّ للإيمانِ بالجنَّةِ أثراً عظيماً في حياةِ المسلمِ، فيدعوهُ هذا الإيمانُ لعبادةِ اللَّهِ بِجِدٍّ واجتهادٍ وقوةٍ، ويَدْعُوْهُ لبذلِ المالِ في سبيلِ اللَّهِ، ويدعوه لبذلِ النفسِ رخيصةً في سبيلِ إعلاءِ كلمةِ اللَّهِ في ميادِيْنِ الجِهادِ.

لقد آمنَ سَلَفُ الأُمَّةِ بالْجَنَّةِ، وَأَيْقَنَتْ قُلُوبُهُمْ بِذَلِكَ، فَزَهِدُوا بِنَعِيْمِ الدُّنْيَا فَكَانُوا أَئِمَّةً فِي عِبَادَةِ اللَّهِ، وَكَانُوا أَبْطَالاً فِي سَاحَاتِ الْجِهَادِ فِي سَبِيْلِ اللَّهِ.

وإليكم نَمَاذِجَ مِنْ حرصِ الصَّحابةِ على طلبِ الجنَّةِ واشتياقِهم لها رضيَ اللَّهُ عنْهُم.

قَالَ أَحَدُ السَّلَفِ: لَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى جَعْفَرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي غَزْوَةِ مُؤْتَةَ حِيْنَ اقْتَحَمَ عَنْ فَرَسٍ لَهُ شَقْرَاءَ ثُمَّ عَقَرَهَا ثُمَّ قَاتَلَ الْقَوْمَ حَتَّىٰ قُتِلَ وَهُوَ يَقُوْلُ:

يَا حَبَّذَا الْجَنَّةُ وَاقْتِرَابُهَا
طَيِّبَةٌ وَبَارِدٌ شَرَابُهَا
وَالرُّوْمُ رُوْمٌ قَدْ دَنَا عَذَابُهَا
كَافِرَةٌ بَعِيْدَةٌ أَنْسَابُهَا
عَلَيَّ إِذْ لاَقَيْتُهَا ضِرَابُهَا

قَالَ آخَرُ: إِنَّ جَعْفَرَ بنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَخَذَ اللِّوَاءَ بِيَمِيْنِهُ فَقُطِعَتْ فَأَخَذَهُ بِشِمَالِهِ فَقُطِعَتْ فَاحْتَضَنَهُ بِعَضُدَيْهِ حَتَّى قُتِلَ وَهُوَ ابنُ ثَلاثٍ وَثَلاثِيْنَ سَنَةً.

عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّهُ وَقَفَ عَلَىٰ جَعْفَرٍ يَوْمَئِذٍ، وَهُوَ قَتِيْلٌ فَعَدَدْتُ بِهِ خَمْسِيْنَ بَيْنَ طَعْنَةٍ وَضَرْبَةٍ لَيْسَ مِنْهَا شَيْءٌ فِي دُبُرِهِ، يَعْنِي فِي ظَهْرِهِ، أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ.

وهذا فيه بيانُ فَرْطِ شَجَاعَتِهِ وَإِقْدَامِهِ. وَبُطُوْلَتِهِ، أَرَأَيْتُمْ عِبَادَ اللَّهِ مَا يَفْعَلُ الإِيْمَانُ إِذَا اسْتَقَرَّ فِي قَلْبِ صَاحِبِهِ؟!.

دَنا المشركونَ مِنَ المسلمينَ. فقالَ رسولُ اللهُ ﷺ: «قُومُوا إلى جنَّةٍ عَرْضُهَا السمواتُ والأرضُ»، قال: عُميرُ بنُ الحمامِ الأنصاريّ رضي الله عنه: يا رسولَ اللهِ! جنةٌ عرضُها السمواتُ والأرضُ؟ قالَ: «نَعَمْ». قال: بَخٍ بَخٍ. فقال رسولُ الله ﷺ: «مَا يَحْمِلُكَ عَلَى قَوْلِ: بَخٍ بَخٍ؟» قال: لا والله! يا رسولَ اللَّهِ! إلاَّ رجاء أَنْ أكونَ مِنْ أهلِها. قال: فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا. قال: فَأَخْرَجَ تَمَرَاتٍ مِنْ قَرْنِهِ، فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْهُنَّ، ثمَّ قالَ: لَئِنْ أَنَا حَيِيْتُ حَتَّى آكُلَ تَمَرَاتِي هَذِهِ، إِنَّهَا حَيَاةٌ طَوِيْلَةٌ، قال: فَرَمَى مَا كَانَ مَعَهُ مِنْ التَّمْرِ، ثُمَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ ـ رحمهُ اللهُ ـ ورواه مسلم أيضاً كذا في البداية (ج٣ ص٢٧٧). وَأَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ (ج٩ ص٩٩)، أيضاً بِطُوْلِهِ، والحاكمُ (ج٣ ص٤٢٦) مُخْتَصَراً.

وذكروا أن عُمَيْراً قاتلَ وهو يقولُ رضيَ اللهُ عنهُ:

رَكْضاً إِلَى اللَّهِ بِغَيْرِ زَادِ
إِلاَّ التُّقَىٰ وَعَمَلِ الْمَعَادِ

وَالصَّبْرِ فِي اللَّهِ عَلَى الْجِهَادِ

وَكُلُّ زَادٍ عُرْضَةُ النَّفَادِ

غَيْرَ التُّقَى وَالْبِرِّ وَالرَّشَادِ

وَكَانَ أبوموسى وهو بحضرة الْعَدُوِّ، يقول: قالَ رسولُ الله ﷺ: إِنَّ أَبْوَابَ الْجَنَّةِ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ. فَقَامَ رَجُلٌ رَثُّ الْهَيْئَةِ فَقَالَ: يَا أَبَا مُوسَىٰ، أَنْتَ سَمِعْتَ رسولَ الله ﷺ يقولُ هذا؟ قالَ: نَعَم، قالَ فرجعَ إلى أصحابه فقالَ: اقْرَأُ عَلَيْكُمَ السَّلامَ، ثُمَّ كَسَرَ جَفْنَ سَيْفِهِ فَأَلْقَاهُ، ثُمَّ مَشَىٰ بِسَيْفِهِ إلى الْعَدُوِّ فَضَرَبَ بِهِ حَتَّى قُتِلَ. أخرجهُ مُسْلِمٌ (شرح مسلم ٤ / ٥٦٥).

٤ ـ نماذجُ من حرصِ المؤمناتِ الصادقاتِ على طلبِ الجنةِ:

لقد اسْتَقَرَّ الإيمانُ في قلبِ آسيا بنتِ مُزَاحِمَ زوجةِ الطاغيةِ فرعونَ، وعرفَتْ قيمةَ نعيمِ الجنَّةِ فهانَ منْ أجلِ هذا النَّعيمِ كلُّ شيءٍ، فَتَحَمَّلَتْ بلاءَ فرعون وتعذيبَه وطلبَتْ منْ ربِّها سبحانَهُ أنْ يُدْخِلَهَا الجنةَ، قال تعالى: حاكياً عن هذه المرأةِ الصالحةِ الصادقةِ.

﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾ ﴾ (التحريم).

سامَها فِرْعَوْنُ أَشَدَّ الْعَذَابِ، ولَكِنَّهَا صَمَدَتْ عَلَى إِيْمَانِهَا أَمَامَ عَدُوِّ اللَّهِ لِذَلِكَ كَمُلَتْ وَسَمَتْ فِي مَوَازِينِ السَّمَاءِ، قالَ ﷺ: «كَمُلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلاَّ آسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ، وَمَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وإِنَّ فَضْلَ

عَائِشَةَ عَلَىٰ النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيْدِ عَلَىٰ سَائِرِ الطَّعَامِ» (أخرجهُ أحمدُ وغيرُه عن أبي موسى).

وعَن عطاءِ بن أبي رَبَاحٍ قال: قال لي ابنُ عباس رَضِيَ اللهُ عنهُمَا: ألا أُريكَ امرأةً من أهلِ الجنَّةِ فقلتُ: بلى، قالَ: هذه المرأةُ السوداءُ أتت النبيَّ ﷺ فقالتْ: إنِّي أُصْرَعُ، وإنِّي أتكشَّفُ، فادْعُ اللَّهَ تعالَى لِي. قال: «إنْ شئْتِ صَبَرْتِ ولَكِ الْجَنَّةُ، وإنْ شئْتِ دَعَوْتُ اللَّهَ تعالَى أنْ يُعافِيَكِ» فقالتْ: أصْبِرُ، فقالَتْ: إنِّي أتكشَّفُ، فادْعُ اللَّهَ ألاَّ أتكشَّفَ، فدَعَا لَها. (متفق عليه).

آثَرَتْ هَذِهِ الْمَرْأَةُ السَّوْدَاءُ تَحَمُّلَ هَذَا الْبَلاَءِ، إذَا كانتِ الْعَاقِبَةُ الْجَنَّةُ، وفي الحديثِ بيانُ حِرْصِهَا عَلَى التَّستُّرِ وَعَدَمِ كَشْفِ عَوْرَتِهَا للأجانبِ رَغمَ أنَّها في مِثْلِ هَذِهِ الْحَالَةِ مَعْذُوْرَةٌ. فَأَيْنَ هَذِهِ مِنْ بَعْضِ هَؤلاءِ اللَّوَاتِي لَمْ يَبْقَ شَيْءٌ لَمْ يُظْهِرْنَهُ للأَجَانِبِ وَيَزْعُمْنَ أَنَّهُنَّ مُسْلِمَاتٌ وَيَطْمَعْنَ بِالْجَنَّةِ؟! إنَّا للهِ وَإنَّا إلَيْهِ رَاجِعُوْنَ، نسألُ اللهَ لهنَّ الهِدايَةَ.

الخطبةُ الثانيةُ:

عِبَادَ الله:

رابعاً: كيفَ نكونُ من أهلِ الجنةِ:

أولاً: أنْ نَدْعُوَ اللهَ تعالى أنْ نكونَ منْ أهلِها بقلوبٍ صادقةٍ، فالجنةُ يملكُها مَلِكُ الملوكِ سبحانَهُ وتَعَالَىٰ.

ثانياً: أنْ نعملَ الصالحاتِ، فالأعمالُ الصالحةُ سَبَبُ دُخُوْلِ الْجَنَّةِ، قال

تعالى: ﴿ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ (الزخرف)، فالدعوةُ الجوفاءُ للأيمانِ والإسلامِ لا تُغْنِي ولا تَنْفَعُ.

ثالثاً: أن نَّسعى أنْ نكونَ منَ الأتقياءِ، فالجنةُ هي دارُ الأتقياءِ في الآخرةِ، قال تعالى: ﴿ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾ ﴾ (مريم).

رابعاً: الخوفُ منَ اللهِ تعالى، قال سبحانه: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾ (النازعات).

خامساً: الْحَذَرُ منَ الْوُقُوعِ فِي الْمَعَاصِي، مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ.

فالمعصيةُ سببٌ للحرمانِ من دُخولِ الجنةِ معَ أولِ الداخلين، ومن المعاصي التي فَشَتْ في مجتمعاتِ المسلمين عَدَمُ تَستُّرِ بعضِ الفتياتِ بالحجابِ الإسلاميِّ، وَيَحْسَبْنَ ذلك هَيِّنَاً وهو عندَ اللهِ عظيمٌ.

وعن أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ، قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا، قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُوْنَ بِهَا النَّاسَ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مُمِيْلاتٌ مَائِلاتٌ، رُؤُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ، لاَ يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ، وَلاَ يَجِدْنَ رِيْحَهَا، وَإِنَّ رِيْحَهَا لَيُوْجَدُ مِنْ مَسِيْرَةِ كَذَا وَكَذَا».

اتَّقِ اللَّهَ يَا مُسْلِمَةُ فِي لِبَاسِكِ، وَاحْذَرِي عَوَاقِبَ الْمَعْصِيَةِ فإِنَّ الْمَعْصِيَةَ لَهَا عَوَاقِبُ وَخِيْمَةٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ.

بسم الله الرحمن الرحيم

مُوجَزٌ مِنْ أخبارِ أبِي القاسمِ ﷺ

الخطبةُ الأولى:

عبادَ اللهِ: أُحَدِّثُكُمْ فِي يَومِنا هذا بما تَيَسَّرَ عن سيرةِ محمدٍ ﷺ نبيِّ الهُدَى قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾ (الشورى) ورسولِ الرحمةِ قال سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ (الأنبياء) وصاحب النور قال تعالى ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ (الأعراف).

عبادَ اللهِ: ما أطيبَ والذَّ وأمتعَ الحديثَ عن إمامِ المرسلين وخاتَمِ النبيينَ وقائدِ الغُرِّ الْمُحَجَّلِيْنِ.

مُحَمَّدٌ خَاتَمُ الرُّسُلِ الَّذِي خَضَعَتْ
لَهُ الْبَرِيَّةُ مِنْ عُرْبٍ وَمِنْ عَجَمِ
سَمِيرُ وَحيٍ وَمَجْنَى حِكْمَةٍ وَنَدَى
سَمَاحَةٌ وَقِرًى عَافٍ وَرِيُّ ظَمِ
قَدْ أَبْلَغَ الْوَحْيُ عَنْهُ قَبْلَ بَعْثَتِهِ
مَسَامِعَ الرُّسْلِ قَولاً غَيْرَ مُنْكَتِمِ
فَذَاكَ دَعْوَةُ إِبْرَاهِيْمَ خَالِقَهُ
وَسِرُّ مَا قَالَهُ عِيْسَى مِنَ الْقِدَمِ

أكْـرِمْ بِـهِ، وَبِـآبَـاءٍ مُـحَـجَّـلَـةٍ
جَـاءَتْ بِـهِ غِـرَّةً فِـي الأَعْـصُـرِ الـدُّهُـمِ
قَـدْ كَـانَ فِـي مَـلَـكُـوْتِ الـلَّـهِ مُـدَّخَـراً
لِـدَعْـوَةٍ كَـانَ فِـيْـهَـا صَـاحِـبَ الْـعَـلَـمِ
نـورٌ تَـنَـقَّـلَ فِـي الأَكْـوَانِ سَـاطِـعُـهُ
تَـنَـقُّـلَ الْـبَـدْرِ مِـنْ صُـلْـبٍ إِلَـى رَحِـمِ

فَصلواتُ ربِّي، وتسليماتهُ عليه، وعلى مَنْ سَارَ على هَدْيِهِ، والحديثُ عَنْ المُصْطَفَى يطولُ ولكنْ سأتناولُ النِّقاطَ التاليَةَ:

أولاً: مَنَاقِبَ رسولِ الْهُدَى ﷺ.

ثانياً: رَحْمَتَهُ عليه الصلاةُ والسلامُ بأمته.

ثالثاً: جَانِباً مِنْ تَضْحِياتِهِ لإِسْعَادِ أُمَّتِهِ.

رابعاً: مَحَبَّةَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَوْنَهَا مِنْ الإِيمانِ.

خامساً: مَحَبَّةَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُمْ لِنَبِيِّهِم ﷺ.

سادساً: علامةَ مَحَبَّةِ النَّبِيِّ ﷺ.

أيُّها المسلمون: مَنَاقِبُ وَفَضَائِلُ رَسُولِ الله ﷺ كَثِيْرَةٌ ومما وَرَدَ في هذا:

قال ﷺ: «إِنَّ لِي أَسْمَاءً: أَنَا أحمدُ، وَأَنَا الْمَاحِي الذِّي يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْكُفْرَ، وَأَنا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَىٰ قَدَمَيَّ، وَأَنَا الْعَاقِبُ» (متفق عليه عن جُبَيْرِ بنِ مُطْعِمٍ).

والْعَاقِبُ: أي ليس بعدَهُ نبيٌّ وهذا تصديقاً لقولِ اللهِ عزَّ وجلَّ: ﴿ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ (الأحزاب: ٤٠).

قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ» (أخرجه مسلم عن أبي هريرة وضي الله عنه).

قالَ حسَانُ بنُ ثابت:

وَأَحْسَنُ مِنْكَ لَمْ تَرَ قَطُّ عَيْنِي

وَأَجْمَلُ مِنْكَ لَمْ تَلِدِ النِّسَاءُ

خُلِقْتَ مُبَرَّءاً مِنْ كُلِّ عَيْبٍ

كَأَنَّكَ قَدْ خُلِقْتَ كَمَا تَشَاءُ

وَعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُوْلُ اللَّهِ ﷺ: «أُعْطِيْتُ خَمْساً لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيْرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ مَسْجِداً وَطَهُوْراً فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلاةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْمَغَانِمُ وَلَمْ تُحَلَّ لأَحَدٍ قَبْلِي، وَأُعْطِيْتُ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً» متفق عليه.

مُحَمَّدٌ ﷺ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ، وَذَلِكَ لِشَرَفِهِ وَسُمُوِّ مَكَانَتِهِ بَيْنَ الْعَالَمِين.

قَالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتَفْتِحُ فَيَقُوْلُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُوْلُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُوْلُ: بِكَ أُمِرْتُ أَنْ لاَ أَفْتَحَ لأَحَدٍ قَبْلَكَ» أخرجه مسلم عن أنس رضي الله عنه.

وقال ﷺ: «أَنَا أَوَّلُ مَنْ يَقْرَعُ بَابَ الْجَنَّةِ» (أخرجه مسلم عن أنس رضي الله عنه).

ثانياً: رَحْمَتُهُ بِأُمَّتِهِ ﷺ:

يَقُوْلُ تَعَالَىٰ مُمْتَناً عَلَيْنَا بِمَا أَرْسَلَ إِلَيْنَا مِنْ رَسُوْلٍ كَرِيْمٍ مِنَّا يَتَكَلَّمُ بِلُغَتِنَا وَمِنْ جِنْسِنَا ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (١٢٨) ﴾ (التوبة)..

فَمِنْ رَحْمَتِهِ بِأُمَّتِهِ أَنَّهُ يَعِزُّ عَلَيْهِ الشَّيْءُ الَّذِي يُعَنِّتُ أُمَّتَهُ، وَيَشُقُّ عَلَيْهَا، وَمِنْ حُبِّهِ لأُمَّتِهِ أَنَّهُ حَرِيْصٌ عَلَى هِدَايَتِهَا.

عن ابن مسعود رضي اللهُ عنهُ قالَ: قالَ لي النبيُّ ﷺ: «اقرأْ عليَّ القرآنُ» فقلتُ: يا رسولَ اللهِ، أقرأُ عليكَ وعليكَ أُنزلَ؟ قالَ: «إِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي» فقرأتَ عليهِ سورةَ النساءِ حتَّى جئتُ إلى هذه الآيةِ: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ شَهِيدًا (٤١) يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا (٤٢) ﴾ (النساء) قال ﷺ: «حَسْبُكَ الآنَ» فالتفتُ إليهِ فإذا عيناهُ تَذْرِفَانِ» (متفق عليه) لَوْ تُسَوَّى: لَو انْشَقَّتْ وَبَلَعَتْهُمْ مِمَّا يَرَوْنَ مِنْ أَهْوَالِ الْمَوْقِفِ وَمَا يَحِلُّ بِهِمْ مِنَ الْفَضِيْحَةِ وَالْخِزْيِ.

قالَ الحافظُ: وَسَبَبُ بُكَائِهِ رَحْمَةً لأُمَّتِهِ، لأَنَّهُ عَلِمَ أَنَّهُ لاَ بُدَّ، أَنَّهُ يَشْهَدُ عَلَيْهِمْ بِعَمَلِهِمْ، وَعَمَلُهُمْ قَدْ لاَ يَكُوْنُ مُسْتَقِيْماً، فَقَدْ يُفْضِي إِلَىٰ تَعْذِيْبِهِم.

ثالثاً: جانبٌ من تضحياته لإسعادِ أمته:

ضَحَّى ﷺ من أجلِ إقامةِ الدِّينِ في أمته وإيصالِ الهُدَى إليهم تَضْحِيات كبيرةً ففي يومِ أُحُدٍ، حَمَلَ عليه أحدُ فُرسانِ قريشٍ ابنُ قَمَيْئَةَ وهو يقولُ: (أينَ محمدٌ لا نجوتُ إن نجا؟) وأثناءَ صِراعِه ضربَ النبيَّ ﷺ على عاتقِه ضربةً عنيفةً شَكَا بِسَبَبِهَا ﷺ أَكْثَرَ مِنْ شَهْرٍ.

كَمَا شُجَّ وَجْهُهُ الشَّرِيْفُ، شَجَّةً كَبِيْرَةً بَقِيَ أَثَرُهَا فِي وَجْهِهِ حَتَّى الْتَحَقَ بِالرَّفِيْقِ الأَعْلَى. وَلَمَّا جُرِحَ ﷺ جَعَلَ الدَّمُ يَسِيْلُ بِغَزَارَةٍ عَلَىٰ وَجْهِهِ الشَّرِيْفِ وَأَخَذَ يَمْسَحُ الدَّمَ وَهُوَ يَقُوْلُ: كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ خَضَبُوا وَجْهَ نَبِيِّهِم وَهُوَ يَدْعُوْهُمْ إِلَى رَبِّهِم، اشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى قَوْمٍ أَدْمُوْا وَجْهَ رَسُوْلِ اللَّهِ.

كَذَلِكَ انْكَسَرَتْ رَبَاعِيَّتُهُ السُّفْلَى وَانْشَقَّتْ شَفَتُهُ عِنْدَمَا قَذَفَهُ بِحَجَرٍ كَبِيْرٍ عُتْبَةُ بن أَبِي وَقَّاصٍ.

كَمَا وَقَعَ فِي حُفْرَةٍ عَمِيْقَةٍ فَجُرِحَتْ رُكْبَتَاهُ، وَأُغْمِيَ عَلَيْهِ، وَسَارَعَ الصَّحَابَةُ لإِنْقَاذِهِ وَالدِّفَاعِ عَنْهُ.

وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنْ عُرْوَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَأَلْتُ ابنَ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقُلْتُ: أَخْبِرْنِي بِأَشَدِّ شَيْءٍ صَنَعَهُ الْمُشْرِكُوْنَ بِرَسُوْلِ اللَّهِ ﷺ. قَالَ: بَيْنَمَا النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي فِي حِجْرِ الْكَعْبَةِ إِذْ أَقْبَلَ عَلَيْهِ عُقْبَةُ بنُ أَبِي مُعَيْطٍ فَوَضَعَ ثَوْبَهُ عَلَى عُنُقِهِ فَخَنَقَهُ خَنْقاً شَدِيْداً، فَأَقْبَلَ أَبُوبَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَتَّى أَخَذَ بِمَنْكِبِهِ وَدَفَعَهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وقال: أَتَقْتُلُوْنَ رَجُلاً أَنْ يَقُوْلَ رَبِيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ».

مُحَمَّدُنَا مُوْقِدٌ نَارَهَا
وَمُهْدٍ إِلَى الْكَوْنِ أَنْوَارَهَا
أَعَادَ إِلَىٰ النَّاسِ تَوْحِيْدَهَا
وَأَرْسَخَ فِي الأَرْضِ أَحْجَارَهَا
وَخَلَّصَهَا مِنْ قُيُوْدٍ ثِقَالٍ
فَقَدْ أَثْقَلَ الْكُفْرُ أَوْزَارَهَا
أَزَالَ التُّرَابَ تُرَابَ الْقُرُوْنِ
وَجَهْلَ النُّفُوْسِ وَأَوْضَارَهَا
وَدَوَّتْ بِمَكَّةَ آيَاتُهَا
فَرَدَّدَتِ الْبِيْدُ أَخْبَارَهَا
وَزُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا
وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ فُجَّارَهَا
وَقَامَ النَّكِيْرُ بِأَرْجَائِهَا
وَسَعَّرَ كُهَّانُهَا نَارَهَا
وَزَمْجَرَ مِنْ حِقْدِهِ حَبْرُهَا
وَتَتَّبِعُ الْبِيْدُ أَحْبَارَهَا
وَضَاقَتْ صُدُوْرُ الْعِدَا فَانْبَرَوْا
لِيُجْلُوا عَلَى الأَرْضِ مِغْوَارَهَا

أيُّها المسلمون: مَحَبَّةُ النَّبيِّ مِنَ الإيْمَانِ:

عن أنسٍ أنَّ رَسُوْلَ اللَّه ﷺ قال: «لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُوْنَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِيْنَ» أخرجاه عن أنس رضي الله عنه.

عبادَ اللَّه: لاَ يحصلُ لأحدٍ الإيمانُ الذي تَبْرأُ بِهِ ذِمَّتُهُ، وَيَسْتَحِقُّ بِهِ دُخُوْلَ الْجَنَّةِ بِلاَ عَذَابٍ حَتَّى يَكُوْنَ الرَّسُوْلُ ﷺ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَهْلِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِيْنَ، بَلْ لاَ يَحْصُلُ لَهُ ذَلِكَ حَتَّىٰ يَكُوْنَ الرَّسُوْلُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ نَفْسِهِ أَيْضاً، كَمَا فِي حَدِيْثِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: «لأَنْتَ يَا رَسُوْلَ اللَّه أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلاَّ نَفْسِي فَقَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ حَتَّى أَكُوْنَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: فَإِنَّكَ الآنَ وَاللَّهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي فَقَالَ: الآنَ يَا عُمَرُ» أخرجه البخاري.

علينا أيُّها المسلمون أيَّتُها المسلماتُ أَنْ نُفَتِّشَ في قلوبِنا: هل لهذا النبيِّ الكريمِ محبةٌ عندنا أم لا؟!.

لَقَدْ عُمِرَتْ قُلُوْبُ الصَّحَابَةِ بِحُبِّ مُحَمَّدٍ ﷺ.

رَجَعَ عُرْوَةُ بنُ مَسْعُوْدٍ الثَّقَفِيُّ مِنْ الْحُدَيْبِيَّةِ بَعْدَ أَنْ الْتَقَى بِمُحَمَّدٍ ﷺ إِلَى قريشٍ فقالَ: أَيْ قَوْمِ، واللَّهِ لَقَدْ وَفدتُ عَلَى الْمُلُوك، وَفدتُ عَلَى قَيْصَرَ وَكِسْرَى والنَّجَاشي، واللهِ مَا رَأَيْتُ مَلِكاً قَطُّ يُعَظِّمُهُ أَصْحَابُهُ مَا يُعَظِّمُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ مُحَمَّداً، إِذَا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ، وإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُوْنَ عَلَى وضوئِهِ، وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهم، وَمَا يُحِدُّوْنَ النَّظَرَ إِلَيْهِ تَعْظِيماً لَهُ.

وعن سعدِ بنِ أبي وَقَّاصٍ قال: مَرَّ رسولُ الله ﷺ بامرأةٍ من بني دِيْنَارٍ وقد أُصِيْبَ زَوْجُهَا وَأَخُوْهَا وَأَبُوْهَا مَعَ رَسُوْلِ اللَّهِ ﷺ بِأُحد، فَلَمَّا نُعُوا لَهَا قَالَتْ فَمَا فَعَلَ رَسُوْلُ اللَّهِ ﷺ؟

قالوا: خَيْراً يَا أُمَّ فُلانٍ، هُوَ بِحَمْدِ اللَّهِ كَمَا تُحِبِّيْنَ، قَالَتْ: كُلُّ مُصِيْبَةٍ بَعْدَكَ جَلَلٌ! تُرِيْدُ صَغِيْرَةً.

أيَّتُها المسلماتُ، هانَ على هذه الصحابيةِ الجليلةِ فقدانَ هؤلاءِ الأحبةِ فداءً لدينِ اللهِ، وفداءً لرسولِ اللهِ ﷺ ولكنَّها لم تَتَحَمَّلْ أَنْ يُصَابَ الحبيبُ بأيِّ لونٍ منَ الأذى، لذلك لَـمَّا أعْلَمُوها أنَّهُ بخيرٍ سالِمٌ، قالتْ: كُلُّ مُصِيْبَةٍ بَعْدَكَ سَهْلَةٌ يَسِيْرَةٌ بَسِيْطَةٌ تُحْتَمَلُ

فِي يومِ أُحُدٍ عندما سَقَطَ رسولُ اللَّهِ ﷺ فِي الْحُفْرَةِ وَانْهَالَتْ عَلَيْهِ سِهَامُ الْمُشْرِكين كالمطرِ سَوَّرَ بِنَفْسِهِ أَبُودُجَانَةَ الأنصاريُّ على رسولِ اللَّهِ ﷺ فَكَانَتْ السِّهَامُ تُغْرَزُ فِي ظَهْرِهِ بِكَثْرَةٍ حَتَّىٰ شُبِّهَ ظَهْرُهُ بِظَهْرِ الْقُنْفُذِ.

أيها المسلمون: هذا نموذجٌ سامٍ من فداءِ الصحابةِ رسولَ اللهِ ﷺ بأنفسِهم وأرواحِهم وأبدانِهم فها هي السِّهامُ تُمَزِّقُ جَسَدَ أبي دُجَانَةَ دونَ الحبيبِ صلواتُ اللهِ وسلامهُ عليه.

الخطبة الثانية:

عِبادَ الله: فَاتِّبَاعُ النَّبِيِّ ﷺ والاقتداءُ به والسيرُ على نَهْجِهِ والتَّمَسُّكُ بسنتِهِ واقتفاءُ آثارِهِ واتِّباعُ أقوالِهِ وأفعالِهِ وامتثالُ أوامِرِهِ، واجتنابُ نواهيه

والتأدبُ بآدابه في العُسرِ واليُسرِ والْمَنْشَطِ والْمَكْرَهِ، هو أولُّ علامات مَحَبَّته ﷺ، فالصادقُ في حُبِّ النَّبيِّ ﷺ هُوَ مَنْ تَظْهَرُ عليه هذه العَلامَةُ فيكونُ مُتَّبِعاً للرسولِ ﷺ ظاهراً وباطناً ومُؤْثِراً لِمُوَافَقَتِهِ فِي مُرَادِهِ بحيثُ يكونُ فعلهُ وقولُهُ تَبَعاً لِمَا جَاءَ بِهِ النَّبيُّ ﷺ.

﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّوْنَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوْنِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ (آل عمران).

فالمسلمُ الذي يحبُّ رسولَ الله ﷺ يتبعُه في عبادته فيصلي ويحجُّ على سُنَّته: «صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي»، «وخُذُوا عنِّي مَنَاسِكَكُم»، وكذلك يتبعُه في أخلاقِه وتَعَامُلِه مع الناسِ، فلا يُؤْذِي الناسَ بِلِسَانِه فـ«سِبَابُ المسلمِ فُسُوْقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ»، وَيَجْتَنِبُ ما حَرَّمَ اللهُ ورسولُهُ من مُوبِقَاتٍ قالَ ﷺ: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوْبِقَاتِ» قالوا: وما هُنَّ يا رسولَ الله؟ قال: «الشِّرْكُ باللَّه، والسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتي حَرَّمَ اللَّهُ إلاَّ بالحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ اليَتِيْمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الغَافِلاتِ الْمُؤْمِنَاتِ» (أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه).

وعلامَةُ محبة المسلمة لرسولِ الله ﷺ أن تتَّبعَ ما جاء به من هَدْيٍ في لِبَاسِهَا فلا تُظْهِرُ زِيْنَتَهَا لغَيْرِ مَحَارِمِهَا ﴿وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ... ﴾ (النور: ٣١) كما أنها لا تَخْتَلِي مع الرجالِ الأجانبِ، ولا تسافرُ إلاَّ معَ ذي مَحْرَمٍ، ولا تَخْضَعُ في قولها عندَ مخاطبةِ الرجال، وتُطيعُ زوجَها بالمعروف وَتَحْفَظُهُ في غَيْبَتِهِ فِي عيالِهِ ومالِهِ.

بسم الله الرحمن الرحيم

خيارُ المؤمنين الأقوياء

الخطبة الأولى:

أيُّها المسلمون:

(خيارُ المؤمنينَ الأقوياءُ) هذا هو عُنوانُ خطبتِنا في يومِنا هذا إنْ شاءَ اللهُ تعالى.

وعَناصِرُ خُطْبَتِنَا هي:

١ ـ مِن أسماءِ اللهِ القَوِيّ.

٢ ـ أَثَرُ الإيمانِ بصفةِ قُوَّةِ اللَّهِ.

٣ ـ الحَذَرُ مِنَ الاغْتِرارِ بِقُوَّتِنَا.

٤ ـ أُمِرْنَا أَنْ نُقِيمَ الدِّيْنَ بِقُوَّةٍ.

٥ ـ اللَّهُ يُحِبُّ عِبَادَهُ الأَقْوِيَاءَ.

٦ ـ مَفْهُوْمُ القوَّةِ الَّتِي يُحِبُّهَا اللَّهُ.

٧ ـ السَّبِيْلُ إلى قُوَّةِ أُمَّةِ الإِسْلامِ.

أيها المسلمون: من أسماءِ اللهِ القويّ:

قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٥٢﴾ ﴾ (الأنفال).

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾ (الحج).

وقال تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾﴾ (الأحزاب).

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ (الذاريات).

اللهُ تباركَ وتعالى قويٌّ لا يغلبُهُ غالبٌ، ولا يفوتُهُ هاربٌ، ولا يَرُدُّ قضاءَهُ رادٌّ، يَنْفُذُ أَمْرَهُ، ويَمْضِي قَضَاءَهُ في خَلْقِهِ، شَدِيْدٌ عِقَابُهُ لِمَنْ كَفَرَ بآياتِهِ وَجَحَدَ حِجَجَهُ.

الشَّدِيْدُ الَّذِي لاَ تَنْقَطِعُ قُوَّتُهُ، وَلاَ تَلْحَقُهُ فِي أَفْعَالِهِ مَشَقَّةٌ، وَلاَ يَمَسُّهُ لُغُوْبٌ.

وقال ابنُ الْقَيِّمِ:

وَهُوَ الْقَوِيُّ لَهُ الْقُوى جَمْعَاً
تَعَالَى رَبُّ ذِي الأَكْوَانِ وَالأَزْمَانِ

وَهُوَ الْعَزِيْزُ فَلَنْ يُرَامَ جَنَابُهُ
أَنَّى يُرَامُ جَنَابُ ذِي السُّلْطَانِ

وَهُوَ الْعَزِيْزُ الْقَاهِرُ الْغَلاَّبُ لَمْ
يَغْلِبْهُ شَيْءٌ هَذِهِ صِفَتَانِ

وَهُوَ الْعَزِيْزُ بِقُوَّةٍ هِيَ وَصْفُهُ
فَالْعِزُّ حِيْنَئِذٍ ثَلاثُ مَعَانِ

وَهِيَ الَّتِي كَمُلَتْ لَهُ سُبْحَانَهُ
مِنْ كُلِّ وَجْهٍ عَادِمِ النُّقْصَانِ

أيُّها المسلمون:

للإيمانِ بأسماءِ اللهِ وصفاتِه ومعرفةِ معاني هذه الأسماءِ والصفاتِ على الوجهِ الَّذي آمنَ بهِ رسولُ اللهِ ﷺ وصحابته رضي اللهُ عنهم أثرٌ عظيمٌ في قلوبِ المؤمنين، فعندما يعرفُ المؤمنُ أنَّ ربَّهُ وإلَهَهُ الذي يعبدُهُ من اسمائهِ القويُّ المتينُ ومنْ صفاتهِ القُوَّةُ، يَدْعُوْهُ هذا الإيمانُ للخوفِ منهُ والخُضوعِ لطاعتهِ، والفرارِ من معصيته والالتجاء إليه في طلبِ النصرةِ والعونِ، ويمتلئ قلبُهُ بالعزةِ والاطمئنانِ فلا يخشى أحداً في إقامة شرعِ اللهِ في نفسِه وفي أرضِ اللهِ عز وجل.

عِبادَ اللَّهِ:

يجبُ على الإنسانِ ألاَّ يغترَّ بما أعطاهُ اللهُ منْ جاهٍ ومنصبٍ وثروةٍ وصحةٍ وقوة فينسى طاعةَ ربِّه ويقعُ في معصيتهِ ويقولُ بلسانهِ أو بلسانِ حالهِ كما قالَ قومُ هودٍ عليه السلامُ ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ والإجابةُ كانت من الله ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ...﴾ (فصلت: ١٥).

لقد ذكَّرَ اللَّهُ عبادَهُ في كتابهِ الكريمِ، بمصارعِ الأُممِ الَّتي نَسِيَتْ شَرْعَهُ في نفسها وفي واقعِ حياتها واغْتَرَّتْ بِقُوَّتِهَا.

﴿الْحَاقَّةُ (١) مَا الْحَاقَّةُ (٢) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ (٣) كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ (٤) فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ (٥) وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ (٦) سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ (٧) فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنْ بَاقِيَةٍ (٨)﴾ (الحاقة).

أيها المسلمون: رَبُّكم الذي آمنتُم بهِ وخضعتْ جباهُكم له قويٌّ متينٌ، وهو سبحانه يُحبُّ من عباده أنْ يكونوا أقوياءَ في طاعتِه وعبادتِه والجهادِ في سبيلِه قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ (البقرة: ٦٣).

فاللهُ سبحانَهُ أَمَرَ بني اسرائيلَ أنْ يقوموا بطاعةِ اللهِ بِجِدٍّ، وحَزمٍ، وعَزمٍ، ونحن كذلك مأمورون بأن نقومَ بتطبيقِ شرعِ اللهِ في نفوسِنا وبيوتِنا ومجتمعاتِنا بقوةٍ.

وقال عزَّ وجلَّ كذلك: ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ ﴾ (الأعراف).

ففي هذه الآيةِ ـ يأمرُ اللهُ نبيَّهُ موسى عليه السلام أن يعملَ بما في الألواحِ مِنْ هُدًى ونورٍ وطاعةٍ بِجِدٍّ واجتهادٍ وَحَزْمٍ وَعَزِيمَةٍ.

ويقولُ سبحانَهُ آمراً عبدَهُ ورسولَهُ يحيى عليه الصلاةُ والسلامُ أَنْ يتعلَّمَ الكتابَ بقوَّةٍ ويعملَ بما فيهِ ﴿ يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ ﴾ (مريم).

ووصفَ اللهُ داودَ عليه السلامُ بالقوَّةِ في العِلْمِ والعَمَلِ والطاعةِ، فكانَ يصومُ يَوْماً ويَفْطِرُ يوماً ولا يَفِرُّ إذا لاقَى أعداءَ اللهِ تعالى.

ويأمر سبحانه رسولنا أن يقتدي به. قال سبحانه: ﴿ اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ

وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ ﴾ (ص: ١٧) ذا الأيد: أي ذو قوة في طاعة الله.

عن أبي هريرةَ ـ رضي اللهُ عنه ـ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «المؤمنُ القويُّ خيرٌ وأحبُّ إلى اللهِ منَ المؤمنِ الضَّعيفِ، وفي كُلٍّ خيرٌ. احرِصْ على ما يَنْفَعُكَ، واستَعِنْ باللهِ ولا تَعْجزْ، وإنْ أصابَكَ شيءٌ فلا تقلْ: لو أنِّي فعلتُ كان كذا وكذا، ولكنْ قلْ: قَدَّرَ اللَّهُ، وَمَا شَاءَ فَعَلَ. فإنَّ لو تفتحُ عملَ الشيطانِ» أخرجَه مُسْلِمٌ في صحيحِهِ.

قال النَّوويُّ ـ رحمهُ اللَّهُ ـ في شرحِ هذا الحديثِ في بيانِ مَفهومِ القوَّةِ: قوله ﷺ: «المؤمنُ القويُّ خيرٌ وأحبُّ إلى اللهِ منَ المؤمنِ الضعيفِ وفي كُلٍّ خيرٌ) والمرادُ بالقوَّةِ هُنا: عزيمةَ النفسِ والقريحةِ في أمورِ الآخرةِ، فيكونُ صاحبُ هذا الوصفِ أكثرَ إقداماً على العدوِّ في الجهادِ، وأسرعَ خُروجاً إليه، وذَهَاباً في طلبِهِ، وأَشَدَّ عزيمةً في الأمرِ بالمعروفِ والنهي عن المنكرِ، والصبرِ على الأذى في كلِّ ذلك، واحتمالِ المشاقِ في ذاتِ اللهِ تعالى، وَأَرْغَبَ في الصلاةِ والصومِ والأذكارِ وسائرِ العباداتِ، وانْشَطَ طلباً لها، ومُحَافَظَةً عليها، ونحو ذلك.

فالقوةُ المقصودةُ ليست بضخامةِ البدنِ ولكن بقوةِ الإيمانِ والإرادةِ.

تَرى الرجلَ النَّحيفَ فَتَزْدَرِيْهِ
وَفِي أَثْوَبِهِ أسدٌ هَصُوْرُ
وَيُعْجِبُكَ الطَّرِيْرُ فَتَبْتَلِيْهِ
فَيُخْلِفُ ظَنَّكَ الرَّجُلُ الطَّرِيْرُ

والطريرُ: حسنُ الكلامِ والهيئةِ.

بَيَّنَ عليه الصلاةُ والسلامُ من هو الشديدُ القويُّ عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «ليس الشديدُ بالصُّرَعَةِ إنما الشديدُ الَّذي يملكُ نَفْسَهُ عندَ الغَضَبِ» أخرجه أحمد عن أبي هريرة.

أيُّها المسلمون:

أُمَّتُنَا الإسلاميةُ تَمُرُّ في حالةٍ منَ الضعفِ وَتَسَلُّطِ الأعداءِ عليها، فَمَا السبيلُ لخلاصِها من ذلك؟!

أولاً: التَّمَسُّكُ بِكِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ:

إنَّ منْ أعظمِ أسبابِ قُوَّةِ أمةِ الإسلامِ وسيادَتِها ـ في الماضي ـ تَمَسُّكَهَا بِنُوْرِ الْوَحْيَيْنِ إيماناً بِهِمَا، وَعَمَلاً بِمُقْتَضَاهُمَا.

قال تعالى: ﴿ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ ولا يَشْقَىٰ (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا... ﴾ (طه).

ضَنْكَاً: أي فإنَّ لهُ في هذه الدُّنيا عَيشاً ضَيِّقاً.

فَنَجَاةُ الأُمَّةِ الإسلاميَّةِ منْ مَهَالِكِ زَمَانِنَا، الرُّجُوْعُ للكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالتَّمَسُّكُ بِهِمَا.

وعنْ أبي موسى، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَىٰ قَوْماً، فقالَ: يا قَوْمُ إنِّي رَأَيْتُ الْجَيْشَ بِعَيْنِيَّ، وَإِنِّي أَنَا النَّذِيْرُ الْعُرْيَانُ! فَالنَّجَاءَ النَّجَاءَ. فَأَطَاعَهُ طَائِفَةٌ منَ قَوْمِهِ فَأَدْلَجُوا، فَانْطَلَقُوا عَلَىٰ مَهْلِهِمْ،

فَنَجَوْا. وَكَذَّبَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ فَأَصْبَحُوا مَكَانَهُمْ، فَصَبَّحَهُمُ الْجَيْشُ فَأَهْلَكَهُمْ وَاجْتَاحَهُمْ. فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ أَطَاعَنِي فَاتَّبَعَ مَا جِئْتُ بِهِ، وَمَنْ عَصَانِي وَكَذَّبَ مَا جِئْتُ بِهِ مِنَ الْحَقِّ» متفقٌ عليه.

وقال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾ (المنافقون).

إذا أرادتْ أُمَّةُ الإسلامِ أنْ يكونَ لهَا واقعٌ وأثَرٌ على خريطةِ العالَمِ وأنْ تحيا عَزِيزَةَ الْجَانِبِ فَإِنَّ عَلَيْهَا أَنْ تُرَسِّخَ مَعَانِي الإِيمَانِ فِي نفوسِ أَتْبَاعِهَا، فالإيمانُ الصادقُ سَبَبُ الْعِزَّةِ فِي الدُّنْيَا.

* تَرْكُ الْفُرْقَةِ والاخْتِلاَفِ وَالتَّنَازُعِ:

الْفُرْقَةُ وَالاخْتِلافُ وَالتَّنَازُعُ سَبَبُ الضَّعْفِ وَالْفَشَلِ قال تعالى: ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ (الأنفال).

ومعنى: رِيحُكُمْ: أي قُوَّتُكُمْ.

لذلك حذَّرنا اللهُ سبحانَهُ منْ أنْ نكونَ كالأمم الضالةِ التي فرَّقَتْ دينَها واختلفَتْ فيه قالَ سُبحانَهُ: ﴿ وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾ (آل عمران).

فعلينا أنْ نكونَ ـ عبادَ اللهِ ـ إخواناً، تَجْمَعُنَا كَلِمَةُ التَّوْحِيدِ.

* الاجتماعُ والاتحادُ وَجَمْعُ كلمةِ المسلمينَ منْ أسبابِ القُوَّةِ

لذلك أمرَ اللهُ به ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ (آل عمران).

كُونُوا جَمِيعَاً، يَا بَنِيَّ، إِذَا اعْتَرَىٰ
خَطْبٌ، وَلَا تَتَفَرَّقُوا آحَادَا
تَأْبَىٰ العِصِيُّ، إِذَا اجْتَمَعْنَ، تَكَسُّراً
وَإِذَا افْتَرَقْنَ تَكَسَّرَتْ أَفْرَادَا

* إِعْدَادُ العُدَّةِ الْعَسْكَرِيَّةِ:

حتَّى لا يطمعَ العدوُّ بأرضِ المسلمين وخَيْراتِهم وأراضيهم وقِيمتهم فإنَّهُ لابدَّ منْ إعدادِ العُدَّةِ العسكريَّةِ الحديثةِ وتدريبِ الشَّبابِ على استخدامها بمهارةٍ فائقةٍ قال تعالى: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ... ﴾ (الأنفال: ٦٠).

عن عُقْبَةَ بنِ عَامرٍ قال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: وهو على المنبر: وَأَعِدُّوا لهم ما استطعتُم منْ قُوَّةٍ أَلاَ إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ، أَلاَ إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ» مسلم.

وَالآنَ الْعَالَمُ يَتَسَابَقُ فِي دِقَّةِ إِصَابَةِ الأَهْدَافِ بِأَقَلِّ كُلْفَةٍ وَبِطَرِيْقَةٍ لَمْ يَسْبِقْ لَهَا مَثِيْلٌ وَمِنْ مَسَافَةٍ بَعِيْدَةٍ فَعَلَىٰ الْمُسْلِمِيْنَ أَنْ يَحْرِصُوا عَلَى هَذَا العِلْمِ الَّذِي بِهِ تُهَابُ أُمَّتُهُمْ.

* مَتَانَةُ الاقْتِصَادِ:

ومنْ أسبابِ القُوَةِ كذلك متانةُ الاقتصادِ فنحنُ نرى الدولَ المُؤَثِّرَةَ عَلَى خريطةِ العَالَمِ هي الدُّوَلُ الْقَوِيَّةُ اقتصادياً، أمَّا الفقيرةُ فأثرها محدود جداً فبالمال تقوم مَعَايِشُ الناسِ منْ تجاراتٍ وغيرها لذلك نَهَانَا اللهُ منْ أنْ نُمَكِّنَ السُّفهاء منْهُ حتَّى لا يضيعَ بالتبذيرِ والإسرافِ وغيرَ ذلك قال تعالى: ﴿ وَلا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا ﴾ (النساء: ٥) وهناك جملة أحكام في كتاب اللهِ وسنَّةِ النبيِّ ﷺ مُتَعَلِّقَةٌ بالأموالِ لحفظِهِ واستثمارِهِ ونفقتِهِ في وجوهِهِ الصحيحةِ.

الخطبةُ الثانيةُ:

* العلومُ الماديَّةُ المختلفةُ النافعةُ.

عبادَ اللهِ: العلومُ الماديَّةُ أصبحتْ قُوَّةً في زماننا فَمَنْ مَلَكَ هذهِ العلومَ مَلَكَ القُوَّةَ الَّتي تَفْرِضُ احترامَهُ في عالَمنا، فعلى المسلمِ أنْ يشعرَ بانتمائِهِ لأمة الإسلامِ وأنْ يحرصَ على العِلْمِ الماديِّ النافعِ الذي فيه عزَّةٌ وَقُوَّةٌ لامَّتِهِ.

بِالْعِلْمِ سَادَ النَّاسُ فِي عَصْرِهِمْ
وَاخْتَرَقُوا السَّبْعَ الطِّبَاقَ الشِّدَادْ
أَيَطْلُبُ الْمَجْدَ وَيَبْغِي الْعُلاَ
قَوْمٌ لِسُوْقِ الْعِلْمِ فِيْهِمْ كَسَادْ

مَـا أَصْـعَـبَ الْـفِـعْـلَ لِـمَـنْ رَامَـهُ

وَأَسْـهَـلَ الْـقَـوْلَ عَـلَـى مَـنْ أَرَادْ

(شوقي)

وقال آخرُ:

كُـنْ عَـالِـمَـاً فِـي الـنَّـاسِ أَوْ مُـتَـعَـلِّـمَـاً

أَوْ سَـامِـعَـاً فَـالْـعِـلْـمُ ثَـوْبُ الْـفَـخَـارِ

مِـنْ كُـلِّ فَـنٍّ خُـذْ وَلاَ تَـجْـهَـلْ بِـهِ

فَـالْـحُـرُّ مُـطَّـلِـعٌ عَـلَـىٰ الأَسْـرَارِ

وقال آخرُ:

فَـاعْـمَـلْ بِـمَـا عَـلِـمْـتَ فَـالْـعُـلَـمَـاءُ إِنْ

لَـمْ يَـعْـمَـلُـوا شَـجَـرٌ بِـلاَ أَثْـمَـارِ

* مِنْ فَوَائِدِ الْقُوَّةِ وَالشِّدَّةِ:

١ ـ تُثْمِرُ مَحَبَّةَ اللَّهِ وَرِضَاهُ.

٢ ـ مَظْهَرٌ مِنْ مَظَاهِرِ الرُّجُولَةِ الْحَقَّةِ.

٣ ـ هِيَ صَمَّامُ أَمْنٍ لِلْمُجْتَمَعِ مِنَ الأَخْطَاءِ وَالأَعْدَاءِ.

٤ ـ وَهِيَ صِيَانَةٌ لِلْعِرْضِ وَالنَّفْسِ وَالْمَالِ.

٥ ـ وَالإِعْدَادُ لَهَا دَلِيْلُ وَعْيِ الأُمَّةِ وَيَقَظَتِهَا.

٦ ـ الشِّدَّةُ فِي التَّعَامُلِ مع أعداءِ المسلمين خَيْرُ رَادِعٍ لهم.

٧ ـ الشِّدَّةُ فِي التَّعَامُلِ مَعَ الْمُنْتَهِكِيْنَ لِحُدُوْدِ اللَّهِ رَدْعٌ لأَمْثَالِهِمْ وَتَحْقِيقٌ لِلسَّلامِ وَالأَمْنِ بِالْمُجْتَمَعِ.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فَضْلُ ضَعَفَةِ الْمُسْلِمِيْنَ

الخُطبةُ الأولى:

قَالَ شَاعِرُ الزُّهْدِ أبوالْعَتَاهِيَةِ:

تَعَالَى الْوَاحِدُ الصَّمَدُ الْجَلِيْلُ
وَحَاشَى أَنْ يَكُوْنَ لَهُ بَدِيْلُ

هُوَ الْمَلِكُ الْعَزِيْزُ وَكُلُّ شَيْءٍ
سِوَاهُ فَهُوَ مُنْتَقَصٌ ذَلِيْلُ

وَمَا مِنْ مَذْهَبٍ إِلاَّ إِلَيْهِ
وَإِنَّ سَبِيْلَهُ لَهُوَ السَّبِيْلُ

وَإِنَّ لَهُ لَمَنًّا لَيْسَ يُحْصَى
وَإِنَّ عَطَاءَهُ لَهُوَ الْجَزِيْلُ

وَإِنَّ عَطَاءَهُ عَدْلٌ عَلَيْنَا
وَكُلُّ بَلائِهِ حَسَنٌ جَمِيْلٌ

وَكُلُّ مُفَوَّهٍ أَثْنَى عَلَيْهِ
لِيَبْلُغَهُ فَمُنْحَسِرٌ كَلِيْلُ

أَيَـا مَـنْ قَـدْ تَـهَـاوَنَ بِـالْـمَـنَـايَـا

وَمَـنْ قَـدْ غَـرَّهُ الأَمَـلُ الـطَّـوِيْـلُ

أَلَـمْ تَـرَ أَنَّـمَـا الـدُّنْـيَـا غُـرُوْرٌ

وَأَنَّ مُـقَـامَـنَـا فِـيْـهَـا قَـلِـيْـلٌ

عِبَادَ اللهِ:

١ ـ فَاوَتَ اللهُ بينَ عِبادِهِ في الأرزاقِ والأشكالِ والأخلاقِ.

٢ ـ هذا التفاوُتُ شاءَهُ اللهُ لحكمةٍ عظيمةٍ.

٣ ـ هذا التفاوُتُ ليسَ هُوَ ميزان التفاضُلِ بينَ العبادِ.

٤ ـ ضَعَفَةُ المسلمينَ المستقيمينَ أَفْضَلُ مِنَ الْعُظَمَاءِ وَالشُّرَفَاءِ الْمُتَكَبِّرِيْنَ.

٥ ـ أُمِرْنَا بِمُجَالَسَةِ وَمُلَاطَفَةِ ضَعَفَةِ الْمُسْلِمِيْنَ.

٦ ـ وَاجِبُ الأُمَّةِ تُجَاهَ ضَعَفَةِ الْمُسْلِمِيْنَ.

٧ ـ فَضْلُ رِعَايَةِ ضَعَفَةِ الْمُسْلِمِيْنَ.

أيُّها المسلمون: هذا التفاوُتُ بينَ العبادِ في القوةِ وَالصِّحَّةِ وَالضَّعْفِ ونحوِهِ شاءَهُ اللهُ لحكمةٍ قالَ سبحانَهُ:

﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ (الزخرف).

وقال سبحانه: ﴿ انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً ﴿٢١﴾ ﴾ (الإسراء).

فَمِنْ حِكَمِ هَذَا التَّفَاوُتِ أَنْ يُسَخِّرَ بَعْضَ النَّاسِ لِبَعْضٍ حَتَّى تَقُومَ مَعَايِشُهُم وَتَسْتَقِيمَ أُمُورُهُم.

وقالَ سبحانَهُ: ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ الأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٥﴾ ﴾ (الانعام).

وَهَذِهِ حِكْمَةٌ أُخْرَى وَهِيَ الابْتِلاءُ لِيَرَى مَنْ يَصْبِرُ وَيَرْضَى وَمَنْ يَجْزَعُ وَلاَ يَقْبَلُ بِقِسْمَةِ اللَّهِ لَهُ.

عِبادَ اللهِ: التَّفَاوُتُ لَيْسَ مِيْزَانَ التَّفَاضُلِ:

قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا الإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ﴿١٦﴾ كَلاَّ... ﴾ (الفجر).

وقالَ سبحانَهُ: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ (الحجرات: ١٣).

أيُّها المسلمون: بيَّن الرسولُ ﷺ فَضْلَ الضَّعَفَةِ إِنْ كَانُو مُؤْمِنِيْنَ:

وعن أبي عباسٍ سَهْلِ بن سعدٍ الساعديِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: مَرَّ رَجُلٌ عَلَى النبيِّ ﷺ فقالَ لِرَجُلٍ عندَهُ جالسٌ: «مَا رَأْيُكَ فِي هَذَا؟» فقالَ: رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِ النَّاسِ، هَذَا وَاللَّهِ حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ يُنْكَحَ وإِنْ شَفَعَ أن يُشَفَّعَ، فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ مَرَّ رَجُلٌ آخَرُ فقالَ لَهُ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا رَأْيُكَ فِي هَذَا؟» فقالَ: يَا

رسولَ اللَّه هَذَا رَجُلٌ مِنْ فُقَرَاءِ الْمُسْلِمِيْنَ، هَذَا حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ لاَ يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ لاَ يُشَفَّعَ، وَإِنْ قَالَ أَنْ لاَ يُسْمَعَ لِقَوْلِه، فَقَالَ رسولُ اللَّه ﷺ «هَذَا خَيْرٌ مِنْ مِلْءِ الأَرْضِ مِثْلِ هَذَا» مُتَّفَقٌ عليه.

وعَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: رَأَى سَعْدٌ أَنَّ لَهُ فَضْلاً عَلَى مَنْ دُوْنَهُ، فقالَ النَّبيُّ ﷺ: «هَلْ تُنْصَرُوْنَ وَتُرْزَقُوْنَ إِلاَّ بِضُعَفَائِكُم؟» (البخاريُّ مرسلاً).

إِنَّ أَبَا سُفيانَ أَتَى عَلَى سَلْمَانَ وَصُهَيْبَ وَبِلاَلَ فِي نَفَرٍ فقالوا: مَا أَخَذَتْ سُيُوْفُ اللَّهِ مِنْ عَدُوِّ اللَّهِ مَأْخَذَهَا، فقالَ أَبُوبَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَتَقُوْلُوْنَ هَذَا لِشَيْخِ قُرَيْشٍ وَسَيِّدِهِمْ؟ فأتَى النبيَّ ﷺ فأخبرَهُ فقالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ لَعَلَّكَ أَغْضَبْتَهُمْ؟ لَئِنْ كُنْتَ أَغْضَبْتَهُمْ لَقَدْ أَغْضَبْتَ رَبَّكَ؟ فَأَتَاهُمْ فَقَالَ: يَا إِخْوَتَاهُ أَغْضَبْتُكُمْ؟ قَالُوا لا، يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ يَا أُخَيَّ؟» (مسلم).

الخُطبةُ الثانيةُ:

عِبَادَ اللَّهِ: رَغَّبَ الإِسْلاَمُ بِالتَّوَاضُعِ لِضَعَفَةِ الْمُسْلِمِيْنَ وَمُجَالَسَتِهِمْ وَمُلاَطَفَتِهِمْ وَتَكْلِيمِهِمْ:

وعن سعدِ بنِ أبي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: كُنَّا معَ النبيِّ ﷺ ستَّةَ نَفَرٍ فَقَالَ الْمُشْرِكُوْنَ للنَّبِيِّ ﷺ: اطْرُدْ هؤلاءِ لا يَجْتَرِئُوْنَ علينا وكنتُ أنَا وابنُ مسعودٍ ورجلٌ من هُذَيْلٍ وبلالٌ ورَجُلاَن لستُ أُسَمِّيْهِمَا فَوَقَعَ رسولُ الله ﷺ مَا شاءَ أنْ يقعَ فَحَدَّثَ نَفْسَهُ فأنزلَ اللهُ تعالى: ﴿وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ (الانعام) (أخرجهُ مسلمٌ).

فَمُجَالَسَةُ هَؤلاءِ فِيهَا إِعَانَةٌ عَلَى الصِّدْقِ وَالإِخْلاَصِ لأَنَّ النَّاسَ لاَ تَرْغَبُ إِلاَّ بِمُجَالَسَةِ أَهْلِ الدُّثُورِ وَالْمَصَالِحِ الدُّنْيَوِيَّةِ.

قالَ أبو العتاهية:

قَدْ بَلَوْنَا النَّاسَ فِي أَخْلاَقِهِمْ
فَرَأَيْنَاهُمْ لِذِي الْمَالِ تَبَعْ
وَحَبِيبُ النَّاسِ مَنْ أَطْعَمَهُمْ
إِنَّمَا جَمِيعاً بِالطَّمَعْ
أَحْمَدُ اللَّهِ عَلَى تَدْبِيرِهِ
قَدَّرَ الرِّزقَ فَأَعْطَى وَمَنَعْ

قَالَ تَعَالى: ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾ (الكهف).

وقَالَ تَعَالى: ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١﴾ أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَىٰ ﴿٤﴾ أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾ كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ ﴾ (عبس).

ارْحَمِ النَّاسَ جَمِيْعَاً

فَهُمُ أَبْنَاءُ جِنْسِكْ

ابْغِ لِلنَّاسِ مِنَ الْخَيْرِ

كَمَا تَبْغِي لِنَفْسِكْ

وقالَ ﷺ : «خَوَّلَكُمْ إِخْوَانُكُمْ جَعَلَهُمْ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوْهُ تَحْتَ يَدِهِ فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلاَ تُكَلِّفُوْهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوْهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ فَأَعِيْنُوْهُمْ».

وقالَ ﷺ : «بِئْسَ الطَّعَامُ طَعَامُ الْوَلِيْمَةِ يُدْعَى إِلَيْهَا الأَغْنِيَاءُ وَيُتْرَكُ الْفُقَرَاءُ» (الشيخان).

وقالَ ﷺ : «أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيْمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا».

وقالَ ﷺ : «السَّاعِي عَلَى الأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِيْنِ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيْلِ اللَّهِ».

وقالَ ﷺ : في بعض الروايات : «كَالْقَائِمِ الَّذِي لاَ يَفْتُرُ وَكَالصَّائِمِ الَّذِي لاَ يُفْطِرُ» (مُتَّفَقٌ عليه).

بسم الله الرحمن الرحيم

كَثُرَ خَيْرُ اللَّهِ وَطَابَ

الخطبةُ الأولى:

أيُّها المسلمون: موضوعَنا في هذه الْخُطْبَةِ يدوُر حولَ الرَّحْمَةِ وهُوَ كالآتي:

١ ـ مِنْ صِفَاتِهِ أَنَّهُ ذُو رَحْمَةٍ.

٢ ـ رَحْمَتُهُ وَاسِعَةٌ.

٣ ـ اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ أُمَّهَاتِهِمْ.

٤ ـ جَعَلَ اللَّهُ الرَّحْمَةَ فِي مِئَةِ جُزْءٍ.

٥ ـ اليَأْسُ مِنْ رَحْمَتِهِ حَرَامٌ.

٦ ـ أَوْصَانَا الدِّيْنُ بِالتَّراحُمِ.

٧ ـ مِنْ صِفَاتِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَأَصْحَابِهِ التَّرَاحُمُ بَيْنَهُمْ.

٨ ـ الرَّحْمَةُ بِالأَبْنَاءِ سَبَبُ دُخُوْلِ الْجَنَّةِ.

٩ ـ رَحْمَةُ الْبَهَائِمِ سَبَبُ الأَجْرِ وَالْمَغْفِرَةِ.

عبادَ اللهِ: مِنْ اسماءِ اللهِ سبحانَهُ الرحمنُ والرحيمُ، كَمَا أَنَّ الرحمةَ هي صفةٌ من صفاتِهِ الجليلةِ.

قالَ تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ (الفاتحة).

وقالَ: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ (البقرة).

فـ«الرحمنُ والرحيمُ» اسمان مُشْتَقَّانِ مِنَ الرحمةِ على وجهِ الْمُبَالَغَةِ والرحمنُ أَشَدُّ مبالغةً من الرحيمِ، وهو داخِلٌ على الصفةِ القائمةِ بالذاتِ ولم يُسَمَّ بِهِ أَحَدٌ غَيْرُهُ سُبْحَانَهُ كَالرَّزَّاقِ وَالْخَالِقِ وَاللَّهِ.

والرحيمُ: داخِلُ على تَعَلُّقِهَا بالمرحومِ.

الْمُعَطِّلَةُ: يُؤَوِّلُوْنَ الرحمةَ بإرادَتِهِ الإحسانَ، فَفَسَّرُوا الصفةَ بِلاَزِمِهَا وهذا انحرافٌ عن منهجِ السلفِ الصالحِ رضوانُ اللهِ عليهم.

أيُّها المسلمون: رحمةُ اللهِ وَاسِعَةٌ: قالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ (١٥٦) الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ﴾ (الأعراف).

فعلى المسلمِ أَنْ يأخذَ السببَ الْمُوْصِلَ لَهَا مِنْ إيمانٍ وزكاةٍ وتقوى واتِّباعٍ لإمامِ الْمُرْسَلِيْنَ ﷺ.

واللهُ سبحانَهُ أَرْحَمُ بالعبادِ من أُمَّهَاتِهِمْ:

عن عمرَ بن الخطابِ رضيَ اللهُ عنهُ: قَدِمَ على النَّبِيِّ ﷺ سَبْيٌ فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبْيِ قدْ تَحْلُبُ ثَدْيَهَا تَسْقِي، إِذَا وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبْيِ أَخَذَتْهُ فَأَلْصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا وَأَرْضَعَتْهُ، فقالَ لنا النَّبِيُّ ﷺ: أَتَرَوْنَ هذِهِ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ؟ قُلْنَا: لاَ وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَى أَنْ لاَ تَطْرَحَهُ، فقالَ: اللَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا. (الفتحُ ١٣ / ٣٦). أخرجهُ البخاريُّ.

وَجَعَلَ اللَّهُ الرَّحْمَةَ فِي مِئَة جُزْءٍ:

إنَّ أبَا هريرةَ قالَ: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «جَعَلَ اللَّهُ الرَّحْمَةَ فِي مِئَةِ جُزْءٍ فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعَةً وَتِسْعِيْنَ جُزْءاً، وَأَنْزَلَ فِي الأَرْضِ جُزْءاً وَاحِداً، فَمِنْ ذَلِكَ الْجُزْءِ تَتَرَاحَمُ الخَلْقُ حَتَّى تَرْفَعَ الْفَرَسُ حَافِرَهَا عَنْ وَلَدِهَا خَشْيَةَ أَنْ تُصِيْبَهُ». (الفتح ١٣ / ٣٨) أخرجَهُ البُخَاريُّ.

في الحديثِ الحَثُّ على الإيمانِ وَاتِّسَاعِ الرَّجاءِ في رَحَمَاتِ اللَّهِ الْمُدَّخَرَةِ كَمَا فيه إدخالُ السرورِ عَلَى المؤمنين.

أيُّها المسلمون: الْيَأْسُ مِنْ رحمةِ الله حَرَامٌ:

﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾ (الزمر).

فَفِي الآيةِ دَعْوَةٌ لِلْعُصَاةِ وَالْكُفَّارِ بِالتَّوْبَةِ الصَّادِقَةِ وَالرُّجُوْعِ إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ.

وَلاَ يَحِلُّ أَنْ تَحْجُرَ نِعْمَةَ اللَّهِ تَعَالَى:

عَنْ أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قَامَ الرَّسولُ ﷺ في صلاةٍ وقُمْنَا معهُ فقالَ أعْرَابيٌّ وهو في الصَّلاةِ: اللَّهمَّ ارْحَمْنِي وَمُحَمَّداً وَلاَ تَرْحَمْ مَعَنَا أَحَداً، فَلَمَّا سَلَّمَ النَّبِيُّ ﷺ قالَ لِلأَعْرَابِيِّ: «لَقَدْ حَجَّرْتَ وَاسِعاً»، يُرِيْدُ رَحْمَةَ اللَّهِ. (الفتحُ ١٣ / ٤٦ أخرجَهُ البُخَارِيُّ).

أوصانا الدينُ بأنْ يَرْحَمَ بَعْضُنَا بَعْضاً:

قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «لاَ يَرْحَمُ اللَّهُ مَنْ لاَ يَرْحَمُ النَّاسَ» (مُتَّفَقٌ عليه).

قال ﷺ : «الرَّاحِمُوْنَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ» (أخرجَهُ أبو داودَ والتِّرمذيُّ عن عبدِالله بنِ عَمْرُو) .

وعَنِ النُّعمانِ بنِ بشيرٍ قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ : «تَرَى الْمُؤْمِنِيْنَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى» (مُتَّفَقٌ عليه) .

وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ ﴾ (البلد) .

أي كانَ مِنَ المؤمنينَ العاملينَ الصالحاتِ، الْمُتَوَاصِيْنَ بالصبرِ على أَذَى الناسِ وَالْمُتَوَاصِيْنَ بالرَّحْمَةِ لَهُمْ.

وصفَ اللهُ مُحَمَّداً وَصَحْبَهُ بالرَّحمةِ وَالشَّفَقَةِ بَيْنَهُمْ:

﴿ مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ ﴾ (الفتح: ٢٨) .

الخُطبةُ الثانيةُ:

عبادَ الله: رَحْمَةُ الأَبْنَاءِ وَالضُّعَفَاءِ سَبَبُ دُخُوْلِ الْجَنَّةِ:

عن عائشةَ رضيَ اللهُ عنها قالتْ: جاءَتْنِي مِسْكِيْنَةٌ تَحْمِلُ ابْنَتَيْنِ لَهَا؛ فَأَطْعَمْتُهَا ثَلاَثَ تَمَرَاتٍ، فَأَعْطَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا تَمْرَةً وَرَفَعَتْ إِلَى فِيْهَا تَمْرَةً لِتَأْكُلَهَا، وَاسْتَطْعَمَتْهَا ابْنَتَاهَا فَشَقَّتِ التَّمْرَةَ الَّتِي كَانَتْ تُرِيْدُ أَنْ تَأْكُلَهَا بَيْنَهُمَا

فَأَعْجَبَنِي شَأْنُهَا، فَذَكَرْتُ الَّذِي صَنَعَتْ لِرَسُوْلِ اللَّهِ ﷺ فقالَ: «قَدْ أَوْجَبَ لَهَا بِهِمَا الْجَنَّةَ أَوْ أَعْتَقَهَا بِهِمَا مِنَ النَّارِ» (مُسْلِمٌ ـ الترغيب ٣ / ٦٦).

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قبَّل رسول الله ﷺ الحسن بن علي وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالساً، فقال الأقرع: «إن لي عشرة من الولد ما قبَّلتُ منهم أحداً، فنظر إليه رسول الله ﷺ ثم قال: من لا يرحم لا يُرحم».

وعن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عنها قالتْ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فقالَ: أَتُقَبِّلُوْنَ الصِّبْيَانَ فَمَا نُقَبِّلُهُمْ؟!، فقالَ النبيُّ ﷺ: «أَوَ أَمْلِكُ لَكَ أَنْ نَزَعَ اللَّهُ مِنْ قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ» مُتَّفَقٌ عليه.

عِبادَ اللهِ: ومِنْ جمالِ الإسلامِ وكمالِهِ أنَّهُ دعا إلى الرحمةِ بالبهائمِ، فهِيَ سببٌ لمغفرةِ الذنوبِ:

عن أبي هريرةَ: أنَّ رسولَ الله ﷺ قالَ: «بينمَا رجلٌ يَمْشِي بطريقٍ اشتدَّ عليه الْعَطَشَ، فَوَجَدَ بِئْراً فَنَزَلَ فِيْهَا فَشَرِبَ، ثُمَّ خَرَجَ فإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ يَأْكُلَ الثَّرَى مِنَ الْعَطَشِ، فقالَ الرَّجُلُ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الْكَلْبَ مِنَ الْعَطَشِ مِثْلُ الَّذِي كَانَ بَلَغَ بِي، فَنَزَلَ الْبِئْرَ فَمَلأَ خُفَّهُ، ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيْهِ فَسَقَى الْكَلْبَ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ، قالوا: يا رسولَ اللهِ، وإنَّ لنَا في البهائمِ أَجْراً؟ فقالَ: فِي كُلِّ ذَاتِ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ».

بسم الله الرحمن الرحيم

أمراضُ القلوبِ

الخُطبةُ الأولى:

حديثي مَعَكُمْ ـ عبادَ اللهِ ـ يدورُ حولَ أمراضِ القُلوبِ: والنُّقاطُ التي سَنَتَحَدَّثُ عنها كالتَّالي:

١ ـ القلوبُ نَوعانِ: سَلِيْمَةٌ ومَرِيْضَةٌ.

٢ ـ أنواعُ أمراضِ القُلوبِ.

٣ ـ سَبَبُ اهتمامِ العلماءِ بِالْقَلْبِ.

٤ ـ ذِكْرُ بَعْضِ أمرا ضِ القلوبِ.

٥ ـ كَيْفَ نُعَالِجُ الْقُلُوْبَ السَّقِيْمَةِ؟

أيُّها المسلمون:

١ ـ القلوبُ نَوعانِ:

سَلِيْمَةٌ قالَ تعالى: ﴿يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ (٨٨) إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٩)﴾ (الشعراء).

وَمَرِيْضَةٌ قالَ سبحانه: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ (البقرة: ١٠) وقال تعالى: ﴿أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا﴾ (البقرة) وقال سبحانه: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ (٢٩)﴾ (محمد).

وقالَ عليه الصلاةُ والسلامُ:

«تُعْرَضُ الفتنُ على القلوبِ كالحَصيرِ عُوْداً عُوْداً. فأيُّ قلبٍ أُشْرِبَهَا نُكِتَ فيه نَكْتَةٌ سَوْدَاءُ. وأيُّ قَلبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَ فيه نَكْتَةٌ بَيْضَاءُ. حتَّى تَصِيْرَ على قَلْبَيْنِ، على أبيض مثل الصَّفَا. فَلاَ تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ ما دامَتِ السَّمواتُ والأرضُ. والآخرُ أسودُ مِرْباداً، كالكوزِ مُجَخِياً لاَ يَعْرِفُ مَعْرُوْفاً وَلاَ يُنْكِرُ مُنْكَراً إلاَّ مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ» (أخرجهُ مُسْلِمٌ عن حذيفةَ رضيَ اللهُ عنهُ).

ومعنى مِرْباداً: شِبْهُ البياضِ: بياضٌ يسيرٌ يُخالِطُ السَّوَادَ كَلَوْنِ أَكْثَرِ النَّعَامِ وَمَعْنَى مُجْخِيَّاً: أَيْ مَنْكُوْساً. فَالشَّاهِدُ مِنْ هَذِهِ النُّصُوْصِ الْمُبَارَكَةِ أَنَّ الْقُلُوْبَ عَلَى ضَرْبَيْنِ: سليمةٍ وَمَرِيْضَةٍ.

عِبادَ اللهِ: أمراضُ القُلوبِ أنواعٌ:

عُضْوِيَّةٌ وَهِيَ مَعْرُوفَةٌ لِلأَطِبَاءِ، مِنْ ارْتِفَاعٍ فِي دَقَّاتِ الْقَلْبِ وَضَعْفِ الصِّمَامِ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنَ الأَمْرَاضِ نَسْأَلُ اللَّهَ لَنَا وَلِلْمُسْلِمِيْنَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ.

مَعْنَوِيَّةٌ: مِثْلُ النِّفَاقِ وَالْكِبْرِ وَالْعُجْبِ وَالْهَوَى وَالْحِقْدِ وَالْحَسَدِ وَالْكُفْرِ وَالشَّهَوَاتِ وَنَحْوِ ذَلِكَ.

أيُّها المسلمون: لماذا اعتنى العُلماءُ بإصلاحِ القَلبِ:؟

لأَنَّ الْقَلْبَ هُوَ مُسْتَقَرُّ الْفِقْهِ لِمَا نَسْمَعُ وَنَعْلَمُ وَمَقَرَّ الْفِكْرِ وَالْبَصِيْرَةِ لِمَا نَسْعَى وَنَعْمَلُ وَنَقُوْلُ.

فالإنسانُ يَفْقَهُ بِهِ قالَ تعالى:

﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (١٧٩) ﴾ (الأعراف) وقالَ سبحانَهُ: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ ﴾ (ق: ٣٧) قالَ المفسرون أي: عَقْلٌ وَعُبِّرَ عَنْهُ بِالقَلْبِ لأَنَّهُ مَحَلُّ اسْتِقْرَارِهِ.

وبِصَلاحِ الْقَلْبِ تَصْلُحُ الجَوَارِحُ.

قَالَ ﷺ: «أَلاَ وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلُحَتْ صَلُحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ الْقَلْبِ» رواه البخاريُّ عن النُّعمانِ بنِ بشيرٍ رضيَ اللهُ عنهُ.

وَمُضْغَةٌ: أي قَدْرُ مَا يُمْضَغُ.

وَسَبَبُ تَسْمِيَتِهِ بِالْقَلْبِ ـ لِتَقَلُّبِهِ أَوْ خَالِصُ مَا فِي الْبَدَنِ.

عن ابنِ عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عنهُ: أكثَرَ مَا كانَ النبيُّ ﷺ يَحْلِفُ «لاَ وَمُقَلِّبِ الْقُلُوبِ» أخرجَهُ البُخارِيُّ.

وَخَصَّ ﷺ الْقَلْبَ لأَنَّهُ أَمِيرُ الْبَدَنِ، وَبِصَلاحِ الأَمِيرِ تَصْلُحُ الرَّعِيَّةُ، وَبِفَسَادِهِ تَفْسُدُ ـ وَفِيهِ تَنْبِيهٌ عَلَى تَعْظِيمِ قَدْرِ الْقَلْبِ وَالْحَثِّ عَلَى صَلاَحِهِ. وَصَدَقَ شَوْقِي حِيْنَ قَالَ:

وَإِذَا الْقُلُوبُ اسْتَرْسَلَتْ فِي غَيِّهَا

كَانَتْ بَلِيَّتُهَا عَلَى الأَجْسَامِ

ولأنَّ اللَّهَ يَنْظُرُ إلى قَلْبِ الْعَبْدِ أولاً.

قال ﷺ: «إنَّ اللَّهَ لاَ يَنْظُرُ إلَى أجْسَامِكُمْ، ولاَ إلَى صُوَرِكُمْ ولَكِنْ يَنْظُرُ إلَى قُلُوبِكُمْ» أخرجَهُ مُسْلِمٌ عن أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عنهُ.

عبادَ الله: منْ أمراضِ القُلوبِ الْقَسْوَةُ ولَقَدْ أخبَرنا اللهُ عن بَنِي اسرائيلَ فَقَدْ صَارَتْ قُلُوبُ بَنِي اسرائيلَ معَ طولِ الأمَدِ قاسِيَةً بعيدةً عن الْمَوْعِظَةِ بعدَما شاهَدُوا الآياتِ والمعجزاتِ. وَصَدَقَ مَنْ قَالَ:

إذَا قَسَا الْقَلْبُ لَمْ تَنْفَعْهُ مَوْعِظَةٌ

كَالأَرْضِ إنْ سُبِخَتْ لَمْ يَنْفَعِ الْمَطَرُ

قالَ سبحانَهُ مُخْبِراً عَنْ بني إسرائيل: ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾ (البقرة). وَقَسْوَةُ الْقَلْبِ جَعَلَهَا اللَّهُ عُقُوبَةً لِمَنْ خَالَفَ مِيثَاقَهُ وَعَهْدَهُ.

قالَ سبحانَهُ: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ (المائدة).

عَاقَبَهُمْ بِقَسَاوَةِ الْقَلْبِ، فَلاَ يَتَّعِظُونَ بِمَوْعِظَةٍ لِغِلَظِهَا.

وقالَ تعالى: ﴿ أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ (الزمر).

ومعنى الآية هلْ يَسْتَوِي الْمُؤْمِنُ الْمُسْتَقِيمُ وَمَنْ هُوَ قَاسِي الْقَلْبِ بَعِيدٌ عَنْ الْحَقِّ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم عِنْدَ ذِكْرِهِ فَلاَ تَخْشَعُ وَلاَ تَعِي وَلاَ تَفْهَمُ ﴿أُوْلَئِكَ فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ﴾.

أيُّها المسلمون: ومِنْ أمراضِ القُلوبِ كذلك الْكِبْرُ وهَذا مَرَضٌ وَدَاءٌ ويَتَفَاوَتُ بِهِ النَّاسُ، قَدْ يَكُوْنُ كُفْراً وَخُرُوْجاً عَنْ مِلَّةِ الإِسْلامِ، وَقَدْ يَكُوْنُ مَعْصِيَةً تُدْخِلُ صَاحِبَهَا النَّارَ وَلَكِن لاَ يُخَلَّدُ فِيْهَا.

١ ـ قالَ سبحانَهُ: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ (الأعراف: ١٤٦).

٢ ـ وقالَ تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾ (القصص).

٣ ـ قالَ سبحانَهُ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ (غافر).

وقال ﷺ: «لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ».

فقالَ رَجُلٌ: الرَّجُلُ يُحِبُّ أَنْ يَكُوْنَ ثَوْبُهُ حَسَناً وَنَعْلُهُ حَسَنَةً؟ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ جَمِيْلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطْرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ» أخرجَهُ مُسْلِمٌ عن ابن مسعودٍ. أي احتقارُهم.

أيُّها المسلمون: وَمِنْ أَمْرَاضِ الْقُلُوْبِ كَذَلِكَ النِّفَاقُ وَهُوَ:

إظهارُ الْخَيْرِ وإسرارُ الشَّرِّ، وهو نَوْعَانِ:

١ ـ اعتقادِيٌّ: وهو إبطانُ الكُفْرِ وإظهارُ الإسلامِ، وهو يُخَلِّدُ صَاحِبَهُ في النارِ.

٢ ـ عَمَلِيٌّ: وَهُوَ مِنْ أَكبَرِ الذُّنُوْبِ.

قالَ ابنُ جُرَيْجٍ: الْمُنَافِقُ: يُخَالِفُ قَوْلُهُ فِعْلَهُ، وَسِرُّهُ عَلاَنِيَتَهُ، وَمُدْخَلُهُ مُخْرَجَهُ وَمَشْهَدُهُ مَغِيبَهُ.

ومظاهِرُ النفاقِ:

* الكَذِبُ.
* إِخْلاَفُ الْوَعْدِ.
* الْفُجُوْرُ فِي الْمُخَاصَمَةِ.
* الْخِيَانَةُ.
* الْكَسَلُ فِي الْعِبَادَةِ.
* الْبُخْلُ.
* التَّخَلُّفُ عَنِ الْجِهَادِ.
* الاسْتِهْزَاءُ.

قال تعالى: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٦٧﴾﴾ (التوبة).

عبادَ الله: عَاقِبَةُ النفاقِ وَخِيْمَةٌ فعلى مَنْ ابْتُلِيَ بهذا الداءِ أَنْ يُسَارِعَ لعلاجِ نفسه منهُ قالَ سبحانَهُ: ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٣٨) الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا (١٣٩)﴾ (النساء).

وقالَ عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا (١٤٠)﴾ (النساء).

وقالَ سبحانَهُ: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا (١٤٥)﴾ (النساء).

الخُطبةُ الثانيةِ:

أيُّها المسلمون: عواقبُ النفاقِ سيئةٌ في الدنيا والآخرةِ، فعلينا أنْ نَحْرِصَ على معالجةِ قلوبِنَا منْهُ إنْ ابتُلينا بشيءٍ منهُ، كَمَا نَحْرِصُ على عِلاجِ أنفسِنا من أمراضِ الأبدانِ، ويكونُ العلاجُ كالتالي:

أولاً: بالدُّعَاءِ فاللَّهُ هُوَ الشَّافِي مِنْ أمراضِ القُلوبِ العُضْوِيَّةِ وَالْمَعْنَوِيَّةِ، فعلينا أنْ نَتَوَجَّهَ إليه بالدُّعاءِ الصادقِ، وقدْ وَرَدَتْ نُصُوْصٌ مِنَ الذكرِ الحكيمِ وَالسُّنَّةِ الْمُطَهَّرَةِ تُرَغِّبُ فِي الدُّعَاءِ.

ثانياً: مُجَاهَدَةُ النَّفْسِ بطاعةِ اللَّهِ ورسولِه ﷺ فَطِبُّ النُّفُوْسِ وَعِلاَجُهَا بالطاعةِ، قالَ سبحانَهُ: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ (٦٩)﴾ (العنكبوت).

ثالثاً: مُجَالَسَةُ الأخيارِ والصَّالحين والْبُعْدُ عن بيئات الشَّرِّ وَالْفتنِ، وَوَرَدَتْ نُصُوْصٌ تَشْهَدُ لذلك قالَ ﷺ: «الرَّجُلُ عَلَى دِيْنِ خَلِيْلِه فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلْ (أخرجَهُ أبو داودَ) وقالَ ﷺ: «لاَ تُصَاحِبْ إلاَّ مُؤْمِناً وَلاَ يَأْكُلْ طَعَامَكَ إلاَّ تَقِيٌّ» (أخرجَهُ أبو داودَ).

رابعاً: مُلاَزَمَةُ ذِكْرِ اللهِ تَعالى، فَفِيْه زَكَاةُ النُّفُوْسِ وتطهيرُها وتَطيبُ الْقُلُوْبِ، قالَ تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ (الرعد) كَمَا أَنَّ الحِرْصَ عَلَى حُضُوْرِ مَجَالِسِ الذِّكْرِ وَالْعِلْمِ أَثَرُهُ عَظِيْمٌ عَلَى تَقْوِيَةِ الإِيْمَانِ، وَتَقْوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، لِذَلِكَ رَغَّبَ ﷺ بِإِقَامَتِهَا وَحُضُوْرِهَا.

خامساً: الاعتناءُ بكتابِ اللهِ سبحانَهُ، فَعَلى المسلمِ أنْ يُجاهدَ نَفْسَهُ في حفظِ ما تَيَسَّرَ منهُ، وعليه أنْ يتدبَّرَ آياتِه، وأنْ يُجاهِدَ نَفْسَهُ عَلَى الْعَمَلِ بما فيه مِنْ هَدْيٍ، وَأَنْ يُكْثِرَ مِنْ تلاوَتِه، فَفِي كتابِ اللهِ شِفَاءٌ لِلأمراضِ الْعُضْوِيَّةِ وَالْمَعْنَوِيَّةِ لأنَّهُ يَزْجُرُ عَنْ مَسَاوِئِ الأخلاقِ، وأقبحِ الأعمالِ.

قالَ سبحانَهُ:

﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾﴾ (فصلت).

بسم الله الرحمن الرحيم

الزَّوَاجُ فِطْرَةٌ وَشَرِيْعَةٌ

الخطبةُ الأولى:

أيُّها المسلمون: الزواجُ آيةٌ دالَّةٌ على قُدْرَةِ ربِّ العالمين، ذكر اللهُ به مُمْتَنًّا على عبادِه أجمعين، وهو من سُنَّةِ الأنبياءِ والمرسَلين، وهو من سُنَّةِ خاتَمِ النبيين، رَغَّبَ به رسولُ اللهِ المسلمين، وجعلَهُ من علامةِ الطائعين، فيه يَحْتَسِبُ المؤمنُ الأجرَ في طلبِ الْحَفَدَةِ والبَنين، طاعةً لأمرِ مُحمدٍ الأمينِ، الذي سَيُكَاثِرُ الأُمَمَ بكثرةِ اتباعِهِ الموَحِّدين: أيُّها المسلمون حديثي معكم عن الزواجِ فطرةً وشريعةً.

الزواجُ من سُنَن الأنبياءِ والمرسَلين:

قال القُرطبيُّ: قيل: إنَّ اليهودَ عَابُوا على النبيِّ ﷺ الأزواجَ، وعَيَّرَتْهُ بذلك وقالوا: ما نَرَى لهذا الرجلِ همَّةً إلا النساءَ والنكاحَ، ولو كان نبياً لَشَغَلَهُ أَمْرُ النُّبُوَّةِ عن النساءِ، فأنزلَ اللهُ هذه الآية، وَذَكَّرَهُمْ أمرَ داودَ وسليمانَ فقال:

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾ ﴾ (الرعد).

فالأنبياءُ والمرسلونَ على جلالَةِ قَدْرِهِمْ عندَ اللهِ تعالى فهم بَشَرٌ يأكلونَ الطعامَ، وَيَمْشُوْنَ في الأسواقِ، ويأتونَ الزوجاتِ، وَيُوْلَدُ لهم، فالزواجُ من سُنَّتِهم عليهم الصلاةُ والسلامُ.

وعن أَنَسِ بنِ مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ، قالَ: جاءَ ثَلاثَةُ رَهْطٍ إلى بُيُوْتِ أزواجِ

النبيِّ ﷺ يَسألونَ عنْ عبادةِ النبيِّ ﷺ، فَلما أُخْبِروا كَأَنَّهُمْ تَقالُّوْهَا، فقالُوا: وأينَ نحنُ من النبيِّ ﷺ، قَدْ غُفِرَ لَهُ ما تَقَدَّمَ من ذنبِه وما تَأَخَّرَ، قال أحدُهم: أمَّا أنا فإنِّي أُصَلِّي الليلَ أَبَداً، وقالَ آخَرُ: أنا أصومُ الدهرَ ولا أُفْطِرُ، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً.

فجاءَ رسولُ اللهِ ﷺ، فقالَ: «أنتُم الذين قلتُم كذا وكذا، أمَّا واللهِ إنِّي لأَخشاكُم للَّه وأتقاكُم لهُ، لكني أصومُ وأُفْطِرُ، وأُصَلِّي وأَرْقُدُ، وأَتَزوَّجُ النِّساءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي». (أخرجهُ البخاريُّ)

أي ليسَ على طَريقَتي، ولا يلزمُ أنْ يَخْرُجَ عن الْمِلَّةِ.

وقالَ ﷺ: «حُبِّبَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ: النِّسَاءُ وَالطِّيْبُ، وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلاةِ» أخرجهُ أحمدُ عن أنسٍ رضيَ اللهُ عنهُ.

فالزواجُ من سُنَّةِ نَبيِّنا ﷺ، وَمِمَّا أَحَبَّ مِنْ دُنْيَانَا فَعَلَيْكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِهَدْيِهِ قَالَ تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا.... ﴾ (النور: ٥٤).

الزواجُ من آياتِ اللهِ كَمَا هو من النِّعَمِ التي امْتَنَّ اللهُ بها علينا وذَكَّرنا به:

قالَ تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ (النحل).

ذَكَرَ جَلَّ وَعَلاَ في هذه الآيةِ الكريمةِ: أَنَّهُ امْتَنَّ على بني آدمَ أعظمَ مِنَّةٍ بأنْ جعلَ لَهُمْ مِنْ أنفسِهم أزواجاً من جنسِهم وَشَكْلِهِمْ، ولو جعل الأزواجَ مِنْ نوعٍ

آخرَ ما حصلَ الائتلافُ وَالمَوَدَّةُ والرحمَةُ، ولكن من رحمَتِهِ خلقَ من بني آدمَ ذكوراً وإناثاً، وجعلَ الإناثَ أزواجاً للذُّكورِ، وهذا من أعظمِ الْمِنَنِ، كَمَا أَنَّهُ من أعظمِ الآياتِ الدالةِ على أنه جَلَّ وعَلاَ هُوَ الْمُسْتَحِقُّ أَنْ يُعْبَدَ وَحْدَهُ.

قالَ تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ (الروم).

قالَ ابنُ كثير في تفسيرها:

فَمِنْ تمامِ رحمةِ اللهِ ببني آدمَ أنْ جعلَ أزواجَهم من جنسِهم، وجعلَ بينَهم وَبَيْنَهُنَّ مَوَدَّةً: وهي المحبةُ، وَرَحْمَةً: وهي الرَّأفَةُ، فإنَّ الرجلَ يُمْسِكُ المرأةَ إمَّا لمحبتِهِ لها، أو لرحمةٍ بها، بأنْ يكونَ لها منهُ وَلَدٌ، أو مُحْتَاجَةً إليه في الإنفاقِ، أو لِلأُلْفَةِ بينَهما، وغيرِ ذلك. (ابن كثير)

عبادَ اللهُ: الإسْلامُ يُرَغِّبُ بِالزَّوَاجِ:

عن عبدِالله بن مسعودٍ، قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مِنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجَ، فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ، فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ» متفق عليه.

أيُّها الشباب: أيَّتُها الشاباتُ:

استجيبوا لأمرِ نَبِيِّكُم إنْ كنتُم مُستطيعين، فالزواجُ لكم عِفَّةٌ وإحصانٌ لِفُرُوجِكم وأغضُّ لأبصارِكم عَمَّا حَرَّمَ اللَّهُ، وخاصةً في زماننا حيثُ كَثُرَتْ دواعِي الْفِتَنِ. والحكومةُ ولله الحمدُ أَعَدَّتْ إعانَةً لِلْمُتَزَوِّجِيْنَ بمقدارِ أَلْفَيْ دينارٍ

وقرضاً حسناً بأقساطٍ مُريحةٍ بمقدارِ ألفيْ دينارٍ فجزاهَا اللهُ عنَّا خيرَ الجزاءِ. وعلى كلِّ واحدٍ منَّا أن يكيِّفَ أمورَ زواجِهِ حَسَبَ قدرتِهِ واستطاعتِهِ، فاللهُ شاءَ أنْ يكونَ في مُلْكِهِ غَنِيٌّ وفقيرٌ، فلا دَاعِيَ لِلْتَّكَلُّفِ والنظرِ للآخرين.

وأُبَشِّرُكُمْ يا شبابَ الإسلامِ أنَّ مِنْ أَقْدَمَ على الزواجِ يريُد أنْ يعفَّ فَرْجَهُ عَمَّا حَرَّمَ اللَّهُ من زِناً ولُواطٍ وعَادَةٍ سِرِّيَّةٍ ونحوِهِ أنَّ اللَّهَ وَعَدَ بإعَانَتِهِ على تكاليفِ زواجِهِ، واللَّهُ وَعْدُهُ حَقٌّ قالَ سبحانَهُ: ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ...﴾ (التوبة: ١١١).

عن أبي هريرةَ، أن رسولَ اللهِ ﷺ قالَ: «ثَلاثَةٌ حَقَّ عَلَى اللَّهِ عَوْنُهُمْ: الْمُكَاتِبُ الَّذِي يُرِيْدُ الأَدَاءَ، وَالنَّاكِحُ الَّذِي يُرِيْدُ الْعَفَافَ، وَالْمُجَاهِدُ فِي سَبِيْلِ اللَّهِ» رواهُ الترمذيُّ، والنَّسائيُّ، وابنُ ماجه وهو حديثٌ حسنٌ (صحيحُ الجامع)

وقالَ سبحانَهُ: ﴿وَأَنكِحُوا الأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾﴾ (النور).

أيُّها المسلمون:

هذا أمرٌ مِنَ اللهِ سبحانَهُ بتزويجِ الأيَامَى، والأَيِّمُ: الرَّجُلُ الَّذي لا زَوْجَةَ لَهُ والمرأةُ التي لا زَوْجَ لها وسواءٌ تَزَوَّجا ثم فارقَا أو لم يَتَزَوَّجْ أحَدُهم. قالَ ابنُ كثيرٍ ـ رحمهُ اللهُ ـ: وقَدْ ذهبَ طائفةٌ مِنَ العُلماءِ إلى وجوبِ الزواجِ على كلِّ مَنْ قَدَرَ عليه واحْتَجُّوا بِظَوَاهِرِ النُّصوصِ السابقةِ.

وَوَعَدَ مَنِ استجابَ للزَّواجِ بالغِنَى قالَ ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُ: رَغَّبَهُمُ اللَّهُ

في التَّزويجِ، وأمرَ به الأحرارَ والعبيدَ، ووَعَدَهُمْ عليه الغِنَى، فقالَ: ﴿إن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ من فَضْلِهِ﴾ (النور: ٣٢).

وقالَ ﷺ: «تَزَوَّجُوا الْوَدُودَ الْوَلُودَ فَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمُ الأُمَمَ». (أخرجهُ أبوداود عن مَعْقِلِ بن يَسَارٍ).

الزواجُ بالنيَّةِ الصَّالحةِ دينٌ:

أيُّها المسلمون: إذا نَوى المسلمُ بزواجِهِ نيَّةً صالحةً يكونُ زواجُهُ ديناً، وقُرْبَةً يَتَقَرَّبُ بِهَا إلى ربِّهِ، وذلك إذا نَوى بزواجِهِ أنْ يعفَّ نفسَهُ وزوجتَهُ عن الزِّنا والفَواحشِ، وإذا نَوى كذلك طلبَ الذريةِ الصالحةِ التي تعبُدُ الله ونحَو ذلك مِنَ المقاصدِ الحسنةِ التي يحبُّها اللهُ سبحانَهُ.

وعَنْ أنسٍ، قالَ: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا تَزَوَّجَ الْعَبْدُ فَقَدْ اسْتَكْمَلَ نِصْفَ الدِّيْنِ، فَلْيَتَّقِ اللَّهَ فِي الْنِصْفَ الْبَاقِي» (أخرجَهُ البيهقيُّ في شعبِ الإيمانِ عن أنسٍ رضيَ اللهُ عنهُ).

وَقَالَ ﷺ: «وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ، قَالُوا: يَا رَسُوْلَ اللَّهِ: أَيَأْتِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ وَيَكُوْنُ لَهُ فِيْهَا أَجْرٌ؟ قَالَ، «أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ فِيْهَا وِزْرٌ، فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلاَلِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ» (أخرجهُ مُسلمٌ).

قال النَّوويُّ ـ رحمَهُ اللهُ ـ: وفي هذا دليلٌ عَلَى أنَّ الْمُبَاحَاتِ تصيرُ طاعاتٍ بالنياتِ الصادقاتِ، فالجماعُ يكونُ عبادَةً إذَا نَوى بِهِ قَضاءَ حَقِّ الزوجةِ وَمُعَاشَرَتِهَا بالمعروفِ الذي أمرَ اللهُ تعالى بهِ، أو طَلَبَ ولدٍ صالحٍ، أو إعفافَ

نفسه أو إعفافَ الزوجةِ ومنعهما جميعاً من النظرِ إلى حرامٍ، أو الفكرِ فيه، أو الهمِّ به، أو غيرَ ذلك من المقاصدِ الصالحةِ.

أيُّها المسلمون، أيَّتُها المسلماتُ:

أَيَتْرُكُ مُسْلِمٌ سَوِيٌّ إشباعِ غريزته بهذا الصراطِ السَّوِيِّ، الذي فيه الْمَوَدَّةُ وَالسَّكَنُ، وَالْعِفَّةُ وَالطُّهْرُ وَالذُّرِّيَّةُ وَالأَجْرُ وَالثَّوَابُ مِنَ الْكَرِيْمِ الْمَنَّانِ؟ وَيَسْلُكُ سَبِيْلَ الشَّيْطَانِ طَرِيْقَ الْعُهْرِ وَالْخَنَى وَالدَّيَاثَةِ وَالضَّيَاعِ وَالشَّقَاءِ وَالأَمْرَاضِ الْجِنْسِيَّةِ الْمُدَمِّرَةِ مِنْ إِيْدز وَهَرْبَسٍ وَزُهْرِيٍّ وَغَيْرِهَا، اللَّهُمَّ اهْدِ شَبَابَنَا وَاحْفَظْهُمْ، وَيَسِّرْ لَهُمُ الْحَلاَلَ الطَّيِّبَ وَجَنِّبْهُمُ الْحَرَامَ الْخَبِيْثَ.

عباد الله: الزوجةُ الصالحةُ منْ أسبابِ السعادةِ في الدُّنيا:

أخرجَ الحاكمُ عن سعدِ بن أبي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ رسولَ الله ﷺ قالَ: «ثَلاثٌ مِنَ السَّعَادَةِ: الْمَرأَةُ تَرَاهَا تُعْجِبُكَ، وَتَغِيْبُ عَنْهَا فَتَأْمَنُهَا عَلَى نَفْسِهَا وَمَالِكَ، وَالدَّابَّةُ تَكُوْنُ وَطِيْئَةً، فَتُلْحِقُكَ بِأَصْحَابِكَ، وَالدَّارُ تَكُوْنُ وَاسِعَةً كَثِيْرَةَ الْمَرَافِقِ.

وَثَلاَثٌ مِنَ الشَّقَاءِ: الْمَرْأَةُ تَرَاهَا فَتَسُوْؤُكَ، وَتَحْمِلُ لِسَانَهَا عَلَيْكَ، وَإِنْ غِبْتَ لَمْ تَأْمَنْهَا عَلَى نَفْسِهَا وَمَالِكَ، وَالدَّابَّةُ تَكُوْنُ قطوفاً، فَإِنْ ضَرَبْتَهَا أَتْعَبَتْكَ، وَإِنْ تَرَكْتَهَا لَمْ تُلْحِقْكَ بِأَصْحَابِكَ، وَالدَّارُ تَكُوْنُ ضَيِّقَةً قَلِيْلَةَ الْمَرَافِقِ».

وقال ﷺ: «الدُّنْيَا كُلُّهَا مَتَاعٌ، وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ» أخرجَهُ مسلمٌ عن عبدالله بن عمرو.

أيُّها المسلمون: مَنَعَ ﷺ مِنَ التَّبَتُّلِ:

وَالتَّبَتُّلُ هُوَ الانقطاعُ عن الزواجِ، وَالتَّفَرُّغُ للعبادةِ قالَ سعدُ بنُ أبي وقَّاصٍ: رَدَّ رسولُ اللهِ ﷺ، على عثمانَ بنِ مظعونٍ التَّبَتُّلَ، وَلَوْ أَذِنَ لَهُ لاخْتَصَيْنَا» أخرجَهُ البُخاريُّ.

وَعَنْ عبدِالله بن مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قالَ: كُنَّا نَغْزُو مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، وليسَ معنا نساءٌ، فَقُلْنَا: أَلاَ نَخْتَصِي؟ فَنَهَانَا عَنْ ذَلِكَ» فَرَخَّصَ لَنَا بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ نَتَزَوَّجَ الْمَرْأَةَ بِالثَّوْبِ، ثُمَّ قَرَأَ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾ (المائدة: ٨٧). أخرجَهُ البخاريُّ.

وَالْخِصَاءُ: هُوَ الشَّقُّ عَلَى الأُنْثَيَيْنِ وَانْتِزَاعُهُمَا.

وَمِمَّا سَبَقَ يَظْهَرُ خَطَأَ مَنْ قَالَ مِنَ النُّسَّاكِ وَالزُّهَادِ: أُحِبُّ لِلْمُبْتَدِئِ أَلاَّ يَشْغَلَ قَلْبَهُ بِهَذِهِ الثَّلاَثِ وَإِلاَّ تَغَيَّرَتْ حَالُهُ: التَّكَسُّبُ وَطَلَبُ الْحَدِيْثِ وَالتَّزَوُّجُ، وَأُحِبُّ لِلصُّوْفِيِّ أَنْ لاَ يَقْرَأَ وَلاَ يَكْتُبَ لأَنَّهُ أَجْمَعُ لِهِمَّتِهِ. (قوتُ القلوبِ ٣ / ١٣٥).

وقالَ آخرُ: «إِذَا طَلَبَ الرَّجُلُ الْحَدِيْثَ أَوْ سَافَرَ فِي طَلَبِ الْمَعَاشِ أَوْ تَزَوَّجَ فَقَدْ رَكَنَ إِلَى الدُّنْيَا..» (الفُتوحاتُ المكيَّةُ ١ / ٣٧).

هذه دعوةٌ صريحةٌ للإنحرافِ عن هَدْيِ إمامِ الْمُرْسَلِيْنِ، فعلى المسلمِ أَنْ يَحْذَرَهَا.

تَرْكُ الزَّوَاجِ يُؤَدِّي لِلْفِتَنِ:

أيُّها المسلمون: إنَّ التساهلَ في تركِ تزويجِ الأيامَى يُؤَدِّي إلى الْفِتَنِ منْ كَثْرَةِ

الْعَوَانِسِ، وانقطاعِ النَّسلِ، وفسادِ الأخلاقِ، والزِّنَا واللواطِ والسحاقِ واستخدامِ العادةِ السريةِ وكثرةِ اللُّقَطَاءِ وحوادثِ الاغتصابِ!!.

عن أبي هريرةَ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا خَطَبَ إِلَيْكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِيْنَهُ وَخُلُقَهُ، فَزَوِّجُوْهُ. إِلاَّ تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِيْضٌ» (أخرجَهُ الترمذيُّ عَنْ أبي هريرةَ).

عَوَائِقُ فِي طرِيْقِ مُريدِي الزَّوَاجِ:

أيُّها المسلمون:

الزواجُ يَرْغَبُ فيهِ كُلُّ سَوِيٍّ فِطْرَةٍ، فكيفَ بالمسلمِ الَّذي جَعَلَ الإسلامُ الزواجَ نصفَ دينهِ، ولكنْ هناكَ عَقَبَاتٌ، تقفُ في طريقِ مُرِيْدِيْهِ، فعلينا جميعاً أنْ نتعاونَ على أزالةِ هذه العوائقِ حتَّى نُيَسِّرَ الزواجَ لِشَبَابِنَا، ومِنْ هذه العقباتِ:

أولاً: المغالاةُ في المهورِ: فبعضُ الناسِ يُغالي في المهورِ مِنْ أجلِ الْمُبَاهَاةِ وَالْمُفَاخَرَةِ، وآخرونَ يظنونَ أَنَّهُ كرامةٌ للمرأةِ، وآخرونَ جَعَلُوا ذلكَ فُرْصَةً لِلتَّكَسُّبِ وَجَمْعِ المالِ، وآخرون لمنعِ الزوجِ مِنَ الطلاقِ السائغِ، وكُلُّ هذا مخالفٌ لهديِ الإسلامِ السامي.

عن عمرَ بنِ الخطابِ رضيَ اللهُ عَنْهُ، قالَ: أَلاَ لاَ تُغَالُوا صدقَةَ النِّسَاءِ، فإِنَّها لو كانتْ مَكْرُمَةً في الدنيا وَتَقْوَى عندَ اللهِ، لكانَ أَوْلاَكُمْ بِهَا نَبِيُّ اللهِ ﷺ مَا عَلِمْتُ رسولَ اللهِ ﷺ نكحَ شيئاً من نسائِهِ، وَلا أَنْكَحَ شيئاً من بَنَاتِهِ عَلَى أكثرَ من اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أوقيةً. رواه أحمدُ والترمذيُّ، وأبو داودُ، والنسائيُّ، وابنُ ماجه، والدارميُّ.

واثنتا عشرةَ أوقيةً تُعادِلُ تقريباً مئةَ دينارٍ كويتيٍّ، بَلْ كَانَ يُزَوِّجُ ﷺ على أقلَّ مِنْ هذا.

عنْ سهلِ بنِ سعدٍ: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ جَاءَتْهُ امرأةٌ فقالتْ: يا رسولَ اللهِ! إنِّي وهبتُ نفسي لكَ. فقامتْ طويلاً، فقامَ رجلٌ، فقال: يا رسولَ اللهِ! زَوِّجْنِيْهَا إنْ لَمْ تَكُنْ لَّكَ فيها حَاجَةٌ. فقالَ: «هَلْ عِنْدَكَ مِنْ شيءٍ تَصْدُقُهَا؟» قالَ: ما عندي إلاَّ إزَارِي هَذَا. قالَ: «فَالْتَمِسْ ولو خَاتَماً من حديدٍ» فَالْتَمَسَ فَلَمْ يَجِدْ شَيئاً. فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «هَلْ مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ شَيْءٌ؟» قالَ: نَعَمْ، سورةُ كَذا وسورةُ كَذا. فقالَ: زَوَّجْتُكَهَا بما معكَ مِنَ القرآنِ» وفي روايةٍ، قال: «انْطَلِقْ فَقَدْ زَوَّجْتُكَهَا، فَعَلِّمها مِنَ الْقُرْآنِ» متفقٌ عليه.

فتيسيرُ المهرِ على مريدِ الزواجِ فيه خيرٌ كَمَا هُوَ مِنْ يُمْنِ المرأةِ قالَ ﷺ: «خَيْرُ الصَّدَاقِ أَيْسَرُهُ» أخرجَهُ الحاكمُ عن عقبة بن عامرٍ رضيَ اللهُ عنهُ.

وقالَ ﷺ: «إنَّ مِنْ يُمْنِ الْمَرْأَةِ تَيْسِيْرُ خِطْبَتِهَا، وَتَيْسِيْرُ صَدَاقِهَا، وَتَيْسِيْرُ رَحِمِهَا» أخرجَهُ أحمدُ عن عائشةَ.

وعنْ أنسٍ، قالَ: تزوجَ أبو طلحةَ أُمَّ سُلَيْمٍ، فكانَ صداقُ ما بينهما الإسلامُ، أَسْلَمَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ قبلَ أبي طلحةَ، فَخَطَبَهَا فقالتْ: إنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ، فَإِنْ أَسْلَمْتَ نَكَحْتُكَ، فَأَسْلَمَ، فَكَانَ صَدَاقُ مَا بَيْنَهُمَا. رواه النسائي.

أيُّها المسلمون:

عَلَى المسلمِ أنْ ينظرَ إلى وضعهِ الماديِّ وَيُقَدِّمَ صداقَ امرأتِهِ وفق استطاعَتِهِ وعلى أولياءِ البناتِ أنْ يُرَاعُوا ذَلِكَ ولا يُكَلِّفُوا الزوجَ أكثرَ من طاقتِهِ قال تعالى:

﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾﴾ (الطلاق).

الخطبة الثانية:

أيُّها المسلمون: والعوائقُ كذلك في طريقِ مُريدِي الزواجِ.

ثانياً: الإسرافُ والتبذيرُ، والتكلُّفُ في النفقةِ على حفلاتِ العُرسِ فمبالغُ باهظةٌ على بدلةِ الزوجةِ لِلَيْلَةٍ واحدةٍ فقط، وحفلة للخطبة، وأُخْرَى لِعَقْدِ الْقِرَانِ، وأُخْرَى لِلَيْلَةِ الزفافِ، وموائدَ ضخمةٍ تُنْصَبُ لاَ يُصِيْبُ منها الناسُ إلا قليلاً، ثُمَّ ترمى وهكذا. إسرافٌ وتبذيرٌ مع عدمِ القدرةِ على ذلك.

أيُّها المسلمون: عليكُمْ بِهَدْيِ نَبِيِّكُم، وَدَعُوا التَّكَلُّفَ في هَذَا، وَلْيُنْفِقْ أحدُكم على قَدْرِ استطاعتِه، ولا يجعلْ ذَلِكَ سبباً في تأخيرِ الزواجِ أَتَدْرُوْنَ ما هي وليمةُ نَبِيِّكُمْ عندما تَزَوَّجَ صفيةَ وهو سيدُ الأولين والآخرين؟ قال أَنَسٌ: حتَّى بلغنا سُدَّ الصهباءِ (مكانٌ معروفٌ بينَ المدينةِ وخيبرَ) طَهُرَتْ صفيةُ من حيضِهَا، فَبَنَى بِهَا رسولُ اللهِ ﷺ ثُمَّ صَنَعَ حَيْساً في نِطْعٍ صغيرٍ، وَالْحَيْسُ تَمْرٌ يُخْلَطُ مَعَ أقطٍ وسمنٍ ثم قالَ لي: آذِنْ مَن حَوْلَكَ، فكانت تلكَ وَلِيْمَتُهُ على صفية ﷺ.

ثالثاً: البعضُ يتأخَّرُ بالزواجِ، ويُطيلُ البحثَ لأنَّهُ يُريدُ مواصفاتٍ عزيزةً من الجمالِ، وهكذا بعضُ البناتِ وأصبحَ البعضُ يتنازَلُ عن قِيَمٍ سَامِيَةٍ من أجلِ الحُسنِ والجَمالِ، وخيرُ الأمورِ في هذا ـ يا شبابَ الإسلامِ ـ الْوَسَطُ، فالدُّنيا دَارُ النقصِ، فعلينا أن نَرْضَى بما تَيَسَّرَ من الجمالِ، وألاَّ يكونَ ذلك عائقاً لنا من الزواجِ.

رابعاً: التَّكَلُّفُ في شراءِ السيارةِ الفخمةِ وفي إعدادِ المسكنِ والأثاثِ، ويريدُ بعضُ الذين قَدَرَ اللهُ عليهم رِزْقَهُمْ أنْ يُحاكُوا في سلوكِهم طريقةَ أهلِ الثَّراءِ والجاهِ، ونَسِيَ هؤلاءِ سُنَّةَ اللهِ تعالى في خَلْقِه، فاللهُ سبحانَهُ شاءَ أنْ يكونَ في مُلْكِهِ غَنِيٌّ وفَقِيرٌ، والفقرُ ليسَ عَيْباً قالَ جلَّ وعَلا:

﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾﴾ (الزخرف).

خامساً: من العوائقِ كذلك، والتي تَقِفُ في طريقِ شَبابِنا من الزواجِ طَلَبُ العِلمِ، وهذه قضيةٌ في مُنْتَهَى الخُطورةِ، وخاصَّةً في مثلِ هذه الظروفِ التي يَمُرُّ بها شبابُنا من مُغْرِيَاتٍ وإثارَةٍ لِلْشَّهَوَاتِ والغرائزِ، وعلى الأولياءِ أنْ يَنْتَبِهُوا لذلك، وأنْ يُعينوا أبناءَهم وبناتِهم على الزواجِ، فالزواجُ لا يمنعُ من طلبِ العِلمِ، والحكومَةُ ـ ولِلَّهِ الحمدُ ـ تُقَدِّمُ إعانةً شهريَّةً كافيةً للطلبةِ المتزوجين. فجزاها اللهُ عنَّا خيرَ الجزاءِ وزادَهَا من فَضْلِه.

بسم الله الرحمن الرحيم

كَيْفَ حَفِظَتِ الشريعةُ الأَعْرَاضَ؟

الخُطبةُ الأولى:

الْمُسْلِمُ السَّوِيُّ عَفِيفٌ طَيِّبٌ طَاهِرٌ، يَحْفَظُ فَرْجَهُ عَمَّا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﷺ مِنْ زِنا ولواطٍ وغيرِهِ.

احْفَظْ مَنِيَّكَ مَا اسْتَطَعْتَ فَإِنَّهُ
مَاءُ الْحَيَاةِ يُصَبُّ فِي الأَرْحَامِ

والمسلمُ السَّويُّ غَيورٌ على شَرفِهِ وَعِرْضِهِ، غيورٌ على أعراضِ المسلمينَ جميعاً، لا يَرْضَى بتَدنيسِها وتلويثِها بالفواحشِ والموبقاتِ لأنَّ مَنْ هَتَكَ حُرْمَةَ أخيهِ هتكَ اللهُ حُرْمَتَهُ.

قال الشافعيُّ رحمهُ اللهُ تعالى:

يَا هَاتِكَاً حُرَمَ الرِّجَالِ وَقَاطِعَاً
سُبُلَ الْمَوَدَّةِ عِشْتَ غَيْرَ مُكَرَّمِ
لَوْ كُنْتَ حُرّاً مِنْ سُلاَلَةِ مَاجِدٍ
مَا كُنْتَ هَتَّاكَاً لِحُرْمَةِ مُسْلِمِ
مَنْ يَزْنِ يُزْنَ وَلَوْ بِجِدَارِهِ
إِنْ كُنْتَ يَا هَذَا لَبِيباً فَافْهَمِ

أيُّها المسلمون:

تَعالَوْا معي نَنْظُرُ في كتابِ اللهِ الكريمِ، وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ كيفَ دَعَتِ الشريعةُ لحفظِ الأعراضِ ونقائِها؟

أولاً: حَرَّمَتِ الشريعةُ الْغَرَّاءُ الزِّنا واللواطَ صيانةً لنقاءِ الأعراضِ وطُهرِها.

قالَ تعالى: ﴿وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً ﴿٣٢﴾﴾ (الإسراء).

فالزِّنا ذنبٌ عظيمٌ، وَمَسْلَكٌ مَشِيْنٌ مَذْمُوْمٌ.

وقالَ تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾﴾ (الفرقان)، فَوَعَدَ اللهُ مَنْ وقعَ في هذه الموبقاتِ من (الشركِ وَقَتْلِ النفسِ والزِّنا) بالعذابِ، الذي يُضَاعَفُ وَيُكَرَّرُ لصاحِبِهِ، وبالخِزْيِ وبالذُّلِّ.

وقَدْ رَوَى الإمامُ أحمدُ عن أبي أُمامةَ أنَّ فتًى شاباً أَتَى النبيَّ ﷺ فقالَ: يا رسولَ اللهِ ائْذَنْ لي بالزِّنا!! فأقبلَ القومُ عليهِ فَزَجَرُوْهُ، وقالوا: مَهْ مَهْ، فقالَ «ادْنُهْ» فَدَنَا منْهُ قريباً، فقالَ «اجلسْ»، فقالَ «أَتُحِبُّهُ لأُمِّكَ»؟ قَالَ: لاَ وَاللَّهِ، جَعَلَنِيَ اللَّهُ فِدَاكَ، قَالَ: وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّوْنَهُ لأُمَّهَاتِهِمْ، قَالَ: «أَفَتُحِبُّهُ لابْنَتِكَ؟» قَالَ: لاَ وَاللَّهِ يَا رَسُوْلَ اللَّهِ، جَعَلَنِيَ اللَّهُ فِدَاكَ، قَالَ: وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّوْنَهُ لِبَنَاتِهِمْ. قَالَ: «أَفَتُحِبُّهُ لأُخْتِكَ؟» قَالَ: قَالَ: لاَ وَاللَّهِ، جَعَلَنِيَ اللَّهُ فِدَاكَ، قَالَ: وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّوْنَهُ لأَخَوَاتِهِمْ: «أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟» قَالَ: لاَ وَاللَّهِ يَا رَسُوْلَ اللَّهِ، جَعَلَنِيَ اللَّهُ فِدَاكَ، قَالَ: وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّوْنَهُ لِعَمَّاتِهِمْ، قَالَ «أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ؟» قَالَ: لاَ وَاللَّهِ يَا

رَسُوْلَ اللَّه، جَعَلَنِي اللَّهُ فِداكَ، قَالَ: وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّوْنَه لِخَالاَتِهِمْ، قالَ فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْه، وَقَالَ «اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ، وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَأَحْصِنْ فَرْجَهُ» قَالَ: فَلَمْ يَكُنْ بَعْدَ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيءٍ) أحمد ٥ / ٢٥٦.

وعن أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «لاَ يَزْنِي الزَّانِي حِيْنَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَسْرِقُ السَّارِقُ حِيْنَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِيْنَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ». (رواهُ البُخاريُّ ومسلمٌ وأبو داودَ وَالنَّسَائِيُّ).

وعن ابن عباس رضيَ اللهُ عنهما، عن رسولِ الله ﷺ، قال: «إِذَا ظَهَرَ الزِّنَا وَالرِّبَا فِي قَرْيَةٍ فَقَدْ أَحَلُّوا بِأَنْفُسِهِمْ عَذَابَ اللَّهِ». رواه الحاكمُ، (وقال: صحيح الإسناد).

فَالْبَلَدُ التي يُجَاهِرُ أَهْلُهَا بهاتين الْمَعْصِيَتَيْنِ أمامَ الناسِ دُوْنَ حياءٍ، يُعَرِّضُوْنَ أَنْفُسَهُمْ بذلك لعذابِ اللَّهِ تعَالى.

وعن أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُوْلَ اللَّه ﷺ يقولُ حينَ نَزَلَتْ آيةُ الْمُلاَعَنَةِ: «أَيُّمَا امْرَأَةٍ أَدْخَلَتْ عَلَى قَوْمٍ مَنْ لَيْسَ مِنْهُمْ فَلَيْسَتْ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ، وَلَنْ يُدْخِلَهَا اللَّهُ جَنَّتَهُ. وَأَيُّمَا رَجُلٍ جَحَدَ وَلَدَهُ وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَيْهِ احْتَجَبَ اللَّهُ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَفَضَحَهُ عَلَى رُؤُوسِ الأَوَّلِيْنَ وَالآخِرِيْنَ». رواهُ أبو داودَ وَالنَّسَائِيُّ، وابنُ حِبَّانَ في صحيحِه.

فالزانيةُ التي تَحْمِلُ مِنْ زِنَاها، وَتَنْسُبُ هذا الولدَ لزوجِها وَهُوَ لاَ يَعْلَمُ، لاَ يُدْخِلُهَا اللَّهُ الْجَنَّةَ، وهذا وَعِيْدٌ شَدِيْدٌ، يدعو المسلمةَ التقيةَ للحذرِ مِنْ هذا الْفِعْلِ المشينِ.

ثانياً: تتضاعفُ حُرْمَةُ الزِّنَا وتَشْتَدُّ إذَا زَنَى الزَّانِي بِمَحَارِمِه، أَوْ بِزَوْجَةِ جَارِهِ، أَوْ زَنَى وَهُوَ كَبِيْرٌ فِي السِّنِّ عَجُوْزٌ.

وعن أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ، قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «ثَلاَثَةٌ لاَ يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلاَ يُزَكِّيهِمْ، وَلاَ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيْمٌ: شَيْخٌ زَانٍ، وَمَلِكٌ كَذَّابٌ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ» رواهُ مُسلمٌ.

وعنِ المقدادِ بنِ الأسودِ رضيَ اللهُ عنهُ، قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ لأصحابه: «ما تقولونَ في الزِّنا؟» قالوا: حرامٌ حَرَّمَهُ اللهُ ورسولهُ فهو حرامٌ إلى يومِ القيامةِ. فقالَ رسولُ الله ﷺ، لأصحابه: «لأَنْ يَزْنِي الرَّجُلُ بِعَشْرِ نِسْوَةٍ أَيْسَرُ عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يَزْنِي بِامْرَأَةِ جَارِهِ». رواهُ أحمدُ والطبرانيُّ.

ـ وعن ابنِ مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ، قالَ: سألتُ رسولَ اللهِ ﷺ: أيُّ الذنبِ أعظمُ عندَ الله؟ قالَ: «أنْ تجعلَ للهِ نِدّاً، وهُوَ خَلَقَكَ» قُلْتُ: إنَّ ذَلِكَ لَعَظِيْمٌ، ثُمَّ أيٌّ؟ قالَ: «أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ مَخَافَةَ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ» قُلْتُ: ثُمَّ أيٌّ؟ قالَ: «أَنْ تُزَانِي حَلِيْلَةَ جَارِكَ» أخرجَهُ الشيخان.

فالجارُ حَقُّهُ عظيمٌ في الإسلامِ، أُمِرْنَا بالإحسانِ إليهِ، فَخِيَانَتُهُ في أهلِهِ جُرْمٌ كَبِيْرٌ قَبِيْحٌ يَسْتَحِقُّ فَاعِلُهُ مُضَاعَفَةَ الْعَذَابِ لَهُ.

ثالثاً: جَعَلَ الإسلامُ حَدّاً لِرَدْعِ الزُّنَاةِ وَالزَّوَانِي.

قالَ تعالى: ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝١ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ

الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ الزَّانِي لا يَنكِحُ إِلاَّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لا يَنكِحُهَا إِلاَّ زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾﴾ (النور).

فالزَّاني غيرُ الْمُحْصَنِ أي لَمْ يَتَزَوَّجْ حَدَّهُ إِذَا زَنَا مائةُ جَلْدَةٍ وَتَسْفِيرُهُ مِنْ بلدِهِ لمدةِ عامٍ، وَحَدُّ الزَّانِي الْمُحْصَنِ الَّذِي قَدْ تَزَوَّجَ الرَّجْمُ بِالْحِجَارَةِ حَتَّى الْمَوْتِ.

وَعَنْ عُبَادَةَ بنِ الصامتِ ـ رضيَ اللهُ عنهُ ـ قالَ: قالَ رسولُ اللهُ ﷺ: «خُذُوا عَنِّي خُذُوا عَنِّي، فَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلاً، الْبِكْرُ بِالْبِكْرِ جَلْدُ مائةٍ وَنَفْيُ سَنَةٍ، وَالثَّيِّبُ بِالثَّيِّبِ جَلْدُ مائةٍ وَالرَّجْمُ» رواهُ مسلمُ.

أمَّا حدُّ اللواطِ أعاذنا اللهُ منهُ.

فعن ابن عباس ـ رضيَ اللهُ عنهما ـ قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «مَنْ وَجَدْتُمُوهُ يَعْمَلُ عَمَلَ قَوْمِ لُوطٍ، فَاقْتُلُوا الْفَاعِلَ وَالْمَفْعُولَ بِهِ» (أخرجَهُ أبو داود، والترمذيُّ، وابنُ ماجة والبيهقيُّ، وأحمد، والدار قطنيُّ والحاكمُ) وممن قالَ من الصحابةِ بقَتْلِهِ، أبو بكر، وخالدُ بنُ الوليدُ، وعليُّ بنُ أبي طالب وعبدُاللهِ بنُ الزُّبَيْرِ، وَابْنُ عَبَّاسٍ، وَجَابِرُ بْنُ عَبْدِاللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عنهم جَمِيعاً. وكذلك ذَهَبَ إلى القولِ بِقَتْلِهِ الزُّهْرِيُّ، وَمَالِكٌ، وَالشَّافِعِيُّ، واسْحَاقُ بْنُ رَاهَوَيْهِ، وَلَكِنَّهُمْ اخْتَلَفُوا فِي كَيْفِيَّةِ قَتْلِهِ إِلَى مَذَاهِبَ:

١ ـ يُقْتَلُ ثُمَّ يُحْرَقُ، قَالَ بِذَلِكَ عَلِيٌّ وَأَبوبَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

٢ ـ يُلْقَى عَلَيْهِ حَائِطٌ، قَالَ بِذَلِكَ عُمَرُ وَعُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

٣ ـ يُلْقَى مِنْ أَعْلَى شَاهِقٍ مُنَكَّساً، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ.

٤ ـ يُرْجَمُ حَتَّى الْمَوْتِ، قَالَ بِذَلِكَ الزُّهْرِيُّ وَمَالِكٌ وَأَحْمَدُ وَالشَّعْبِيُّ.

وقالَ مَالِكٌ: يُرْجَمُ أُحْصِنَ أَوْ لَمْ يُحْصَنْ وَكَذَلِكَ يُرْجَمُ الْمَفْعُولُ بِهِ إِنْ كَانَ مُحْتَلِماً، وَاحْتَجَّ مَالِكٌ بِقَوْلِهِ: ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ ﴾ (الحجر) الآية.

وقال الشافعيُّ: يُحَدُّ حَدَّ الزَّاني قِياساً عليه.

رابعاً: رَغَّبَ رَسُوْلُ الهُدَى ﷺ بالْعِفَّةِ وَالطُّهْرِ مِنْ الْفَوَاحِشِ، فَالْعِفَّةُ سَبَبٌ لِدُخُوْلِ الْجَنَّةِ، وَالْعِفَّةُ سَبَبُ الْفَلاحِ فِي الدَّارَيْنِ، وَالعِفَّةُ سَبَبُ الأَمْنِ مِنْ أَهْوَالِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ فِي ذَلِكَ اليَوْمِ الْعَظِيْمِ، الذي يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيْباً.

وقالَ تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلاَّ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ ﴾ (المؤمنون).

فَحِفْظُ الفُروجِ من أسبابِ الفلاحِ، في الدنيا والآخرةِ، وسَبَبُ الفوزِ بِالْفِرْدَوْسِ.

وعن أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عنهُ، قالَ: قال رسولُ الله ﷺ: «إِذَا صَلَّتِ الْمَرْأَةُ خَمْسَهَا، وَحَصَّنَتْ فَرْجَهَا، وَأَطَاعَتْ بَعْلَهَا، دَخَلَتْ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شَاءَتْ».

رواهُ ابنُ حبان في صحيحه.

وعن سهلِ بنِ سعدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قالَ: قالَ رسولُ اللَّهُ ﷺ: «مَنْ يَضْمَن

لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنُ لَهُ الْجَنَّةَ». رواهُ البُخاريُّ والتِّرمذيُّ.

قال الحافظُ: المرادُ بـ«مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ»: اللسانُ، وبـ«مَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ»: الْفَرْجُ. واللحيانِ: هُما عَظْمَا الحنكِ.

وعن أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ، .... وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ». رواهُ البخاريُّ ومسلمٌ.

فَمَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ فِي حِفْظِ فَرْجِهِ مِمَّا حَرَّمَ اللَّهُ تَعَالى، فَسَيَقِيهِ اللَّهُ مِنْ أَهْوَالِ ذَلِكَ الْيَوْمِ الْعَظِيمِ.

خامساً: حَرَّمَ الإِسْلاَمُ الْوَسَائِلَ الَّتِي تُؤَدِّي للوقوعِ فِي الْفَاحِشَةِ:

١ ـ فَأَمَرَ بِغَضِّ الأَبْصَارِ لأَنَّ النَّظَرَ لِلنِّسَاءِ الأَجْنَبِيَّاتِ ذَرِيعَةٌ لإِثَارَةِ الْغَرَائِزِ والشَّهَوَاتِ.

قال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ...﴾ (النور).

وعن جابرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ نَظَرِ الْفُجْأَةِ فقالَ: «اصْرِفْ بَصَرَكَ» أخرجهُ مُسلمٌ.

قالَ ﷺ: «فَلاَ تُتْبِعِ النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ، فَإِنَّمَا لَكَ الأُولَى وَلَيْسَتْ لَكَ الآخِرَةُ» أخرجَهُ أحمدُ.

قالَ الشاعرُ:

إنَّ الْحَوَادِثَ مَبْدَؤُهَا مِنَ النَّظَرِ
وَمُعْظَمُ النَّارِ مِنْ مُسْتَصْغَرِ الشَّرَرِ
كَمْ نَظْرَةٍ فَتَكَتْ فِي قَلْبِ صَاحِبِهَا
فَتْكَ السِّهَامِ بِلاَ قَوسٍ وَلاَ وَتَرِ
وَالْمَرْءُ مَادَامَ ذَا عَيْنٍ يُقَلِّبُهَا
فِي أَعْيُنِ النَّاسِ مَوْقُوفٌ عَلَى الْخَطَرِ
يَسُرُّ مُقْلَتَهُ مَا ضَرَّ مُهْجَتَهُ
لاَ مَرْحَبَاً بِسُرُوْرٍ جَاءَ بِالضَّرَرِ

كَمَا أجمعَ العُلماءُ ـ رَحِمَهُمُ اللهِ ـ على تحريمِ النظرِ إلى الأمردِ إذَا اقْتَرَنَتْ الشهوةُ بهذهِ النظرةِ.

قالَ ابنُ تيميةَ: النَّظَرُ إلَى الْمُرْدَانِ ثَلاَثَةُ أَقْسَامٍ: أَحَدُهَا: مَا تَقْتَرِنُ بِهِ الشَّهْوَةُ فَهُو مُحَرَّمٌ بالاتفاقِ...».

كَمَا حَرَّمَ النَّظَرَ إلَى الْعَوْرَاتِ:

* عن أبي سعيد الْخُدْرِيِّ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «لاَ يَنْظُرِ الرجلُ إلى عورةِ الرجلِ، ولا المرأةُ إلى عورةِ المرأةِ، ولا يُفْضِي الرجُلُ إلى الرجُلِ في الثوبِ الواحدِ، ولا المرأةُ إلى المرأةِ في الثوبِ الواحدِ». صحيحُ مسلمٍ

* عن بهزِ بنِ حكيم عن أبيهِ عن جَدِّهِ ـ رضيَ اللهُ عنهُ ـ قالَ: قُلْتُ: يا رسولَ اللهِ: عَوراتُنا، ما نأتي منها وما نَذَرُ؟ قال: احْفَظْ عَوْرَتَكَ إلاَّ مِنْ زَوْجَتِكَ أَوْ مَا مَلَكَتْ يَمِيْنُكَ، قُلْتُ: يَا رسولَ اللهِ، فَالرَّجُلُ يَكُوْنُ مَعَ الرَّجُلِ؟ قَالَ: إنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ لا يَرَهَا أَحَدٌ فَافْعَلْ، قُلْتُ الرَّجُلُ يَكُوْنُ خَالِيًا؟ قالُ: فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ يَسْتَحْيَ مِنْهُ» التِّرمذيُّ.

وَلَقَدْ حَدَّدَ الْعُلَمَاءُ عَوْرَةَ الرَّجُلِ:

* قالَ مُوفَّقُ الدِّيْنِ: والصالحُ في المذهبِ: أنَّها من الرَّجُلِ مَا بين السُّرَّةِ إلى الرُّكْبَةِ، نَصَّ عليهِ أحمدُ في روايةِ جماعةٍ، وهو قولُ مالكٍ والشافِعيِّ وأبي حنيفةَ وأكثرِ الْفُقَهَاءِ. (المغني ١ / ٥٧٨).

* أخرجَ البخاريُّ تعليقاً عنِ ابنِ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُ وجرهد ومحمدِ بنِ جحشٍ عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «الفخذُ عَورةٌ» فَلْيَتَّقِ اللهَ المشرفونَ على الشبابِ في سترِ عَوراتِهم وخاصَّةً في أحواضِ السِّباحةِ.

* رَوَى عليُّ بنُ أبي طالبٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ قالَ: قال لِيَ النبيُّ ﷺ: «لاَ تُبْرِزْ فَخِذَكَ، وَلاَ تَنْظُرَ إِلَى فَخِذِ حَيٍّ وَلاَ مَيِّتٍ» أبو داود.

* عن المسور بنِ مخرمةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قالَ أقبلتُ بحجرٍ ثقيلٍ أَحْمِلُهُ، وعلي إزارٌ خفيفٌ، فانْحَلَّ إزَارِي ومَعِيَ الحَجَر لم أَسْتَطِعْ وَضْعَهُ حتَّى بَلَغْتُ بِهِ إلَى موضعهِ فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ «ارْجِعْ إِلَى ثَوْبِكَ فَخُذْهُ وَلاَ تَمْشُوا عُرَاةً» مُسْلِمٌ.

٢ ـ أمرَ المرأةَ بالحجابِ ونَهاها عنْ إظهارِ زِيْنَتِهَا ومَفَاتِنِهَا أمامَ الرجالِ

الأجانب، لأنَّ فعْلَهَا هذا يُؤدِّي إلَى إثَارَةِ الشَّهَواتِ والغرائزِ التي تُسْقِطُ الشبابَ فيما حَرَّمَ اللهُ من زِنا ولُواط وغيرِهِ ومِنْ العاداتِ السيئةِ.

* دخلَ نِسْوَةٌ من أهلِ حِمْصَ على عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فقالتْ: لَعَلَّكُنَّ مِمَّنْ يَدْخُلْنَ الحمامات؟ قُلْنَ: نَعم، قالتْ: أمَّا إنِّي قد سَمِعْتُ رسولَ اللَّه ﷺ يقولُ: «مَا مِنْ امْرَأَةٍ وَضَعَتْ ثِيَابَهَا فِي غَيْرِ بَيْتِ زَوْجِهَا إلاَّ هَتَكَتْ مَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ» (أبو داود).

فَخَلْعُ الْمَلاَبِسِ فِي حَمَّامِ سُوْنَا وَحَمَّامِ الْمَغْرِبِيِّ وَنَحْوِهِ خَارِجَ بَيْتِ الْمَرْأَةِ لاَ يَحِلُّ.

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾ ﴾ (الأحزاب).

وقال تعالى: ﴿ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾ (النور: ٣٠).

٣ ـ مَنْعُ المرأةِ من السفرِ دُوْنَ مَحْرَمٍ، لأَنَّ سَفَرَهَا دُوْنَ مَحْرَمٍ قَدْ يُؤَدِّي إلى طَمَعِ مَرْضَى القُلوبِ، الذين لا يَخْشَوْنَ اللهَ تعالى فيها ونحوِ ذلكَ من المحاذيرِ.

عنْ أبي سعيدٍ الخُدرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «لاَ يَحِلُّ لامْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أَنْ تُسَافِرَ سَفَراً يَكُونُ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ فَصَاعِداً إلاَّ وَمَعَهَا أَبُوْهَا، أَوْ أَخُوْهَا، أَوْ زَوْجُهَا، أَوْ ابْنُهَا، أَوْ ذُو مَحْرَمٍ مِنْهَا».

رواهُ البخاريُّ ومُسْلِمٌ وأبو داودَ والتِّرْمذيُّ وابنُ ماجَة.

٤ ـ نَهَى عن الدُّخولِ على النساءِ الأجنبياتِ والْخَلْوَةِ بِهِنَّ ومَسِّهِنَّ:

عن عُقْبَةَ بنِ عامرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ: «إِيَّاكُمْ والدُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ»، فقالَ رجلٌ مِنَ الأنصارِ: أفرأيتَ الْحَمُو؟ قال: «الْحَمُو الْمَوْتُ».

والْحَمُو: أخو الزوجِ.

وقالَ ﷺ: «لاَ يَخْلُوَنَّ أَحَدُكُمْ بِامْرَأَةٍ إِلاَّ مَعَ ذِي مَحْرَمٍ» البخاريُّ ومُسْلِمٌ.

كَمَا تُحْرَمُ مُصَافَحَةُ الْمَرْأَةِ عِنْدَ الأَئِمَّةِ الأَرْبَعَةِ، لأنَّ الْمَسَّ فِي تَحْرِيْكِ الشَّهْوَةِ فَوْقَ النَّظَرِ!!.

وعن معقلِ بن يسارٍ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «لأَنْ يُطْعَنَ فِي رَأْسِ أَحَدِكُمْ بِمَخِيْطٍ مِنْ حَدِيْدٍ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَمَسَّ امْرَأَةً لاَ تَحِلُّ لَهُ».

أخرجَهُ الطبرانيُّ ـ الترغيب ٢٨٥٤. المخيطُ: مِثْلُ الأبْرَةِ وَالْمَسَلَّةِ

* فَتَحْرُمُ مُصَافَحَةُ الشَّابَّةِ عندَ الحنفيةِ والمالكيةِ والشافعيةِ والحنابلةِ وذلك أنَّ المسَّ في بَعْثِ الشَّهْوَةِ وتحريكِها فوقَ النَّظَرِ. وَالنَّظَرُ مُحَرَّمٌ.

قالتْ عائشةُ رضيَ اللهُ عنها: لاَ وَاللَّهِ مَا مَسَّتْ يَدُهُ يَدَ امْرَأَةٍ قَطُّ فِي الْمُبَايَعَةِ مَا يُبَايِعُهُنَّ إِلاَّ بِقَوْلِهِ: قَدْ بَايَعْتُكُنَّ عَلَى ذَلِكَ» البخاريُّ.

* عن أُمَيْمَةَ بنتِ دقيقةٍ قالتْ: (أتيتُ رسولَ اللهِ ﷺ في نِسْوَةٍ نُبَايِعُهُ على الإسلامِ، فَقُلْنَ: يا رسولَ اللهِ ﷺ نُبَايِعُكَ على أن لاَّ نُشْرِكَ باللهِ شيئاً، ولا

نَسْرِقَ ولا نَزْنِي، ولا نَقْتُلَ أولادنا، ولا نأتي ببُهْتَانٍ نَفْتَرِيهُ بَيْنَ أَيْدِيْنَا وَأَرْجُلِنَا، ولا نَعْصِيْكَ في معروفٍ، فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: فيما اسْتَطَعْتُنَّ وَأَطَقْتُنَّ، قالتْ: فَقُلْنَ: اللهُ ورسولُهُ أَرْحَمُ بنا من أنفسنا، هَلُمَّ نُبَايِعْكَ يا رسولَ اللهِ فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: إِنِّي لا أُصَافِحُ النِّسَاءَ، إِنَّمَا قَوْلِي لِمِائَةِ امرأةٍ كقولي لامرأةٍ واحدةٍ». (أخرجَهُ مالكٌ وأحمدُ وغيرُهُمَا).

الْخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

أيُّها المسلمون: ومن مظاهرِ حِفْظِ الشريعةِ للأعراضِ كذلك:

سادساً: حَرَّمَ الإسلامُ على المسلمِ أنْ يكونَ دَيُّوْثاً، لا يَغَارُ عَلَى نِسَائِهِ عن ابنِ عمرَ رضيَ اللهُ عنهُما قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «ثَلاَثَةٌ لاَ يَدْخُلُوْنَ الْجَنَّةَ: الْعَاقُّ لِوَالِدَيْهِ، وَالدَّيُّوْثُ، وَرَجْلَةُ النِّسَاءِ» (أخرجَهُ الحاكمُ، صحيحُ الجامعِ ٣٠٥٨)

فَالدَّيَاثَةُ مِنْ كَبَائِرِ الذُّنُوْبِ وَالْخَطَايَا.

سابعاً: رَغَّبَ الإسلامُ بالزواجِ، لأنَّهُ الطريقُ الطَّيِّبُ الطَّاهِرُ الْمُلاَئِمُ لِلْفِطْرَةِ السَّلِيْمَةِ، وَلأَنَّهُ السَّبِيْلُ لِحِمَايَةِ الأَعْرَاضِ.

عنْ عبدِاللهِ بنِ مسعودٍ ـ رَضِيَ اللهُ عنهُ ـ قالَ: قالَ لَنَا رسولُ اللهِ ﷺ: «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ» مُتَّفَقٌ عليه.

وعنْ أنسِ بنِ مالكٍ ـ رضيَ اللهُ عنهُ ـ قالَ: كانَ رسولُ اللهِ ﷺ يَأْمُرُنَا بِالْبَاءَةِ وَيَنْهَى عَنِ التَّبَتُّلِ نَهْياً شَدِيْداً، وَيَقُوْلُ: «تَزَوَّجُوا الْوَلُوْدَ الْوَدُوْدَ فَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمُ الأَنْبِيَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» رواهُ أحمدُ.

كَمَا حَرَصَتِ الشَّرِيْعَةُ على سَدِّ ذَرِيْعَةِ كُلِّ مَا مِنْ شَأْنِه افْتِتَانِ الرجلِ بالمرأةِ الأجنبيةِ وإثارةِ الشهوةِ.

ومنْ ذرائعِ الافتتانِ بالمرأةِ أنْ تُوْصَفَ للرجلِ حتَّى كَأَنَّهُ يَنْظُرُ إليها، لذلك فقد مَنَعَ الشَّارِعُ هذا الوصفَ خشيةَ أنْ يُعْجِبَ الزوجَ الوصفُ المذكورُ فَيُفْضِي ذلك إلى تطليقِ الْوَاصِفَةِ أَوْ الافْتِتَانِ بِالْمَوْصُوْفَةِ.

والأصلُ في هذا المنعِ: ما رواهُ عبدُالله بن مسعودٍ ـ رضيَ اللهُ عنهُ ـ قالَ: قالَ النبيُّ ﷺ: «لاَ تُبَاشِرُ الْمَرْأَةُ الْمَرْأَةَ فَتَنْعَتُهَا لِزَوْجِهَا كَأَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا» البخاريُّ.

قالَ ابنُ الجوزيِّ ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ مُوضِّحاً الحِكمةَ من المنعِ: «وَاعْلَمْ أَنَّهُ إِنَّمَا نُهِيَ عَنْ هَذَا لأَنَّ الرَّجُلَ إِذَا سَمِعَ وَصْفَ الْمَرْأَةِ، تَحَرَّكَتْ هِمَّتُهُ، وَاشْتَغَلَ قَلْبُهُ، وَالنَّفْسُ مُوْلَعَةٌ بِطَلَبِ الْمَوْصُوْفِ بِالْحُسْنِ، فَرُبَّمَا كَانَتْ الصِّفَةُ دَاعِيَةً إِلَى طَلَبِ الْمَوْصُوْفِ، وَرُبَّمَا وَقَعَ مِنَ اللَّهَجِ بِالطَّلَبِ لِذَلِكَ مَا يُقَارِبُ الْعِشْقَ».

وَذُكِرَ في فتحِ الباري عن القَابِسِيِّ قولُهُ: أنَّ هذا أصلٌ لمالكٍ في سَدِّ الذَّرائعِ، فَإِنَّ الْحِكْمَةَ في هذا النَّهْيِ خشيةَ أنْ يُعْجِبَ الزوجَ الوصفُ المذكورُ فَيُفْضِي ذلك إلى تطليقِ الْوَاصِفَةِ أَوْ الافْتِتَانِ بِالْمَوْصُوْفَةِ.

* الأَفْضَلُ لِلْمَرْأَةِ الْقَرَارُ فِي بَيْتِهَا وَأَلاَّ تَخْرُجَ إِلاَّ لِحَاجَةٍ.

قال تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ﴾ (الأحزاب: ٣٣).

قال ابنُ كثيرٍ: إِلْزَمْنَ بُيُوْتَكُنَّ فَلاَ تَخْرُجْنَ لِغَيْرِ حَاجَةٍ.

وعن ابنِ مسعودٍ رضيَ الله عنهُ عنِ النبيِّ ﷺ قالَ: «الْمَرْأَةُ عَوْرَةٌ، فَإِذَا خَرَجَتِ اسْتَشْرَفَهَا الشَّيْطَانُ» (أخرجَهُ الترمذيُّ ٩٣٦).

عن عائشةَ رضيَ اللهُ عنها قالتْ: «لَوْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رأى مَا أَحْدَثَ النِّسَاءُ لَمَنَعَهُنَّ الْمَسْجِدَ كَمَا مُنِعَتْ نِسَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ» البخاريُّ.

عن أبي هريرةَ رضيَ اللَّهُ عنهُ قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «أَيُّمَا امْرَأَةٍ أَصَابَتْ بُخُوراً فَلاَ تَشْهَدْ مَعَنَا الْعَشَاءَ الآخِرَةَ» مسلم.

الْمُجَاهِرُ بالزِّنَا وَاللِّواطِ ونَحْوِهِ وَالْحَدِيْثُ بِمَا فَعَلَ.

سَافَرْتُ وَفَعَلْتُ وَزَنَيْتُ وَيَبْدَأُ يَتَحَدَّثُ فِي أُمُوْرِ الْفِرَاشِ.

وعنهُ قالَ: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «كُلُّ أُمَّتِي مُعَافَىً إِلاَّ الْمُجَاهِرِيْنَ، وَإِنَّ مِنَ الْمُجَاهَرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلاً، ثُمَّ يُصْبِحُ وَقَدْ سَتَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ فَيَقُوْلُ: يَا فُلاَنُ، عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ، وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سَتْرَ اللَّهِ عَنْهُ» متفقٌ عليه.

حُرْمَةُ إِفشاءِ أسرارِ الجماعِ:

قال ﷺ: «إِنَّ مِنْ شَرِّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ الرَّجُلُ يُفْضِي إِلَى الْمَرْأَةِ، وَتُفْضِي إِلَيْهِ: ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا» (رواهُ مسلم وأحمد).

فَيَحْرُمُ عَلَى الزَّوْجَيْنِ إِفْشَاءَ أَسْرَارِ مَا دَارَ بَيْنَهُمَا فِي غُرْفَةِ نَوْمِهِمَا، لأَنَّ هَذَا يُنَافِي آدَابَ الإِسلامِ السَّامِيَةِ، وَأَخْلاَقَ فُحُوْلِ الرِّجَالِ.

أيُّها المسلمون: بسببِ هذهِ التشريعاتِ الحكيمةِ حَفِظَ اللَّهُ مُجْتَمَعَاتِ المسلمين مما وصلتْ إليهِ بعضُ مُجتمعاتِ الْكُفَّارِ من انحلالٍ وضياعٍ حتَّى وصلَ الأمرُ ببعضِهم بإباحةِ اللواطِ رَسْمِيًّاً عياذاً باللهِ منْ ذلك: فَعُضُّوا - أيُّها المسلمون: على شَرِيْعَتِكُمْ بِالنَّوَاجِذِ وَاحْذَرُوا دُعَاةَ الشَّرِّ.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحُلولُ الشَّرعيَّةُ
لمشاكِلنا الأُسَرِيَّةِ

الخطبةُ الأُولى:

أيُّها المسلمون:

الحلولُ الشرعيةُ لمشاكِلنا الأُسريةِ هذا هو موضوعُ خُطْبَتِنَا اليومَ وَنِقَاطُهَا كالتَّالي:

أولاً: بقاءُ الحياةِ الزوجيةِ واستمرارُها مرغوبٌ فيه شَرعاً.

ثانياً: استغلالٌ خاطئٌ للطَّلاقِ منْ بعضِ النَّاسِ.

ثالثاً: الطريقُ الصحيحُ لتقويمِ نشوزِ الزوجةِ.

رابعاً: كيفيةُ الطَّلاقِ السنِّيِّ لمن احتاجَه.

خامساً: الترهيبُ من الطلاقِ البدعيِّ.

عبادَ الله: الحياةُ الزَّوجيَّةُ، لابَدَّ وأَنْ يَعْتَرِيَهَا الاضطرابُ، وهذه سُنَّةُ الحياةِ، قالَ أحدُ الحكماءُ:

رُبَّ يَـــوْمٍ يَـــسُـــوءُ ثُـــمَّ يَـــسُـــرُّ
وكَـــذا الـــزَّمَـــانُ حُـــلْـــوٌ ومُـــرُّ

فَـــيـــومٌ لـــنـــا ويـــومٌ عـــلـــيـــنـــا

ويـــومٌ نُـــســـاءُ ويـــومٌ نُـــسَـــرُّ

فبعضُ الناسِ إذا ابتُلِيَ بشيءٍ من هذا الاضطرابِ، لم يجدْ أمامَهُ حَلاً لِعلاجِ مُشكلاتِهِ الأُسريةِ إلاَّ بالطَّلاقِ، فهو سلاحُهُ الوحيدُ الَّذي يُشْهِرُهُ على زوجتِه لتقويمِها: أنتِ طالقٌ، إنْ خرجتِ، وأنتِ طالقٌ بالثَّلاثِ، إنْ دَخَلْتِ بيتَ فُلانةٍ، وأنتِ طالقٌ إنْ لم تَفْعَلي كذا وهكذا.

وبعضُ الناسِ إذا اشتدَّ الخلافُ بينَهُ وبينَ زوجتِهِ وَغَضِب، لم يَجِدْ ما يُطْفِئُ غَضَبَهُ إلا الطَّلاقَ، فأنتِ طالقٌ طالقٌ طالقٌ، وأنتِ طالِقٌ بالثَّلاثِ.

وبعض الكرماء إذا أراد أن يلزم ضيفه بقبول ضيافته حلف بالطلاق يقول: عليَّ الطلاقُ إن لم تقبل كرامتي أو زوجتي طالق بالثلاث إن لم تقبل ذبيحتي وكرامتي وضيافتي. وبعضُ النَّاسِ يُطَلِّقُ مازِحاً هازِلاً، وهذا لا يجوزُ.

وذهبَ عامَّةُ أهلِ العِلمِ إلى وقوعِ طلاقِ الهازلِ.

١ ـ قالَ الكاساني من الحنفية: فَيقعُ طلاقُ الهازِلِ بالطلاقِ واللاَّعِبِ بِهِ.

٢ ـ قالَ ابنُ عَرَفَةَ المالِكي: وهَزلُ إيقاعِ الطلاقِ لازِمٌ اتفاقاً.

وبه قال الشافعي.

٣ ـ قال ابنُ قُدامَةَ: وإنَّ صريحَ الطلاقِ لا يحتاجُ إلى نيَّةٍ، بلْ يَقَعُ من غيرِ قَصْدٍ، ولا خِلافَ في ذلك، وسواءٌ قَصَدَ الْمِزاحَ أوِ الجِدَّ.

وحُجَّتُهم:

ـ عن أبي هريرة رضيَ اللهُ عنهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ «ثَلاثٌ جَدُّهُنَّ جَدٌّ، وَهَزْلُهُنَّ جَدٌّ: النِّكَاحُ وَالطَّلَاقُ وَالرَّجْعَةُ».

(رواهُ أبوداودُ والترمذيُّ وابنُ ماجه وصَحَّحَهُ الحاكمُ ١٨٢٦).

واحتَجَّ بعضُ العلماءِ بقولهِ: ﴿وَلا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا﴾ (البقرة: ٣١).

فهذا استخدامٌ للطلاقِ لغيرِ مَا شَرَعَهُ اللهُ تعالى، فالطَّلاقُ ليسَ للهزلِ ولا للحَلفِ ولا لإطفاءِ ثورةِ الغَضَبِ ولا لتأديبِ المرأةِ.

الطريقُ الصحيحُ لتقويمِ نُشوزِ الزوجةِ:

بيَّنه اللهُ في كتابه: ﴿وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا (٣٤) وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا (٣٥)﴾ (النساء).

بيَّنتِ الآيةُ الخطواتِ الَّتي يَنْبَغِي للزوجِ أنْ يَسْلُكَهَا لتقويمِ نُشوزِ أهلِه:

١ ـ الوَعْظُ وَالنُّصْحُ معَ مراعاتِ ضوابطِ ذلك.

٢ ـ الهَجْرُ وهُوَ تَرْكُ فِراشِ الزوجةِ وقتَ النَّوْمِ.

٣ ـ الضَّربُ غيرُ المُبَرِّحِ مع اتقاءِ الوجهِ والأماكنِ المُوجِعَةِ ولا يَضْرِبُ خِيارُ الرِّجالِ.

٤ ـ الاستعانةُ بالمصلحينَ من أقاربِ الزَّوجين.

عبادَ اللهِ: بقاءُ الحياةِ الزوجيةِ واستمرارُها مرغوبٌ فيه شرعاً:

قال سبحانه: ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾ ﴾ (النساء).

قال الحافظُ ابنُ كثير ـ رحمهُ اللهُ ـ في تفسيرها: فعسى أنْ يكونَ صَبْرُكُمْ معَ إمساكِكُم لَهُنَّ وَكَراهِيَتُهُنَّ فيه خيرٌ كثيرٌ لكم في الدنيا والآخرةِ.

وقال القرطبيُّ في قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ ﴾ أي لِدَمَامَةٍ أَوْ سُوْءِ خُلُقٍ من غيرِ ارتكابِ فاحشةٍ أو نُشوزٍ، فهذا يُنْدَبُ فيه إلى الاحتمالِ، فعسى أنْ يُؤَلَ الأمرُ إلى أَنْ يَرْزُقَ اللهُ منها أولاداً صالحين.

قلتُ: ومن هذا المعنى ما وردَ في صحيح مسلمٍ عن أبي هريرةَ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «لاَ يَفْرُكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً، إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقاً رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ» أو قال «غيره»، المعنى: أي لا يُبْغِضُهَا بُغْضاً كُلِّياً يحملُه على فراقِها، أي لا ينبغي له ذلك بل يغفرُ سَيِّئَتَها لحسنتِها ويَتَغَاضَى عَمَّا يكرَهُ لِمَا يُحبُّ. قالَ عُلماؤُنا: في هذا دليلٌ على كراهةِ الطلاقِ مع الإباحةِ. (تفسير القرطبي).

عن جابر رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ قال: «إنَّ إبليسَ يَضَعُ عَرْشَهُ على الماءِ ثم يَبْعَثُ سراياهُ فأدناهمُ منه منزلةً أعظَمُهم فتْنَةً، يجيءُ أحدُهم، فيقولُ: فعلتُ كذا وكذا، فيقولُ ما صنعتَ شيئاً، ثم يجيءُ أحَدُهم فيقولُ: ما تَرَكْتُهُ حتى فرَّقتُ بينَه وبينَ امرأتِه فَيُدْنِيهِ منه، ويَقُولُ: نعم أنت فَيَلْتَزِمُه» رواه مسلم وغيره.

وعن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إذا أصبحَ إبليسُ بثَّ جنودهَ فيقول: من أخذَلَ اليومَ مسلماً ألبَسْتُه التاجَ، قالَ: فيجيءُ هذا فيقولُ لم أزَلْ به حتَّى طَلَّقَ امرأَتَهُ...».

أخذَلَ: وَسْوَسَ له، وتركَ نُصرتَهُ في الحَق، وأوقَعَهُ في الفَشَل والخذلانِ.

وعن ثوبانَ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: أيُّما إمرأة سألتْ زوجَها طَلاقاً في غيرِ ما بأسٍ حرامٌ عليها رائحَةُ الجنةِ». (أخرجه أحمدُ وأبوداودَ والترمذيُّ وابنُ ماجه - المشكاة ٣٢٧٩).

والطَّلاقُ إن كانَ لمُسَوِّغٍ شَرْعيٍّ فيه إزالةٌ لِلضَّرَر عن أحدِ الزوجَينِ أو كِلَيْهِما جائزٌ شرعاً، وليس عيباً، وليس فيه مَنْقَصَةٌ للرجلِ أو للمرأةِ، فالرسولُ ﷺ طَلَّقَ والصحابَةُ طَلَّقُوا، فظنَّ بعضُ الناسِ أن هذا عيباً يُلاحقُ الرجلَ والمرأةَ، وقد تَبورُ بَسببِهِ المرأةُ، ويَتَعَطَّلُ الرجلُ من حصولِه على زوجةٍ تُعِفُّه، هذا خطأٌ ظاهرٌ وبَيِّنٌ.

فأبغَضُ الحلالِ عندَ اللهِ الطلاقُ، إن كانَ دونَ مُسَوِّغٍ وذلك لِمَا يَترَتَّبُ عليه من أُمورٍ.

- ففيه مُنافاةٌ للنِّكاحِ المطلوبِ.
- وفيه ضَيَاعٌ لِلأولاد.
- وفيه ضَياعُ المرأةِ وتكونُ عالةً على أهلِها وخاصةً إن كانوا فُقَراء.
- طلاقُ الزوجةِ يُقَلِّلُ رغبةَ الناسِ فيها، وقَد تَبْقَى عانِساً.
- وفيه تَتَولَّدُ الشَّحناءُ بينَ الأُسْرَتَين.
- وفيه تَعَرُّضُ كِلا الزوجَينِ لِلْفِتَنِ بسببِ العُزُوبَةِ.

الخطبةُ الثانيةُ:

أيها المسلمون: ومَنَ احتاجَ للطلاقِ بعدَ دِراسةٍ وَتَأَنٍّ فيجبُ عليه أن يُطَلِّقَ على سُنَةِ النبيِّ ﷺ:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلا يَخْرُجْنَ إِلاَّ أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾ ﴾ (الطلاق).

وطَلاقُ السُّنَّة كالآتي:

١ ـ يُطَلِّقُ طَلْقَةً وَاحِدَةً فِي طُهْرٍ لَمْ يُجَامِعْهَا فِيهِ.

٢ ـ وَإِنْ كَانَتْ حَامِلاً كَذَلِكَ يُطَلِّقُهَا تَطْلِيقَةً وَاحِدَةً.

٣ ـ وَالَّتِي لاَ تَحِيضُ بِسَبَبِ كِبَرٍ أَوْ صِغَرٍ يُطَلِّقُهَا تَطْلِيقَةً وَاحِدَةً أَيْضاً.

٤ ـ والتي لم يدخُلْ بها كذلك طلقةً واحدةً أيضاً.

أيها المسلمون: وردَ الترهيبُ في الشرعِ الحكيمِ من الطلاقِ على غيرِ ما شَرَعَ اللهُ سبحانهُ، قال سبحانهُ:

﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ ﴾ (الطلاق).

هذا الوعيدُ الشديدُ الذي تَقْشَعِرُّ منهُ أبدانُ المؤمنين، ورد في سورة الطلاق، ذَكَرَهُ سُبْحَانَه بعدَ أنْ بيَّن جُمْلةً من أحكامِ الطَّلاقِ حتى يَتَّعِظَ المؤمنون، ويُطَلِّقُوا حَسَبَ هدي خيرِ الأنامِ ﷺ ويَحْذَروا من مُخالفةِ شرعِهِ الذي فيه سَعَادَتُهُمْ.

وقال سبحانهُ: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلا يَخْرُجْنَ إِلاَّ أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾ ﴾ (الطلاق).

وعن محمودِ بنِ لَبيدٍ قال: أُخْبِرَ رسولُ اللهِ ﷺ عن رجلٍ طَلَّقَ امرأَتَهُ ثلاثَ تطليقاتٍ جميعاً، فقامَ غضبانَ، ثم قالَ: «أَيُلْعَبُ بِكتابِ اللهِ وأَنَا بَيْنَ أظْهُرِكُمْ؟!» (رواه النسائي بإسناد صحيح وأخرج مسلم في صحيحه أن عبدالله بن عمر قال: طَلَّقْتُ امرأَتِي وَهِي حَائِضٌ فَذَكَر ذلكَ عُمَرُ للنبيِّ ﷺ فَتَغَيَّظَ رسولُ اللهِ ﷺ.

فَالطَّلاقُ في الحيضِ أَوْ فِي طُهْرٍ جامعَ فيهِ، أو ثلاثَ تطليقاتٍ فهذا طَلاَقٌ بِدْعِيٌّ آثِمٌ مُخَالِفٌ للشَّرعِ.

وهذا بإجماع أهل العلم.

بسم الله الرحمن الرحيم

حُسْنُ الْعِشْرَةِ يُؤَدِّي إِلَى سَعَادَةِ الأُسْرَةِ

الخُطبةُ الأولى:

عِبَادَ اللَّهِ: الأُسْرَةُ هي اللَّبِنَةُ الأُوْلَى للمجتمعِ، فإذا صَلُحَتْ واستقامَتْ صَلُحَ المجتمعُ واستقامَ، والعكسُ كذلك.

لذلك اهتَمَّ الإسلامُ دينُ الله الكاملُ الشاملُ بأمرِها اهتماماً عظيماً، وَوَضَعَ لها من الواجباتِ وَالْمُسْتَحَبَّاتِ والآدابِ ما يَضْمَنُ صَلاَحَها واستِقامَتَها وَسَعَادَتَهَا في الدُّنْيَا والآخِرَةِ.

فيجبُ على المسلمينَ جميعاً، العَمَلُ بما وَرَدَ في كتابِ اللهِ وسنةِ رَسولِه ﷺ من هَدْيٍ في شأنِ أُمورِ الأُسْرَةِ، حتَّى تَسْتَقِيْمَ الأُمورُ وَتَعُمَّ السَّعَادَةُ المجتمعَ.

أيها المسلمون: وَضَعَ الإسلامُ أُسُساً عظيمةً قبلَ تأسيسِ الأُسْرَةِ على المسلمِ أَنْ يُرَاعِيَهَا.

أولاً: أمرَ الرجلَ الْمُقْدِمَ على الزواجِ أَنْ يُحْسِنَ اختيارَ زَوْجَتِهِ، فَيَخْتَارَ الصالحةَ الطيبةَ ذاتَ العقلِ الراجِحِ.

عن أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رسولَ الله ﷺ قالَ: «تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لأَرْبَعٍ، لِمَالِهَا، وَلْحَسَبِهَا، وَلِجَمَالِهَا، وَلِدِيْنِهَا. فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّيْنِ تَرِبَتْ يَدَاكَ».

رواه البخاريُّ وَمُسْلِمٌ، وَأَبُو داودَ والنِّسائيُّ وابنُ ماجَة.

واختيارُ صاحبةِ الدِّيْنِ لا يَعْنِي إهمالَ بقيةِ الْخِصَالِ المذكورةِ في الحديثِ.

فالمرأةُ إذا صَلُحَتْ كانت من أسبابِ سعادةِ الرجلِ، وإذا كانتْ سيئةً كانتْ سببَ الشقاءِ والتعاسةِ والنَّكَدِ نَسْأَلُ اللهَ السلامةَ. قالَ النَّبيُّ ﷺ:

«ثَلاثٌ منَ السَّعَادَةِ: الْمَرأَةُ تَرَاهَا تُعْجِبُكَ، وتَغِيْبُ عَنْهَا فَتَأْمَنُهَا عَلَى نَفْسِهَا وَمَالِكَ، وَالدَّابَّةُ تَكُوْنُ وَطِيْئَةً، فَتُلْحِقكَ بِأَصْحَابِكَ، وَالدَّارُ تَكُوْنُ وَاسِعَةً كَثِيْرَةَ الْمَرَافِقِ.

وَثَلاَثٌ منَ الشَّقَاءِ: الْمَرْأَةُ تَرَاهَا فَتَسُوْؤُكَ، وَتَحْمِلُ لِسَانَهَا عَلَيْكَ، وَإِنْ غِبْتَ لَمْ تَأْمَنْهَا عَلَى نَفْسِهَا وَمَالِكَ، وَالدَّابَّةُ تَكُوْنُ قطوفاً، فَإِنْ ضَرَبْتَهَا أَتْعَبَتْكَ، وَإِنْ تَرَكْتَهَا لَمْ تُلْحِقْكَ بِأَصْحَابِكَ، وَالدَّارُ تَكُوْنُ ضَيِّقَةً قَلِيْلَةَ الْمَرَافِقِ». أخرجه الحاكم عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

ثانياً: أَمَرَ أولياءَ البناتِ أَنْ يختارُوا لِبَنَاتِهِم الرجلَ الصالحَ، فإِنْ أَحَبَّهَا أكْرَمَها وَأَمْسَكَهَا بمعروفٍ، وإِنْ كَرِهَهَا فَارَقَهَا بِإِحْسَانٍ.

قال أبو الأسودِ الدُّؤَلِيُّ لأولادِه: «اخْتَرْتُ لَكُمْ، منَ الأُمَّهَاتِ مَنْ لاَ تُسَبُّوْنَ بِهَا».

وعن أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عنهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ:

«إِذَا خَطَبَ إِلَيْكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِيْنَهُ وَخُلُقَهُ، فَزَوِّجُوْهُ. إِلاَّ تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِيْضٌ» (٢٢٩٥) أخرجَهُ الترمذيُّ وغيرُهُ. (في النكاحِ عن أبي هريرة).

ثالثاً: أَمَرَ الْخَاطِبَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى خَطِيْبَتِهِ، لأَنَّ هَذَا يُؤَدِّي إِلَى التَّوَافُقِ وَدَوَامِ حُسْنِ الْعِشْرَةِ.

ولمسلمٍ عن أبي هريرةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ أن النَّبِيَّ ﷺ قالَ لرجلٍ تَزوَّجَ امرأةً: «أَنَظَرْتَ إِلَيْهَا»؟ قالَ: لا. قالَ: «اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا».

وعَنْ جابرٍ ـ رضيَ اللهُ عنهُ ـ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا خَطَبَ أَحَدُكُم الْمَرْأَةَ، فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَنْظُرَ مِنْهَا إِلَى مَا يَدعُوْهُ إِلَى نِكَاحِهَا فَلْيَفْعَلْ» رواهُ أحمدُ وأبو داود، وَلْيَتَّقِ اللَّهَ بَعْضُ النَّاسِ ـ هَدَاهُمُ اللَّهُ ـ يمنعُ الخاطِبَ من النظرِ، وَيَعُدُّوْنَ ذلك عَيْبَاً ونَقِيْصَةً، فعلى المسلمين جميعاً أنْ يَنْبُذُوا العاداتِ والتقاليدَ التي تعارِضُ هَدْيَ النَّبِيِّ ﷺ.

رابعاً: منعُ أولياءِ المرأةِ مِنْ إجبارِها على الرجلِ الذي لا تَرْضَاهُ ولو كانَ قريباً، لأنَّ هذا يُؤَدِّي إلى اضطرابِ الحياةِ الزوجيةِ وإلى أمورٍ لا تُحْمَدُ عُقْبَاهَا.

عن أبي هريرةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ أنَّهُ قال: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «لاَ تُنْكَحُ الثَّيِّبُ حَتَّى تُسْتَأْمَرَ، وَلاَ تُنْكَحُ الْبِكْرُ حَتَّى تُسْتَأْذَنَ، وَإِذْنُهَا الصُّمُوْتُ». أخرجَهُ البخاريُّ رضيَ اللهُ عنهُ.

وعن خنساءَ: أَنَّ أَبَاهَا زَوَّجَهَا وَهِيَ ثَيِّبٌ، فَكَرِهَتْ، فَأَتَتْ رَسُوْلَ اللَّهِ، فَرَدَّ نِكَاحَهُ. أخرجَهُ البخاريُّ.

خامساً: تُسْتَحَبُّ الاستخَارَةُ للزَّوْجين، فَمِنَ الأُمورِ المهمةِ في حياةِ الرجلِ والمرأةِ اتخاذُ قرارِ الزواجِ، فعليهما اللُّجوءُ إلى اللهِ بالدعاءِ في أنْ يُلْهِمَهُمَا الْهُدَى وَالسَّدَادَ والتوفيقَ في اتخاذِ الرأي السديدِ في ذلك.

وعن جابرِ بن عبدِاللهِ رضيَ اللهُ عنهُما قالَ: كانَ رسولُ اللهُ ﷺ يُعَلِّمُنَا

الاسْتِخَارَةَ في الأمورِ كُلِّهَا، كَمَا يُعَلِّمُنَا السورةَ من القرآنِ، يقولُ: «إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِالأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الْفَرِيْضَةِ، ثُمَّ لِيَقُلْ:

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيْرُكَ بِعِلْمِكَ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيْمِ، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلاَ أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلاَ أَعْلَمُ، وَأَنْتَ عَلاَّمُ الْغُيُوْبِ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ خَيْرٌ لِي فِي دِيْنِي وَمَعَاشِي، وَعَاقِبَةِ أَمْرِي. أَوْ قَالَ: عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ، فَاقْدُرْهُ لِي، وَيَسِّرْهُ لِي، ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيْهِ، وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ شَرٌّ لِي فِي دِيْنِي، وَمَعَاشِي، وَعَاقِبَةِ أَمْرِي، أَوْ قَالَ: عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ، فَاصْرِفْهُ عَنِّي، وَاصْرِفْنِي عَنْهُ، وَاقْدُرْ لِيَ الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ، ثُمَّ رَضِّنِي بِهِ» ـ قال ـ: وَيُسَمِّي حَاجَتَهُ». رواهُ البخاريُّ وأبو داود والترمذيُّ والنسائيُّ وابنُ ماجَهْ.

سادساً: شَرَعَ الإسلامُ الزواجَ لِمَنْ يَقْدِرُ عَلَى تَبِعَاتِهِ، فَلاَ يَجُوْزُ لِمَنْ لاَ يَقْدِرُ عَلَى تَبِعَاتِهِ الدُّخُوْلُ فِيْهِ، لأَنَّ ذَلِكَ يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ ضَيَاعُ الْحُقُوْقِ، قالَ ﷺ: «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ...» أخرجَهُ البخاريُّ عن عبدِالله بن مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ.

وَالْبَاءَةُ: الْمَهْرُ، وَالنَّفَقَةُ، والجِمَاعُ.

أيُّها المسلمون: إذَا تَمَّ عَقْدُ الزواجِ على وجهِهِ المطلوبِ، تَتَرَتَّبُ عليهِ آثارٌ عظيمَةٌ: وحُقوقٌ للزوجِ، وحُقوقٌ للزوجةِ، وَقَسَّمَهَا العُلماءُ كالتالي:

أولاً: حُقُوْقٌ مُشْتَرَكَةٌ للزَّوْجَيْنِ وهي:

١ ـ حِلُّ الاسْتِمْتَاعِ.

٢ ـ حُسْنُ الْمُعَاشَرَةِ.

٣ ـ التَّوَارُثُ.

٤ ـ حُرْمَةُ الْمُصَاهَرَةِ.

ثانياً: حُقُوْقُ الزوجِ وهي:

١ ـ الطَّاعةُ.

٢ ـ القرارُ في البيتِ.

٣ ـ ثُبُوْتُ النَّسَبِ.

٤ ـ وِلاَيَةُ التَّأْدِيْبِ.

ثالثاً: حُقُوْقُ الزوجةِ وهي:

١ ـ الْمَهْرُ.

٢ ـ النَّفَقَةُ.

٣ ـ عَدَمُ الإِضْرَارِ.

٤ ـ الْعَدْلُ بَيْنَ الزَّوْجَاتِ.

عِبادَ الله:

يَجِبُ عَلَى الزَّوْجَيْنِ أَنْ يُؤَدِّيَا هَذِهِ الْحُقُوْقَ دِيَانَةً للَّهِ تَعَالَى، إِنْ أَحَبَّا أَوْ كَرِهَا، قالَ تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ... ﴾ (المائدة: ١).

وَعَقْدُ الزواجِ مِنْ أَهَمِّ الْعُقُوْدِ، الَّتي يَعْقِدُهَا المسلمُ في حياتِه، وأعَزُّها شَأناً، وأرفَعُهَا مكانَةً، وذلك لما يَتَرَتَّبُ على هذا العقدِ من حُقوقٍ، وآثارٍ عظيمةٍ في

حياة المتعاقدين، ولقد وصف ربُّ العزَّة والجلال هذا العقد بقوله: ﴿وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾ وقال الصحابيُّ الجليلُ ابنُ عباسٍ وغيرُهُ: إنَّ المرادَ بذلك العَقْدُ.

ومعنى غَلِيظًا: عَهْداً مُؤَكَّداً رَبطَ بِرِباطٍ قَوِيٍّ مُحْكَمٍ.

وعَنْ عُقْبَةَ بنِ عامرٍ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «أَحَقُّ الشُّرُوْطِ أَنْ تُوْفُوا بِهِ مَا اسْتَحْلَلْتُمْ بِهِ الْفُرُوْجَ».

أيُّها المسلمون:

أداءُ هذه الحقوقِ المترتبةِ على عقدِ الزواجِ التي أمَرَ اللهُ بها، يُؤَدِّي إلى انضباطِ الأسرةِ واستقامَتِها، لأنَّ كُلَّ واحدٍ منهما يَعْرِفُ الذي لَهُ، والذي عَلَيْهِ، ويُؤَدِّي ذلك كما أَمَرَهُ رَبُّهُ.

أداءُ هذه الحقوقِ يكونُ سَبَباً في تَوَلُّدِ الْمَوَدَّةِ وَالْمَحَبَّةِ وَالأُلْفَةِ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ، والمودةُ والرحمةُ من مقاصدِ الزواجِ قالَ تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ (الروم).

ومِنْ آثارِ أداءِ هذه الحقوقِ حُلُولِ البركةِ في الصحةِ والمالِ والذُّرِّيَّةِ والوقتِ، لأنَّ أداءَ هذه الحقوقِ طاعَةٌ لله، والطاعةُ سببٌ لنزولِ البركةِ قالَ سبحانَهُ: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾ (الأعراف).

* أداءُ هذه الواجباتِ يُؤَدِّي إلى النجاحِ في العملِ والتوفيقِ فيه.

أيُّها المسلمون: إنَّ مِنْ أعظمِ هذه الحقوقِ التي يجبُ الاعتناءُ بها حُسْنَ العِشرةِ بين الزوجين، قالَ تَعَالى:

﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾﴾ (النساء).

فَعَلَى المسلمِ أنْ يُعَامِلَ زَوْجَتَهُ، كَمَا يُحِبُّ أَنْ يُعَامِلُوا نساءَه من بناتٍ وأخواتٍ وغيرهنَّ. قالَ ﷺ: «لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيْهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ» (أخرجَهُ أحمدُ وغيرُهُ عن أنسٍ رضيَ اللهُ عنهُ).

فَلْيَكُنْ هذا الحديثُ قاعِدَةً وأساساً لِلتَّعَامُلِ بينَ الزوجين، بل لِيَكُنْ ذلكَ في كلِّ شُؤون حياتِه.

وعن عمرو بنِ الأحوصِ الجُشَمِيِّ رضيَ اللهُ عنهُ:

أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ يَقُوْلُ بَعْدَ أَنْ حَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَذَكَّرَ وَوَعَظَ ثُمَّ قَالَ:

«أَلاَ واستَوْصُوا بالنساءِ خَيراً، فَإِنَّمَا هُنَّ عوانٌ (يعني: أَسيرَاتٌ) عندَكُم، ليس تَمْلِكُوْنَ مِنْهُنَّ شيئاً غيرَ ذلك، إِلاَّ أنْ يَأْتِيْنَ بفاحِشَةٍ مُبيِّنة، فإنْ فَعَلْنَ، فَاهْجُرُوْهُنَّ في المضاجِعِ واضرِبُوهُنَّ ضَرْباً غيرَ مُبرِّح، فإنْ أَطَعْنَكُمْ فلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبيلاً، ألاَ إنَّ لكم على نِسَائِكُمْ حقاً، ولِنِسَائِكُمْ عليكُم حَقاً، فَحَقُّكُمْ عليهِنَّ أن لاَّ يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ مَنْ تَكْرَهُوْنَ، ولا يَأْذَنَّ فِي بُيُوْتِكُمْ لِمَنْ تَكْرَهُوْنَ،

ألاَ وحقُّهُنَّ عليكُم أن تُحْسِنُوا إليهِنَّ في كُسْوَتِهِنَّ وَطَعَامِهِنَّ». (رواهُ ابنُ ماجَه والترمذيُّ وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ).

وعن عائشةَ رضيَ اللهَ عنها قالتْ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لأَهْلِي» (أخرجَهُ ابنُ حِبَّان).

والذي يَتَتَبَّعُ سِيْرَةَ رسولِ اللهِ ﷺ معَ نسائِهِ يَجِدْهُ أَنَّهُ كانَ يُحْسِنُ عِشْرَتَهُنَّ وكانَ إماماً في ذلكَ وَقُدْوَةً حَسَنَةً، وإليكم بعضَ المواقفِ الَّتي تشهدُ لذلك:

١ ـ عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالتْ: قالَ لي رسولُ اللهِ ﷺ: «إِنِّي لأَعْلَمُ إِذَا كُنْتِ عَنِي رَاضِيَةً، وَإِذَا كُنْتِ عَلَيَّ غَضْبَى» فقلتُ: مِنْ أَيْنَ تَعْرِفُ ذلك فقالَ: «إِذَا كُنْتِ عَنِّي رَاضِيَةً، فَإِنَّكِ تَقُولِيْنَ: لاَ وَرَبِّ مُحَمَّدٍ، وَإِنْ كُنْتِ عَلَيَّ غَضْبَى قُلْتِ لاَ وَرَبِّ إِبراهِيْمَ» قالتْ: قلتُ: أَجَلْ، وَاللَّهِ يَا رَسُوْلَ اللَّهِ مَا أَهْجُرُ إِلاَّ اسْمَكَ» (مُتَّفَقٌ عليه).

قال ابنُ المنيرِ: مُرَادُهَا أَنَّها كانَتْ تَتْرُكُ التسميةَ اللَّفْظِيَّةَ، وَلاَ يَتْرُكُ قَلْبُهَا التَّعَلُّقَ بِذَاتِهِ الْكَرِيْمَةِ مَوَدَّةً وَمَحَبَّةً.

فَأُمُّ المؤمنين عَائِشَةُ ـ رضيَ اللهُ عنها ـ زوجةُ مَنْ شَهِدَ اللَّهُ لَهُ بِأَنَّهُ أَفْضَلُ الْعِبَادِ خُلُقاً ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيْمٍ﴾ (القلم: ٤) وهو الذي يقولُ عن نفسِهِ: «وَأَنَا خَيْرُكُمْ لأَهْلِي» وأشهدُ باللهِ أَنَّهُ كَمَا قالَ ﷺ لكن نجدُ عَائِشَةَ في بعضِ الأحيانِ تكونُ غاضِبَةً عليهِ، وَتَهْجُرُ التسميةَ اللفظيةَ لهُ في قَسَمِهَا باللهِ، ورغمَ ذلك تَجدُ المعاملةَ الطيبةَ والملاطفةَ وحُسْنِ العِشرةِ مِنْهُ ﷺ.

٢ ـ عَنْ أنسٍ قالَ: كانَ النَّبيُّ ﷺ عندَ بعضِ نسائِه، فأرسلَتْ إحدى أُمَّهاتِ المؤمنين بِصَحْفَةٍ فيها طَعَامٌ. فَضَرَبَتْ التي النَّبيُّ ﷺ في بيتِها يدَ الخادمِ، فَسَقَطَتْ الصَّحْفَةُ فَتَفَلَّقَتْ. فَجَمَعَ النَّبيُّ ﷺ فِلَقَ الصَّحْفَةِ، ثُمَّ جَعَلَ يَجْمَعُ فيها الطَّعَامَ الذي كانَ في الصَّحْفَةِ ويقولُ: «غَارَتْ أُمُّكُمْ»، ثُمَّ حَبَسَ الخادمَ حتى أُتِيَ بِصَحْفَةٍ مِنْ عندِ التي هو في بيتِها، فَدَفَعَ الصَّحِيحَةَ إلى التي كُسِرَتْ صَحْفَتُهَا. وأمسكَ المكسورَةَ في بيتِ التي كُسِرَتْ فيه. (رواهُ البخاريُّ).

كانَ ﷺ عندَ عَائِشَةَ والتي أرسلَتْ لهُ الطعامَ زينبُ بنتُ جَحْشٍ، قالَ الحافظُ ابنُ حجرٍ: وقَالوا فيهِ ـ أي في الحديثِ ـ إشَارَةٌ إلى عَدَمِ مُؤَخَذَةِ الغَيْرَاءِ بما يَصْدُرُ منها. لأنَّها في تلكَ الحالةِ، يكونُ عقلُها مَحْجُوْبَاً بشدةِ الغَضَبِ، الذي أَثَارَتْهُ الْغِيْرَةُ.

وأظنُّ لو أنَّ أحداً منَّا فعلتْ زَوْجَتُهُ ذلك أمامَه، لم تَسْلَمْ من شَتْمِه أو ضَرْبِه أو ....، ولكن نَرَى قُدْوَتَنَا ﷺ اكْتَفَى بِقَوْلِه: «غَارَتْ أُمُّكُمْ» فَرَاعَى ﷺ مَا فُطِرَتْ عليهِ المرأةُ من ضَعْفٍ وَقُصُوْرٍ، وفي هذا بَيَانٌ لِحُسْنِ عِشْرَتِهِ لأَهْلِهِ ﷺ، فَهَلاَّ نَقْتَدِي بِهِ؟

٣ ـ عَنْ عُروةَ بنِ الزبيرِ، قالَ: قالتْ عَائِشَةُ: مَا عَلِمْتُ حَتَّى دَخَلَتْ عَلَيَّ زينبُ بغيرِ إذنٍ وهي غَضْبَى. ثُمَّ قَالَتْ: يا رسولَ اللَّهِ! أَحَسِبْتَ إذَا قَلَبَتْ بُنَيَّةُ أبي بكرٍ ذُرَيْعَتَيْهَا؟ (تَعْنِي سَاعِدَيْهَا)؟ ثُمَّ أقبلَتْ عَلَيَّ. فَأعرضتُ عنها. حتَّى قالَ النَّبيُّ ﷺ: «دُوْنَكِ فَانْتَصِرِي» فأقبلتُ عليها حتى رأيتُها وقَدْ يَبِسَ رِيْقُهَا في فِيْهَا، ما تَرُدُّ عليَّ شيئاً، فرأيتُ النبيَّ ﷺ يَتَهَلَّلُ وَجْهُهُ. (أخرجَهُ ابنُ ماجه).

ومعنى أَحْسَبُكَ: أي أَيَكْفِيْكَ فِعْلُ عَائِشَةَ حِيْنَ تَقْلِبُ لَكَ الذِّرَاعَيْنِ، أي كأنَّك لشدَّةِ حُبِّك لَهَا لا تَنْظُرُ إلى أَمْرٍ آخرَ.

وسببُ غَضَبِ زينبَ غيرةٌ مِنْ عَائِشَةَ، حيثُ كانَ الناسُ يُخَصِّصُوْنَ هَدَايَاهُم لرسولِ الله ﷺ في يَوْمِ عَائِشَةَ، فَطَلَبْنَ مِنْهُ أَنْ يُكَلِّمَ النَّاسَ أَنْ يَهْدُوا حَيْثُ يَكُوْنُ عليه الصلاةُ والسلامُ.

ففي هذا النَّصِّ كذلكَ شَاهِدٌ على حُسْنِ عِشْرَتِه لِنِسَائِه، حَيْثُ كانَ يَتَحَمَّلُ خَطَأَهُنَّ وَقُصُورَهُنَّ، وَيُعَالِجُ ذَلِكَ فِي حِكْمَةٍ وَلِيْنٍ وَلُطْفٍ، وَالْحَوَادِثُ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَقَامِ كَثِيْرَةٌ.

لِذَا عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يُحْسِنَ مُعَامَلَةَ زَوْجَتِه، وَأَنْ يَصْبِرَ عَلَى مَا يَصْدُرُ مِنْهَا مِنْ قُصُوْرٍ وَنَقْصٍ، وَالَّذِي يَظُنُّ أَنَّهُ سَوْفَ يَجِدُ زَوْجَةً كَامِلَةً، مِثْلَ مَا يُحِبُّ وَيَرْضَى فَهُوَ مُخْطِئٌ.

الخُطبةُ الثانيةُ:

عبادَ الله، كَمَا يَجِبُ على الزوجِ أَنْ يُحْسِنَ مُعَاشَرَةَ زَوْجَتِه فَكَذَلِكَ الزَّوْجَةُ عَلَيْهَا أَنْ تُحْسِنَ مُعَامَلَةَ زَوْجِهَا، لِذَلِكَ جَعَلَ الدِّيْنُ ذَلِكَ قُرْبَةً تَتَقَرَّبُ بِهَا الزَّوْجَةُ إِلَى اللَّهِ.

قالَ ﷺ: «إِذَا صَلَّتِ الْمَرْأَةُ خَمْسَهَا، وَصَامَتْ شَهْرَهَا، وَحَفِظَتْ فَرْجَهَا، وَأَطَاعَتْ زَوْجَهَا، قِيْلَ لَهَا: ادْخُلِي الْجَنَّةَ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شِئْتِ». (أخرجَهُ أحمدُ وغيرُهُ عن عبدِالرحمنِ بنِ عوفٍ رضيَ اللهُ عنهُ).

وعن حُسينِ بنِ مُحْصَنٍ: أنَّ عَمَّةً لَهُ أَتَتِ النَّبِيَّ ﷺ في حَاجَةٍ، فَفَرَغَتْ مِنْ حَاجَتِهِ، فَقَالَ لَهَا:

«أَذَاتُ زَوْجٍ أَنْتِ»؟

قالتْ: نَعَمْ.

قالَ: «كَيْفَ أَنْتِ لَهُ؟».

قالتْ: مَا آلُوْهُ إلاَّ مَا عَجَزْتُ عَنْهُ.

قالَ: «فَانْظُرِيْ أَيْنَ أَنْتِ مِنْهُ فَإِنَّهُ جَنَّتُكِ وَنَارُكِ». (رواهُ أحمدُ والنَّسائيُّ).

وعن ابنِ أَبِيْ أَوْفَى قالَ: لَمَّا قَدِمَ مُعَاذُ بْنِ جَبَلٍ مِنَ الشَّامِ سَجَدَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ رَسُوْلُ اللَّهِ ﷺ: «مَا هَذَا؟».

قالَ: يَا رسولَ اللَّهِ! قَدِمْتُ الشَّامَ، فَوَجَدْتُهُمْ يَسْجُدُوْنَ لِبَطَارِقَتِهِمْ وَأَسَاقِفَتِهِمْ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَفْعَلَ ذَلِكَ بِكَ.

قالَ: «فَلاَ تَفْعَلْ، فَإِنِّي لَوْ أَمَرْتُ شَيْئَاً أَنْ يَسْجُدَ لِشَيْءٍ، لأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لاَ تُؤَدِّي الْمَرْأَةُ حَقَّ رَبِّهَا حَتَّى تُؤَدِّي حَقَّ زَوْجِهَا» (أخرجَهُ ابنُ ماجه).

أيَّتُها المؤمناتُ: أُوْصِيْكُنَّ بِمُجَاهَدَةِ النفوسِ في طاعةِ اللَّهِ سبحانَهُ، وطاعةِ أزواجِكُنَّ بالمعروفِ، ففي ذلكَ خَيْرٌ لَكُنَّ في دِيْنِكُنَّ وَدُنْيَاكُنَّ.

أيُّها المسلمون: إنَّ التساهُلَ بالحقوقِ الزوجيةِ، لَهُ آثارٌ سيئةٌ على الرجلِ والمرأةِ والأولادِ والأُسْرَةِ، ومن هذه الآثارِ:

* وُقوعُ الطلاقِ، والطلاقُ غيرُ محبوبٍ شرعاً إنْ كانَ بدونِ مُسَوِّغٍ وذلك لآثارِه السيئةِ ففيه:

- هَدْمٌ للبيتِ، وتَقْويضُ دعائِمِه وإزالةُ مَعالِمِه.

- إبطالُ مصالحِ الزواجِ الْمُتَعَدِّدَةِ من تكوينِ الأسرةِ، وإعفافِ الرجلِ والمرأةِ عمَّا حَرَّمَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ.

- تَفَرُّقٌ بَعْدَ الْوِفَاقِ السَّعِيْدِ، وَالْهَمُّ بَعْدَ الْفَرْحَةِ، وَالْيَأْسُ بَعْدَ الأَمَلِ الْكَبِيْرِ.

- الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ، وَبَيْنَ الأُسْرَتَيْنِ بَعْدَ التَّقَارُبِ وَالتَّآلُفِ وَالتَّعَارُفِ.

- تَشْتِيْتُ الأولادِ الموجودين، وَيُفْقِدُ إمَّا قيامَ الأبِ وتربيتِه وتَعليمِه، وتوجيهِه، وإمَّا يفقدهُم حَنَانَ الأُمِّ وَرِعَايَتِهَا وَعَطْفِهَا، وهذا يُؤَدِّي بهم إلى الأمراضِ النفسيةِ، وَالْعُقَدِ، وَيَتَرَتَّبُ على ذلك الفَشَلُ في تحصيلِ الْعِلْمِ وَالنُّمُوِّ وَنَحْوِهِ.

بسم الله الرحمن الرحيم

انحرافُ الشبابِ.. أسبابُهُ ودواعيهُ

الخطبةُ الأولى:

أيُّها المسلمون: من مظاهرِ قدرةِ الباري سبحانَهُ وتعالى في بني آدم، أنَّ خَلْقَهُم يمرُّ في أطوارٍ، قال تعالى: ﴿ مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ ﴾ (نوح) فمنها مرحلةُ الصِّبَا ثُمَّ الشبابِ، ثُمَّ الشيخوخةِ.

وقالَ تعالى: ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ ﴾ (الروم).

وقولُهُ تعالى: ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ﴾ في الآيةِ دليلٌ على قدرتِهِ في نفسِ الإنسان لِيَعْتَبِرَ، ومعنى: ﴿ مِّن ضَعْفٍ ﴾ مِنْ نُطْفَةٍ ضعيفةٍ، وقيل: «من ضعف» أي في حالِ ضَعْفٍ، وهُوَ مَا كانوا عليه في الابتداءِ مِنَ الطُّفولةِ والصغرِ. ﴿ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ﴾ يعني الشبيبةَ. ﴿ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا ﴾ يعني الهرم.

والواحدُ منَّا لا يملكُ تغييرَ هذه السُّنَنِ الجاريةِ عليه مِنَ الباري سبحانَهُ، فنحنُ نَرْغَبُ بطولِ فترةِ الشَّبابِ بلْ ببَقائِهَا.

أَلاَ لَيْتَ الشَّبَابَ يَعُودُ يَوْمًا

فَأُخْبِرَهُ بِمَا فَعَلَ الْمَشِيبُ

وقالَ آخرُ:

وَلَّى الشَّبَابُ فَمَالَهُ مِنْ عَوْدَةٍ

وَأَتَى الْمَشِيْبُ فَأَيْنَ مِنْهُ الْمَهْرَبُ؟!

فهلْ نستطيعُ أنْ نُحقِّقَ مثلَ هذه الأمنية؟!

طبعاً لا ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً﴾ وقالَ سبحانَهُ: ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً ﴿٤٣﴾﴾ (فاطر).

فالشبابُ مرحلةُ القوَّةِ والنشاطِ والحماسِ والعَطَاءِ والبناءِ والتَّحَدِّي، وهذه نِعْمَةٌ عظيمةٌ من الباري سبحانَهُ، سَنُسْأَلُ عنها عندَما نَقِفُ بينَ يَدَيِّ اللهِ سبحانَهُ وتعالى.

قالَ ﷺ: «لا تزولُ قَدَمَا ابنِ آدمَ يومَ القِيَامَةِ مِنْ عند رَبِّه، حتى يُسْأَلَ عن خَمْسٍ: عَنْ عُمرِهِ فِيمَ أفناهُ؟ وعَنْ شَبابِهِ فيمَ أبْلاهُ؟ وعَنْ مالِهِ من أينَ اكْتَسَبَهُ وفيمَ أَنْفَقَهُ وماذا عَمِلَ فيما عَلِمَ؟» أخرجَهُ الترمذيُّ، فَمَنْ أعانَهُ اللهُ سُبحانَهُ وَحَفِظَ شَبَابَهُ، وَاسْتَغَلَّهُ بطاعةِ اللهِ ورسولِهِ ﷺ من حِفْظِ كِتَابِ اللَّهِ، والدَّعوةِ إلى الخيرِ والإصلاحِ، وَالتَّمَرُّسِ في أمورِ الدُّنيا المفيدةِ التي تعودُ عليه وعلى أُمَّتِهِ بالخيرِ والقوةِ، فَلَهُ الْبُشْرَى في الدُّنيا وَالأُخْرَى.

قالَ ﷺ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يومَ لاَ ظِلَّ إلاَّ ظِلُّهُ .. وَذَكَرَ منهم- وشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ....» مُسلمٌ عن أبي هريرةَ.

يا لَها من بُشْرَى- شبابَ الإسلامِ- تكونُ في كَنَفِ وَكَرامةِ وَظِلِّ عَرْشِ مَلِكِ

الْمُلوكِ، وَعَلاَّمِ الْغُيُوْبِ الكَرِيْمِ المَنَّانِ، وخَصَّ الشَّابَ بهذِهِ الكرامةِ لكونِهِ مَظَنَّةَ غَلَبَةِ الشَّهوةِ لما فيه مِنْ قُوَّةِ الباعِثِ عَلَى مُتَابَعَةِ الهَوَى فإنَّ مُلازَمَةَ العِبَادَةِ مَعَ ذلكَ أَشَدُّ وَأَدَلُّ على غَلَبَةِ التَّقْوَى، كَمَا قالَ العلماءُ ومَن أَهْدَرَ شَبَابَهُ في المخدراتِ والخُمورِ والجَرْي وراءَ العاهراتِ الفاجراتِ وَضَيَّعَ مَا أَمَرَهُ اللهُ تعالى من الصلواتِ، وبقيةِ الواجباتِ فَسَيَنْدَمُ حِيْنَ لاَ يَنْفَعُ النَّدَمُ!!.

قال تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾ (الزمر).

وقالَ تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً ﴿٢٧﴾ يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلانًا خَلِيلاً ﴿٢٨﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولاً ﴿٢٩﴾ وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾﴾ (الفرقان).

أيُّها المسلمون:

الشَّبابُ عُدَّةُ مُستقبلِ الأُمَّةِ، وسَبَبُ عِزِّها ومَجْدِهَا، مَنْ الذي يُسْهِمُ في بقائِها حيَّةً عزيزةً مُمَكَّنَةً في الأرضِ غيرُهم؟!!.

وَالْمَرْءُ يُحْيِي مَجْدَهُ أَبْنَاؤُهُ

وَيَمُوْتُ آخَرُ وَهُوَ فِي الأَحْيَاءِ

فَعَلَى وُلاةِ أمرِ الشَّبابِ مِنْ مُرَبِّيْنَ وآباءَ وأمهاتٍ أنْ يُضَاعِفُوا جُهُوْدَهُمْ في الاعتناءِ في أمرِ شباب أمة الإسلام وأنْ يَبْحَثُوا أسبابَ انحرافِهم، عن صراطِ اللهِ المستقيمِ وأنْ يَجْتَهِدُوا في وضعِ الحُلولِ المناسبةِ لمشاكِلهم فنحنُ جَميعاً مسؤولون عنهم عندما نقفُ بين يَدَيَ اللَّهِ عزَّ وجلَّ قال تعالى: ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ (الصافات).

وقالَ ﷺ: «كُلُّكُمْ راعٍ، وكُلُّكُمْ مسؤولٌ عنْ رَعِيَّتِهِ، فالإمامُ راعٍ، وهو مسؤولٌ عن رعيتِهِ، والرَّجُلُ راعٍ في أهلِهِ، وهو مسؤولٌ عن رعيتِهِ، والمرأةُ راعيةٌ في بيتِ زوجِهَا، وهي مسؤولةٌ عن رعيتِها، والخادِمُ راعٍ في مالِ سيدِهِ، وهو مسؤولٌ عن رعيَتِهِ، والرجلُ راعٍ في مالِ أبيهِ، وهو مسؤولٌ عنْ رعيَتِهِ، فَكُلُّكُمْ راعٍ، وَكُلُّكُمْ مسؤولٌ عن رعيتِهِ» (أخرجَهُ أحمدُ عن ابن عمر رضيَ اللهُ عنهُ).

أيُّها المسلمون:

إنَّ أسبابَ انحرافِ الشبابِ عَنْ صراطِ اللَّهِ المستقيمِ عديدةٌ منها:

١ ـ ضَعْفُ الإيمانِ والوَازِعِ الدينيِّ، فالإيمانُ الصادقُ، هو الذي يدفعُ صاحِبَهُ إلى طاعةِ اللهِ ورسولِهِ ﷺ وأداءِ حقوقِ العبادِ عليه وعدمِ التقصيرِ في حَقِّهِمْ، كَمَا يَدْعُوْهُ إلى الكَفِّ عن الذنوبِ والخَطايا وَالْمُوْبِقَاتِ.

قالَ تعالى:

﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾

إِلاَّ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ (المؤمنون).

فعلينا أنْ نُهيِّءَ سُبُلَ تقويةِ الإيمانِ لهم، وأنْ ندعوا اللهَ أنْ يملأَ قُلوبَهُمْ إيماناً وتَقْوَى، وأنْ نرعاهم ونُتابِعَ أمرَهم.

ثانياً: قُصورُ بعضِ أولياءِ أمورِ الشبابِ من آباءَ وأمهاتٍ ومُدَرِّسِيْنَ ومدرسات في الجوانبِ التربويةِ.

فمسؤولية الوالدين عظيمة في تربية الأبناء، وصدق شوقي حين قال:

لَيْسَ الْيَتِيْمُ مَنِ انْتَهَى أَبَوَاهُ مِنْ
هَمِّ الْحَيَاةِ وَخَلَّفَاهُ ذَلِيْلاً
إِنَّ الْيَتِيْمَ هُوَ الَّذِي يَلْقَى لَهُ
أُمَّاً تَخَلَّتْ أَوْ أَبَاً مَشْغُوْلاً!!!

فعلى الْمُرَبِّيْنَ منْ آباءَ وأمهاتٍ ومدرسينَ ومدرساتٍ أنْ يَسْتَعِيْنُوا باللَّهِ، ويَقُومُوا بِمُهِمَّتِهِمْ بِجِدٍّ ونَشَاطٍ في غرسِ الْقِيَمِ والأخلاقِ وَالْفَضَائِلِ في نفوسِ الشبابِ وأنْ يُدَرِّبُوْهُمْ على ذلك، فَلَيْسَتْ وَظِيْفَةُ المدرسِ حَشْوَ ذهنِ الطالبِ بالمعلومات فقط.

أيَّتُهَا الأُمُّ:

رَبِّـي وَلِـيْـدَكِ وِفْـقَ الـدِّيْـنِ رَبَّـيْـهِ

فَـالـدِّيْـنُ مِـنْ سَـفَـهِ الإِلْـحَـادِ يَـحْـمِـيْـهِ

فَـلَـقِّـنِـي طِـفْـلَـكِ الإِسْـلاَمَ فَـهُـوَ لَـهُ

كَـالْـمَـنْـهَـلِ الْـعَـذْبِ مَـا يَـنْـفَـكُّ يَـرْوِيْـهِ

وَأَبْـعِـدِيْـهِ عَـنِ الـشَّـيْـطَـانِ يُـفْـتِـنَـهُ

بِـجُـنْـدِهِ الْـكُـثْـرِ فِـي الـدُّنْـيَـا وَيُـغْـوِيْـهِ

وَسَـلِّـحِـيْـهِ بِـمَـا فِـي الـدِّيْـنِ مِـنْ أَدَبٍ

وَمِـنْ مَـحَـجَّـتِـهِ الْـبَـيْـضَـاءَ فَـاسْـقِـيْـهِ

وَعَـلِّـمِـيْـهِ الـتُّـقَـى إِنَّ الـتُّـقَـى سَـنَـدٌ

يَـقِـيْـهِ مِـنْ كُـلِّ أَمْـرٍ سَـوْفَ يُـؤْذِيْـهِ

وَنَـشِّـئِـيْـهِ عَـلَـى الْـكِـتَـابِ وَمِـنْ

آيَـاتِـهِ الْـغُـرِّ يَـا أُخْـتَـاهُ غَـذِّيْـهِ

وَزَوِّدِيْـهِ بِـأَخْـلاَقٍ مُـحَـصَّـنَـةٍ

مِـنَ الـضَّـلاَلَـةِ وَالإِفْـسَـادِ تُـنْـجِـيْـهِ[1]

---

(١) للشاعر محمود صيام .

ثالثاً: دورُ الغزوِ الثقافيُّ في هدمِ الأخلاقِ الإسلاميةِ، والقضاءِ على طاقةِ الشبابِ مِنْ خلالِ ما يَبُثُّهُ من برامجَ هَدَّامَةٍ تُبرزُ رذائلَ المجتمعِ الدوليُّ على أنَّها قِيَمٌ حَضاريةٌ، وتَضيعُ على حسابِها القِيَمُ الإسلاميةُ التي لا غِنَى للأُمَّةِ عَنْها، وتَذوبُ الذاتيةُ الإسلاميةُ لَدَى أفرادِ الأمَّةِ بعامَّةٍ والشبابِ بخاصَّةٍ والذين هُم عُدَّةُ المستقبلِ وقادَةُ الجيلِ القادمِ، فَمَا أسرعَ التقليدَ الأعْمَى للأجانبِ في السُّلوكياتِ دُونَ ميادينِ العُلومِ التكنولوجيةِ التي نحن في حاجةٍ ماسةٍ إليها!!

أيُّها الشبابُ:

لقد حَذَّرَكُمُ اللَّهُ من اتباعِ أهواءِ الذين لا يَعْلَمُوْنَ مِنْ أعداءِ الدِّيْنِ.

﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ (الجاثية).

وقال ﷺ: «مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ» (أبوداودَ عن ابنِ عمرَ رضيَ اللهُ عنهما).

رابعاً: عَدَمُ توجيهِهِم لتفريغِ مَا لَدَيْهِمْ من طاقاتٍ في وَجْهِهَا الصحيحِ، فالشبابُ طَاقَةٌ مُتَفَجِّرَةٌ، وَعَطَاءٌ مُستمرٌ، وتحدٌ للصعابِ. فهذه الطاقةُ المتفجرةُ يجبُ أن تُفرغَ في طاعةِ اللهِ والجهادِ في سبيلِهِ والتَّنافُسِ في ميدانِ عزائمِ الأُمورِ وليسَ في اللهوِ والعَبَثِ!!!.

لقد قصَّ اللهُ لكم ـ يا شبابَ الإسلامِ ـ قِصةَ فِتْيَةِ الكهفِ في كتابِهِ حتَّى تَأْخُذُوا العِظَةَ وَالْعِبْرَةَ، وَتَتَعَلَّمُوا مواطنَ التنافسِ والتَّحَدِي، لقد تَحدَّى فِتيَةُ

الكهفِ المؤمنين عواصفَ الجاهليةِ العاتيةِ، ولَمْ يَخْشَوْا أحداً إلا اللهَ، فَمَدَحَهُمُ اللهُ في كتابِهِ، وأَثْنَى على صَنِيعِهم المحمودِ بكتابٍ يُتْلَى إلى يومِ الدِّيْنِ.

قالَ تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى (١٣) وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا (١٤) هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا (١٥) وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا (١٦)﴾ (الكهف).

أيُّها المُرَبُّوْنَ: لكم قُدْوَةٌ وأُسْوَةٌ برسولِ اللهِ ﷺ في تفريغِ طاقةِ الشبابِ في وجهِها الصحيحِ وإثارةِ التنافُسِ بينَهُم في معالِي الأُمورِ.

انْطَلَقَ رسولُ اللهِ ﷺ وأصحابُهُ حتَّى سَبَقُوا المشركين إلى بَدْرٍ، فَدَنَا المشركونَ، فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «قُومُوا إلى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمواتُ وَالأَرْضُ» قال: يقولُ عُمَيْرُ بنُ الحمامِ الأنصاريُّ رضيَ اللهُ عنهُ: يا رسولَ اللهِ جَنَّةٌ عَرْضُهَا السمواتُ والأرضُ؟ قالَ: «نعمْ» قالَ: بَخٍ بَخٍ؟ فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «مَا يَحْمِلُكَ عَلَى قَوْلِكَ بَخٍ بَخٍ؟» قالَ: لاَ واللهِ يا رسولَ اللهِ إلاَّ رجاءَ أَنْ أكونَ مِنْ أهلِها، قالَ: «فَإِنَّكَ مِنْ أهلِها» فأخرجَ تَمَرَاتٍ من قَرْنِه، فجعلَ يَأْكُلُ مِنْهُنَّ، ثُمَّ قَالَ: لَئِنْ أنَا حَييتُ حتَّى آكُلَ تَمَرَاتِي هذه إنَّها لَحَيَاةٌ طَوِيْلَةٌ، فَرَمَى بما كانَ معَهُ من التمرِ، ثُمَّ قَاتَلَهُمْ حتَّى قُتِلَ، رواهُ مسلمُ.

وكان يقولُ مُرتجِزاً:

رَكْـضَـاً إِلَـى الـلَّـهِ بِـغَـيْـرِ زَادِ
إِلاَّ الـتُّـقَـى وَعَـمَـلِ الْـمَـعَـادِ
وَالـصَّـبْـرِ فِـي الـلَّـهِ عَـلَـى الْـجِـهَـادِ
وَكُـلُّ زَادٍ عُـرْضَـةُ الـنَّـفَـادِ
غَـيْـرُ الـتُّـقَـى وَالْـبِـرِّ وَالـرَّشَـادِ

خامساً: عدمُ تهيئةِ الأجواءِ السليمةِ والبيئاتِ الصالحةِ لهم حتَّى يَتَمَكَّنُوا من الالتزامِ بدينِهِم وقِيَمِهِم، فلا يُنْكِرُ أحدٌ أثرَ وَضَغْطَ الْبِيْئَةِ عَلَى صاحِبِها.

فَمِنَ العوائقِ التي تحولُ بينَ الناسِ والاستجابةِ لطاعةِ اللهِ والاستجابةِ لأنبيائه ضَغْطُ المجتمعِ ومَا هو عليه من عاداتٍ وتقاليد جاهليةٍ قالَ تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ﴾ (لقمان: ٢١)، وقالَ سبحانَهُ: ﴿ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ (الزخرف).

كَمَا مَدَحَ اللهُ عِبادَهُ المؤمنين في اجتنابِهم لبيئاتِ السُّوءِ ﴿ وَالَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴿٧٢﴾ ﴾ (الفرقان)، وذلك لِمَا يعودُ عليهم ذلك بالنفعِ مِنْ سَلامةِ الدينِ وَالْخُلُقِ والأَمانِ من الافْتِتَانِ بما عليه أهلُ الزيغِ والضلالِ.

أيُّها المسلمون: كيفَ يستطيعُ الشابُّ والشابَّةُ الالتزامَ بالدينِ والقيَمِ في ظلِّ بعضِ المجتمعاتِ التي انتشرتْ فيها المخالفاتُ الشرعيةُ من تَعَرِّي النساءِ وتَبَرُّجِهِنَّ وعَرْضِهِنَّ أمامَ الشبابَ في كُلِّ المواطنِ، وهذه أَضَرُّ فتنةٍ تحولُ بينَ الشابِ والتَّدَيُّنِ قال ﷺ: «مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً هِيَ أَضَرُّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ» متفقٌ عليه.

عن عبدالله بن مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «لاَ تَزُوْلُ قَدَمَا ابنِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ، حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ خَمْسٍ: عَنْ عُمُرِهِ فِيْمَ أَفْنَاهُ، وَعَنْ شَبَابِهِ فِيْمَ أَبْلاَهُ،؟ وَعَنْ مَالِهِ مَنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيْمَ أَنْفَقَهُ؟ وَمَاذَا عَمِلَ فِيْمَا عَلِمَ؟» أخرجهُ الترمذيُّ.

سادساً: العَوَائِقُ التي تَحُولُ بينَهم وبينَ إشباعِ حاجاتِهم الإنسانيةِ فهذا يُؤَدِّي كذلك لِضَياعِ الشبابِ، فمثلاً تَأَخُّرُ الكثيرِ منهم في الزواجِ بسببِ عَدَمِ تَوَفُّرِ مؤونةِ الزواجِ من مسكنٍ ووظيفةٍ ونحو ذلك.

وتَفَالِي بعضِ الناسِ بمهورِ بَنَاتِهِمْ وَوَضْعِ غيرِها من العراقيلِ في طريقِهم.

أيُّها المسلمون: لقد حَثَّ نَبِيُّكُمْ ﷺ شَبَابَ الأُمَّةِ علَى الزواجِ الْمُبَكِّرِ وذلك لِمَا فيه من عِفَّةٍ لهم، وشعورٍ بالمسؤوليةِ، وَتَفَرُّغٍ لمعالي الأُمورِ.

قال ﷺ: «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ» (متفقٌ عليه).

وأُذَكِّرُ أولياءَ الفتياتِ الذين يُعَرْقِلُوْنَ زواجَ بناتِهم بسببِ الْمُغَالاةِ في الْمُهُورِ، بقولِ الخليفةِ الراشدِ أبي حفص عمرُ بن الخطابِ رضيَ اللهُ عنهُ: «أَلاَ لاَ تُغَالُوا في صَدُقَاتِ النساءِ. فإنَّها لَوْ كانتْ مَكْرُمَةً في الدُّنيا وتَقْوَى عندَ اللهِ، لكانَ أولى بها رسولُ اللهِ ﷺ مَا عَلِمْتُ أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ نَكَحَ شيئاً من نسائهِ، ولا أَنْكَحَ شيئاً من بناتهِ على أكثرَ من اثْنَتَي عَشْرَةَ أُوقيةً» بما يعادلُ مئة دينارٍ تقريباً.

وهذه النصيحةُ من هذا الخليفةِ الراشدِ مُستقاةٌ من هديِ النبيِّ ﷺ الذي كان يُزَوِّجُ على أَقَلِّ المهورِ.

خطبَ صحابيٌّ من رسولِ اللهِ ﷺ امرأةً فقالَ: يا رسولَ اللهِ زَوِّجْنِيْهَا إنْ لم يكنْ لَكَ بها حاجَة، فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «هلْ عندك من شيءٍ تُصْدُقَهَا إيَّاهُ؟» فقال ما عِنْدي إلا إزاري هذا، فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «إنْ أعطيتَها إيَّاهُ جَلَسْتَ لا إزارَ لك!!، فَالْتَمِسْ شيئاً»، فقالَ: ما أجدُ، قال: فَالْتَمِسْ ولو خَاتماً من حديدٍ، فَالْتَمَسَ فَلَمْ يَجِدْ شيئاً، فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: هل معكَ من القرآنِ شيءٌ؟ قالَ: نَعم، سورةُ كذا، وسورَةُ كذا لِسُوَرٍ سَمَّاها، فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «قَدْ زَوَّجْتُكَهَا بِمَا مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ» (متفقٌ عليه).

الخطبةُ الثانيةُ:

أيُّها المسلمون من أسبابِ انحرافِ شبابِ الأمةِ كذلك:

سابعاً: انبساطُ الدنيا على بعضِ المجتمعاتِ كذلك سببٌ لانحرافِ كثيرٍ من الشبابِ.

فالدُّنيا وشهواتُها وزينتُها عندما تُبْسَطُ على الناسِ دُونَ توجيهٍ سديدٍ تلهيهم وتغرهم وتجرهم إلى التنافسِ فيها، والانشغالِ عن أمورِ الآخرةِ، قال تعالى: ﴿كَلاَّ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ ۝٦﴾، وقالَ تعالى: حاكياً عن قارونَ عندما انخدعَ في دُنياه وغرَّتْهُ: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي﴾ (القصص: ٧٨).

وقال أبوالعَتَاهية شاعر الزهد والحكمة:

إِنَّ الشَّبَابَ وَالْفَرَاغَ وَالجِدَهْ

مَفْسَدَةٌ لِلْمَرْءِ أَيُّ مَفْسَدَهْ

فاحذروا شبابَ الإسلامِ من الدنيا وشهواتِها وزينتِها ولا تَغْتَرُّوا بِمَتَاعِهَا الزائلِ.

قالَ تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ۝٥﴾ (فاطر).

وقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «أبشِروا وأمِّلوا ما يَسُرُّكم، فواللهِ مَا الفقرَ أخشَى عليكم، ولكنِّي أخشَى أن تُبْسَطَ الدنيا عليكم كَمَا بُسِطَتْ على مَنْ كان قَبْلَكُم، فَتَنَافَسُوْهَا كَمَا تَنَافَسُوْهَا، فَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ» متفقٌ عليه.

وعن أبي سعيدٍ الْخُدْرِيِّ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ: جَلَسَ رسولُ اللهِ ﷺ، على المنبرِ، وجلسنا حولَهُ، فقال: «إِنَّ مِمَّا أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي مَا يُفْتَحُ عَلَيْكُمْ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا وَزِيْنَتِهَا» متفقٌ عليه.

أيُّها المسلمون:

اتَّقُوا الله في شبابِ الإسلامِ، فإنَّهم أَمَانَةٌ في أعناقِكم ورَبُّوهُمْ وِفْقَ مَنْهَجِ الكتابِ والسنةِ على طريقةِ سلفِ الأمة رضيَ اللهُ عنهم تَجِدوا فيهم أبطالاً ورِجالاً مُخْلِصِيْنَ، أقوياءَ يَذُوْدُوْنَ عنِ الْحِمَى وَالدِّيْنِ وَالْعِرْضِ:

يَا أُمَّتِي رَبِّي بَنِيْكِ عَلَى تَعَالِيْمِ السَّمَاءْ

وَتَعَهَّدِيْهِم بِالْهُدَى لاَ بِالنَّشِيْدِ أَوِ الْغِنَاءْ

فَالدِّيْنُ يَجْعَلُهُمْ رِجَالاً مُخْلِصِيْنَ وَأَقْوِيَاءْ

يَفْدُوْنَ بِالأَرْوَاحِ هَاتِيْكَ البِلاَدَ وَبِالدِّمَاءْ

وَوَلاؤُهُمْ لِبِلادِهِمْ وَلِدِيْنِهِمْ نِعْمَ الْوَلاَءْ

إِنْ تَفْعَلِي تَجِدِي صَلاحَ الدِّيْنِ يَجْهَرُ بِالنِّدَاءْ

هَيَّا إِلَى الأَقْصَى الْمُبَارَكِ فَالْجَمِيْعُ لَهُ فِدَاءْ

وَالْجُنْدُ جُنْدُ اللَّهِ فِي الْهَيْجَاءِ مَرْفُوْعُ اللِّوَاءْ

بسم الله الرحمن الرحيم

دُوْرُ الْمُجْتَمَعِ بِالتَّصَدِّي لآفَةِ الْمُخَدَّرَاتِ

الخُطبةُ الأولى:

الشبابُ هم عِمَادُ الأُمَّة، وأساسُ نَهْضَتِهَا، وبُنَاةُ حَضَارَتِهَا، وَحُمَاةُ ثُغُوْرِهَا، وَصُنَّاعُ مَجْدِهَا، وَسَبِيْلُ تَقَدُّمِهَا وَرُقِيِّهَا.

وَالْمَرْءُ يُحْيِي مَجْدَهُ أَبْنَاؤُهُ

وَيَمُوْتُ آخَرُ وَهُوَ فِي الأَحْيَاءِ

هُمُ الَّذِيْنَ يَتَحَمَّلُوْنَ الصِّعَابَ، وَيُوَاجِهُوْنَ الْمَخَاطِرَ، وَيَخُوْضُوْنَ الْحُرُوْبَ دِفَاعاً عَنِ الْوَطَنِ، وَذُوْداً عَنِ الْكَرَامَةِ، هُمْ أَتْبَاعُ الرُّسُلِ، وَسِرَاجُ الْحَيَاةِ، وَلَقَدْ أَعْلَى اللَّهُ مَنْزِلَتَهُمْ، وَرَفَعَ مَكَانَتَهُمْ، وَجَعَلَ الصَّالِحِيْنَ مِنْهُمْ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ الْعَرْضِ عَلَيْهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُوْلَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ» وَذَكَرَ مِنْهُمْ: «وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ، وَخَصَّ ﷺ الشابَّ لِكَوْنِهِ مَظِنَّةَ الشهوةِ لِمَا فيهِ مِنْ قُوَّةِ الباعِثِ عَلَى مُتَابَعَةِ الْهَوَى، فَإِنَّ مُلاَزَمَةَ الْعِبَادَةِ مَعَ ذَلِكَ أَشَدُّ وَأَدَلُّ عَلَى التَّقْوَى.

أيُّها المسلمون:

لَقَدْ تَحَدَّثَ القُرآنُ العظيمُ كثيراً عن دَوْرِ الشبابِ في بناءِ الأمةِ، وفي الدِّفَاعِ

عن عَقِيْدَتِهَا، وَالصُّمُوْدِ أمامَ المغرياتِ والشَّهواتِ قالَ تعالى حَاكِياً عن إبراهيمَ عليه السلامُ في دِفَاعِه عن العقيدةِ الْحَقَّةِ وَالتَّصَدِّي لِمَا يُخَالِفُهَا:

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا مَن فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾ ﴾ (الأنبياء).

والشاهدُ بقوله (فَتًى) أي شاباً، فإبراهيمُ عليه الصلاةُ والسلامُ كانَ شاباً غيوراً على عقيدَتِه، موفورَ الْحَمَاسِ، صادقاً مَعَ اللهِ سبحانَهُ.

كَمَا حكى اللهُ تعالى عَنْ يُوْسُفَ النبيِّ الكريمِ الشابِّ عليه السلامُ الَّذي عَمَرَ الإِيْمَانُ قَلْبَهُ، كيفَ وقفَ صامداً كالجبلِ الشامخِ أمامَ إِغْرَاءَاتِ وَدَعْوَةِ امْرَأَةِ العزيزِ للشهوةِ الْمُحَرَّمَةِ قالَ سبحانَهُ: ﴿ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ (يوسف).

وَلَمْ تَكْتَفِ هَذِهِ السَّيِّدَةُ بِمُرَاوَدَتِه، بَلْ أَخَذَتْ تَتَوَعَّدُهُ وَتَتَهَدَّدُهُ بالسِّجنِ إِنْ لَمْ يفعلْ بها مَا تُرِيْدُ، ولكنْ هيهاتَ هيهاتَ أنْ تنالَ مِنْهُ مَا تُرِيْدُ وهُوَ الشابُّ الْمُؤْمِنُ الْعَفِيْفُ الطَّاهِرُ، قَالَ سبحانَهُ:

﴿ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ﴾ (يوسف).

أُنْظُرُوا وَتأَمَّلُوا يا مسلمون، ويا شبابَ الأمة، كيفَ يكونُ الثباتُ أمامَ الْفِتَنِ وأمامَ أَضَرَّ وَأَقْوَى فِتْنَةٍ تَفْتِكُ بالرجالِ إِذَا قَوِيَ الوازِعُ الدينيُّ في القلوبِ والنفوسِ قال ﷺ: «مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ» (أخرجه أحمد وغيره عن أسامة رضيَ اللهُ عنهُ) وقالَ ﷺ: «اتَّقُوا النِّسَاءَ» (أخرجه مسلم عن أبي سعيدٍ رضيَ اللهُ عنهُ).

أيُّها المسلمون:

شَبَابُ أُمَّةِ الإسلامِ أَمَانَةٌ فِي أَعْنَاقِ الْجَمِيعِ، مِنْ وَلاَةٍ وَأُمَّهَاتٍ وَمُدَرِّسِيْنَ وَمُدَرِّسَاتٍ قال تعالى: ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْؤُولُونَ ﴾ (الصافات: ٤).

وقال ﷺ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالإِمَامُ رَاعٍ، وَهُوَ مَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ، وَهُوَ مَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا، وَهِيَ مَسْؤُولةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالْخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ، وَهُوَ مَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي مَالِ أَبِيْهِ، وَهُوَ مَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَكُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ». (أخرجهُ أحمدُ وغيرُهُ عن ابنِ عمرَ رضيَ اللهُ عنهُ).

أيُّها المسلمون:

علينا جميعاً أنْ نَقِفَ وقفةَ رَجُلٍ واحدٍ في حمايةِ شبابِ الأمةِ منَ الأخطارِ التي تَتَهَدَّدَهُمْ، والأخطارُ كثيرةٌ، وَأَدْهَى وَأَمَرُّ هذه الأخطارِ المخدراتُ، هذه الآفَةُ الملعونَةُ، التي تُدَمِّرُ صاحِبَها تدميراً، فلا تُبْقِي فيه خُلُقاً ولا ديناً ولا رُجُولَةً ولا نَخْوَةً ولا عطاءً لنفسه أو لذويه أو لأُمَّتِه، إنَّ هذه الآفةَ الملعونةَ لاَ تُبْقِي وَلاَ تَذَرُ منَ الْقِيَمِ البشريةِ إلا أَتَتْ عليهَا فَدَمَّرَتْهَا، لذلك نَرَى جميعَ المجتمعاتِ البشريةِ تَتَصَدَّى لها.

أيها المسلمون:

آن الأَوَانُ لِيَقُوْمَ كُلٌّ مِنَّا بمسؤوليتِه، لحمايةِ شبابِ الأمةِ من هذه السُّمومِ القاتلةِ.

أيُّها الآباءُ والأمهاتُ:

اغرِسُوا الوازِعَ الدينيَّ في نُفوسِ أبنائِكم، مُروهم بأداءِ الفرائضِ والواجباتِ الدينيةِ، أُنْهُوْهُمْ عن المعاصِي والموبقاتِ، حُثُّوْهُمْ على حُضورِ الْجُمَعِ والجَمَاعاتِ، وَحُضُوْرِ مَجَالِسِ الْعِلْمِ وَالذِّكْرِ، فَأَعْظَمُ وِقَايَةً لَهُمْ مِنَ الْمُخَدِّرَاتِ الْوَازِعُ الدِّيْنِيُّ.

أَيَّتُهَا الأُمُّ الْحَنُوْنَةُ:

رَبِّي وَلِيْدَكِ وِفْقَ الدِّيْنِ رَبِّيْهِ

فَالدِّيْنُ مِنْ سَفَهِ الإِلْحَادِ يَحْمِيْهِ

فَلَقِّنِي طِفْلَكِ الإِسْلاَمَ فَهُوَ لَهُ
كَالْمَنْهَلِ الْعَذْبِ مَا يَنْفَكَّ يَرْوِيْهِ
وَأَبْعِدِيْهِ عَنِ الشَّيْطَانِ يَفْتِنُهُ
بِجُنْدِهِ الْكُفْرِ فِي الدُّنْيَا وَيُغْوِيْهِ
وَسَلِّحِيْهِ بِمَا فِي الدِّيْنِ مِنْ أَدَبٍ
وَمِنْ مَحَجَّتِهِ الْبَيْضَاءَ فَاسْقِيْهِ
وَعَلِّمِيْهِ التُّقَى إِنَّ التُّقَى سَنَدٌ
يَقِيْهِ مِنَ كُلِّ أَمْرٍ سَوْفَ يُؤْذِيْهِ
وَنَشِّئِيْهِ عَلَى هَدْيِ الْكِتَابِ وَمِنْ
آيَاتِهِ الْغُرِّ يَا أُخْتَاهُ غَذِّيْهِ
وَزَوِّدِيْهِ بِأَخْلاَقٍ مُحَصَّنَةٍ
مِنَ الضَّلاَلَةِ وَالإِفْسَادِ تُنْجِيْهِ

أيُّها الآباءُ والأمهاتُ:

تابِعُوا سُلُوْكَ أبنائِكم في البُيُوْتِ، وخارِجِها، وفي المدارسِ والأماكنِ العامةِ، تفقدوا جُلساءَهُم وأصدقاءَهم وحذِّروهم من مُجالَسَةِ رُفَقاءِ السُّوْءِ أهلِ المعاصِي والموبقاتِ والمخدرات وَالْمُسْكِرَاتِ فَأَثَرُ مُجَالَسَةِ هؤلاءِ الأشرارِ عظيمٌ قالَ ﷺ:

«الرَّجُلُ عَلَى دِيْنِ خَلِيْلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلْ» أخرجَهُ أبوداودَ وغيرُهُ عن أبي هريرةَ رَضِيَ اللهُ عنهُ.

وقَالَ ﷺ: «لاَ تُصَاحِبْ إلاَّ مُؤْمِناً، وَلاَ يَأْكُلْ طَعَامَكَ إلاَّ تَقِيٌّ» أخرجَهُ أبوداودَ عن أبي سعيدٍ رضيَ اللهُ عنهُ.

وصدقَ مَنْ قالَ:

عَنْ الْمَرءِ لاَ تَسَلْ وَسَلْ عَنْ قَرِيْنِهِ

فَكُلُّ قَرِيْنٍ بِالْمُقَارِنِ يَقْتَدِي

وقالَ آخرُ:

احْذَرْ مُجَالَسَةَ اللَّئِيْمِ فإنه

يُعْدِي كَمَا يُعْدِي السَّلِيْمَ الأَجْرَبُ

أيُّها الأبُّ:

قُمْ بِمُهِمَّتِكَ في تربيةِ أبنائِكَ، راقبْ، وتابعْ، إنصحْ كنْ قُدوةً لهم، ادْعُ اللهَ لهم بالهِدَايةِ، وإياكَ وَالتَّخَلِّي عنِ ذلكَ فَتَتْرُكَهُمْ أيتاماً وهُمْ أحياءٌ.

وصدقَ شوقي حينَ قالَ:

لَيْسَ الَتِيْمُ مِنِ انْتَهَى أَبَوَاهُ مِنْ

هَمِّ الْحَيَاةِ وَخَلَّفَاهُ ذَلِيْلا

إنَّ الْـيَـتِـيْـمَ هُـوَ الَّـذِي تَـلْـقَـى لَـهُ

أُمَّـاً تَـخَـلَّـتْ أَوْ أَبـاً مَـشْـغُـوْلاً

أيُّها المدرسون وأيَّتُها المدرسات:

حَمَلْتُمْ أمانةً عظيمةً، وهي تربيةُ وَتَنْشَئَةُ الأجيالِ ـ أسألُ اللهَ تعالى ـ أنْ يُعينَكم على حمْلِها على الوجهِ الذي يُرْضِيْهِ ـ فضاعِفُوا جُهودَكم في تربيةِ النَّشْءِ على الْقِيَمِ السَّامِيَةِ، حَذِّرُوا طَلَبَتَكُمْ من هذه السُّمُومِ القَاتِلَةِ الملعونةِ، وذلك في سردِ قِصَصٍ وَمَآسي صَرْعَى الْمُخَدِّرَاتِ، وفي إلقاءِ المحاضَرَاتِ والندوات المفيدَةِ وفي نَشْرِ الكُتَيِّبَاتِ والأشرِطَةِ السمعيةِ والمرئيَّةِ التي تُحَذِّرُ من هذه الآفةِ. تابِعُوا وراقِبُوا سُلوكَ طَلَبَتِكُمْ ـ فَمُهِمَّةُ المدرسِ لا تَنْتَهِي بِخُرُوْجِهِ مِنْ قاعةِ المحاضَرَةِ، وَجِّهُوا الطلبةَ للطريقةِ السليمةِ لاستغلالِ وقتِ الفراغِ، فالفراغُ بابٌ يَلِجُ منهُ الشيطانُ وأعوانُهُ، على الشَّبَابِ فَيُفْسِدُوا عليهم دينَهم وَخُلُقَهُمْ وَمُسْتَقْبَلَهُمْ وصدقَ النبيُّ الكريمُ ﷺ حين قالَ: «نِعْمَتَانِ مَغْبُوْنٌ فِيهِمَا كَثِيْرٌ مِنَ النَّاسِ الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ» أخرجَهُ الشيخانِ عن ابنِ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما.

وقالَ شاعرُ الزُّهدِ والحكمةِ أبو الْعَتَاهِيَّةِ:

إنَّ الـشَّـبَـابَ وَالْـفَـرَاغَ وَالْـجِـدَهْ

مَـفْـسَـدَةٌ لِـلْـمَـرْءِ أَيُّ مَـفْـسَـدَهْ

أيُّها الخُطباءُ وَالوُعَّاظُ والمرشدون وَالدُّعَاةُ:

دَورُكم عظيمٌ في مُكَافَحَةِ المخدِّراتِ، فأنتم القائمون على شأنِ بيوتِ اللهِ

تعالى، التي يؤُمُّهَا جُمهورُ المصلِّين في الجُمَعِ وَالْجَمَاعَاتِ والأعيادِ والمناسَبَاتِ، فَضَاعِفُوا جُهودَكُم في التَّصدِّي لآفةِ الْمُخَدِّرَاتِ، وذلك في بَيَانِ حُكْمِ اللهِ فيها بالدليلِ والبرهانِ وأقوالِ أئمةِ الدِّينِ، اجتَهِدوا على تَقْوِيَةِ الْوَازِعِ الدِّيْنِيِّ في نُفُوسِ الأُمَّةِ، وذلك بتعمير بُيوتِ اللهِ، بِحلَقِ القرآنِ وَالذِّكْرِ وَالْعِلْمِ، فَرِسَالَةُ المسجد وَدَوْرُهُ عظيمٌ في بناءِ الأُمَّةِ وخاصةً الشباب.

أيُّها المسلمون:

عندما هاجرَ النبيُّ ﷺ إلى المدينةِ عاصمةِ دولةِ الإسلامِ، فَأَوَّلُ عَمَلٍ قَامَ بِهِ بناءُ مسجدِهِ الشريفِ، وقامَ بنفسِهِ بِرِسَالَةِ هذا المسجدِ المباركِ فَخَطَبَ فيهِ، وَدَرَّسَ وَذَكَّرَ وَرَبَّى، وأخرجَ جيلاً عَظِيماً من أصحابِهِ يقولُ فيهم ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عنهُ: مَنْ كَانَ مُسْتَنًّا فَلْيَسْتَنَّ بِمَنْ قَدْ مَاتَ، أُولَئِكَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ كَانُوا خيرَ هذهِ الأمةِ، أَبَرَّهَا قُلُوبًا وَأَعْمَقَهَا عِلْمًا، وَأَقَلَّهَا تَكَلُّفًا، قَوْمٌ اخْتَارَهُمُ اللَّهُ لِصُحْبَةِ نَبِيِّهِ ﷺ كانوا على الهُدَى المستقيمِ، واللهِ ربِّ الْكَعْبَةِ.

هذا الجيلُ الطَّيِّبُ، الذي نشرَ الخيرَ والهُدَى والصلاحَ في الْمَعْمُورَةِ، واستفادَ الناسُ من صلاحِهِمْ وَاسْتِقَامَتِهِمْ وَعِلْمِهِم، هذا الجيلُ تَخَرَّجَ مِنْ مسجدِ رسولِ اللهِ ﷺ العامرِ بِحلَقِ القُرآنِ والعِلمِ والذِّكْرِ، وَأُبَشِّرُكُمْ يَا دُعَاةَ الْخَيْرِ وَالْهُدَى وَالصَّلَاحِ بِقَوْلِهِ ﷺ:

عن أبي أُمَامَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عنهُ ـ أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قالَ: «فَضْلُ العَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ» ثُمَّ قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ

السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الْحُوْتَ لَيُصَلُّوْنَ عَلَى مُعَلِّمِي النَّاسَ الْخَيْرِ» رواهُ الترمذيُّ وقال: حديثٌ حسنٌ.

أيُّها القائمون على أَمْنِ المجتمعِ:

إنَّ المسؤوليةَ التي تَقَعُ على كَاهِلِكُمْ عظيمةٌ، فَأَمْنُ المجتمعِ، وَحِفْظُ الشبابِ منَ المخدِّراتِ وغيرِها من الْمُسْكِرَاتِ والآفاتِ أمانةٌ في رِقابِكم ـ أسألُ اللهَ أَنْ يُعِيْنَكُمْ وَأَنْ يُوَفِّقَكُمْ في أداءِ مُهِمَّتِكُمْ على الوجهِ الذي يُرْضِيْهِ ـ فأنتُم ـ أيُّها الأخوةُ ـ عصا السلطانِ التي تحرسُ الدينَ وَالْخُلُقَ وَالأَمْنَ وَإِنَّ اللَّهَ يَزَعُ بِالسُّلْطَانِ مَا لاَ يَزَعُ بِالْقُرْآنِ.

فَتُجَّارُ الْمُخَدِّرَاتِ وَزَبُوْنُهُمْ لاَ يَكْفِي بِرَدْعِهِمْ عَنْ غَيِّهِمْ وَعْظٌ وَلاَ إِرْشَادٌ، أَنَّ الَّذِي يَرْدَعُ هَؤلاءِ ـ بإذنِ اللهِ ـ أنتُم يا رِجالَ الأمنِ، وذلك لِمَا مَكَّنَكُمُ اللَّهُ بِهِ مِنْ قُوَّةٍ وَسُلْطَانٍ.

فَشُدُّوا على هؤلاءِ المجرمِيْنَ، ولا تَأْخُذْكُمْ بِهِم رَأْفَةٌ في دينِ اللهِ تعالى، فَخَطَرُهُم عظيمٌ، وَشَرُّهُمْ مُسْتَطِيْرٌ، وبلاؤهمُ جَسِيمٌ على النفوسِ والدِّينِ والعقلِ والمالِ، والخُلُقِ، وَاحْتَسِبُوا الأجرَ والثوابَ في رَدْعِ هؤلاءِ، فَثَوَابُ مَنْ تَصَدَّى لهمٌ عظيم عندَ اللهِ تعالى.

إنَّ الجُهُوْدَ التي تُبْذَلُ من رجالِ الأمنِ بالتَّصدِّي لِمُكَافَحَةِ الْمُخَدِّرَاتِ لا تُنْكَرُ، وَمَوَاقِفُكم الرجوليةُ بمجاهدةِ هؤلاءِ الأشقياءِ وَتَعَرُّضُكُمْ لمخاطرَ جَسِيْمَةٍ لا يمكنُ أنْ يَنْسَاهَا المجتمعُ فجزاكُمْ اللهُ عنَّا خيرَ الجزاءِ وإلى مَزيدٍ من البذلِ والتضحيةِ والعطاءِ.

أيُّها القائمون على وسائلِ الإعلامِ:

عليكم دَوْرٌ عظيمٌ في حفظِ شبابِ الأمةِ، وتوجيههِم نحوَ العقيدةِ السليمةِ، ومكارمِ الأخلاقِ، وَحمَايَتِهِم من المخاطرِ جميعاً، وعلى الخُصوصِ خَطرُ المخدراتِ الذي يُهَدِّدُ جميعَ المجتمعاتِ الإنسانيةِ، فوسائلُ الإعلامِ الحديثةِ التي ارتبطَ بِهَا الكبيرُ والصغيرُ والذَّكَرُ والأُنْثَى والقاصِي والدَّانِي أثَرُها عظيمٌ على العقيدةِ وَالْخُلُقِ وَالسُّلُوْكِ.

فَأُوْصِيْكُمْ - أيُّها الإخوةُ - بالمزيدِ من البرامجِ التي تَعْتَنِي بأمرِ الشبابِ البرامجِ الطيبةِ الهادفةِ الجذابةِ الحيويةِ التي تَشُدُّ الشبابَ إليها شَداً فَتُؤَثِّرُ فيهم نحوَ الخيرِ والهُدَى والصلاحِ وَتُحَذِّرُهُم من المخاطرِ وخاصةً من خطرِ آفةِ المخدِّراتِ اللعينةِ.

الخُطبةُ الثانيةُ:

أيُّها القائمونَ على جمعياتِ النَّفْعِ الْعَامِّ:

الْعَمَلُ التَّطَوُّعِيُّ إذَا احْتَسَبَ فيه المسلمُ مَا عندَ اللهِ، فهو قُرْبَةٌ إلى اللهِ تعالى، وسببٌ في زيادةِ الإيمانِ، وبركةٌ في المالِ والأبدانِ، وعلينا أنْ نعملَ شَيْئاً في حياتِنا لمعادِنا يومَ الْعَرْضِ على اللهِ تَعَالى - أيها الأحبابُ - جزاكُم اللهُ خيراً على ما تَقومونَ بِهِ وأُوصيكم بمزيدٍ من الاهتمامِ في شَبابِنَا وشَابَّاتِنا، فالهَجْمَةُ التي يَتَعَرَّضُوْنَ لَهَا عَظِيْمَةٌ.

فَسَاهِمُوا في حِفْظِ شبابِ الأمةِ بما مَنَّ اللهُ عليكُم بهِ مِنْ عِلْمٍ وَجَهْدٍ وَطَاقَةٍ.

إنَّ المحاضراتِ، والندواتِ، والدَّوراتِ المختلفةَ، وإصدارَ الكُتيباتِ والنشراتِ التي تعالجُ مشاكلَ الشبابِ، لها أثرٌ طيِّبٌ على النَّشْءِ، والبرامجَ الترفيهيةَ تحتَ مراقبةِ أيْدٍ أمينةٍ لها دَوْرٌ كذلك في حِفْظِ الشبابِ وَعِصْمَتِهِ من الوقوعِ في المسكراتِ والمخدراتِ وغيرِها من الآفاتِ.

أيُّها المسلمون:

كَمْ لهذه المخدراتِ من أضرارٍ، فإنَّها تُحيلُ شبابَنا الناضرِ إلى أعوادٍ ذابلةٍ وهياكلَ عظميةٍ فَتَقْضِي على ثَرْوَتِنا البشريةِ وثَرْوَتِنا الوَطَنيَّةِ وَتَنْقُلُهَا إلى بلادِهم وَتَغْتَالُ عُقُوْلَهُمْ وَمُسْتَقْبَلَهُمْ وَتَتْرُكُهُمْ فِي ضَيَاعٍ.

وكم لها أيضاً من ضحايا، فهؤلاءِ شبابٌ في عُمرِ الزهورِ، يَسْتَهْلِكُوْنَ ما لَدَيْهِمْ من مالٍ فإذا نَفَدَ المالُ باعُوا ما لَدَيْهِمْ مِنْ مَتَاعٍ.

فإذا لم يَجِدُوا ما يَبِيْعُوْنَهُ سَرَقُوا ما تَقَعُ عليه أيديهم، ثم يَتَحَوَّلُوْنَ إلى عصاباتٍ تَسْطُو على البنوكِ والمحلاتِ، وَحَسْبُهم وعيدُ اللهِ لهم بقوله: ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ ﴾ (المائدة:٣٣).

ومن الغريبِ أنَّ مَنْ وقفَ في طريقِهم قَتَلُوْهُ، فَاسْتَحَقُّوا بذلك قَولَ الحقِّ: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا (٩٣) ﴾ (النساء).

وَأَذْكُرْ إليكُم ـ أيُّها المسلمون ـ أَمْثِلَةً مِمَّا تَحْمِلُهُ الصُّحُفُ بينَ الحينِ والحينِ والتي تُدْمِي القلوبَ هَلَعاً وفَزَعاً:

فهذا شابٌّ يَقْتُلُ أباهُ مَنْ أجلِ المالِ. وآخَرُ يَسْتَهِيْنُ بأعراضِ أقربِ الناسِ إليه، ومنهم والعياذُ بالله، من يَقْضِي بقيةَ حياتِه فِي السُّجُوْنِ، أو يموتُ مِنْ جَرَّاءِ جُرْعَةٍ كَبِيْرَةٍ، ومنهم مَنْ يُنْهِي حياتَهُ بالانْتحارِ، ورسولُ الله ﷺ يقولُ: «مَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ يَتَرَدَّى فِيْهَا خَالِداً مُخَلَّداً فِيْهَا أَبَداً» (رواهُ البخاريُّ).

وَمَنِ الْمُسْتَفِيْدُ مِنْ هَذَا كُلِّه؟

أصحابُ الضمائرِ الميتةِ، وَالْخَوَنَةُ الذين يَبِيْعُوْنَ الْوَطَنَ بِأَبْخَسِ الأَثْمَانِ، والاستعمارُ وأذنابُهُ في الدُّوَلِ الإِسْلَامِيَّةِ.

ونسألُ اللهَ السَّلامةَ

بسم الله الرحمن الرحيم

مَكَانَةُ الْقُدْسِ فِي الإِسْلامِ

الخُطبةُ الأُولى:

أيُّها المسلمون: في الإسراءِ والمعراجِ دُرُوْسٌ وَعِبَرٌ، فَمِنْ أعظمِ هذه الدُّرُوْسِ وَالْعِبَرِ، بَيَانُ منزلةِ الْقُدْسِ وَفِلَسْطِيْنَ في الإسلامِ.

أمةَ الإسلامِ: مكانةُ القُدْسِ عندَ المسلمِ السَّوِيِّ عظيمةٌ، فهي قِطعةٌ من قلبِه، وهي تحتلُ المرتبةَ الثالثةَ بعدَ مكةَ والمدينةِ.

فالقدسُ أرضُ الأنبياءِ.

والقُدْسُ حُلْمُ الشُّعراءِ.

والقُدْسُ حِبُ الشُّهَدَاءِ.

والقُدْسُ حُلْمُ الشُّهَدَاءِ.

والقُدْسُ للدُّنيا القَمَرُ.

تعَالَوا أيُّها المسلمونَ أُذَكِّرُكُمْ بِمَنْزِلَةِ القُدْسِ في دينِكُمُ العظيمِ، والذِّكْرى تَنْفَعُ المؤمنينَ، ولعلَّ هذه النُّصوصُ تنفخ في أمةِ الإسلامِ الروحَ لِنَجْدَةِ الْقُدْسِ مِمَّا حَلَّ بِهِ، فَالْقُدْسُ يُدَنَّسُ اليومَ كَمَا قالَ شُعَرَاؤُنَا:

أَللَّهُ أَكْبَرُ يَا سُلاَلَةَ يَعْرُبٍ

بَالَتْ عَلَى حَرَمِ الأُسُوْدِ ثَعَالِبُ

وقالَ آخرُ:

وَالْمَسْجِدُ الأَقْصَى يَئِنُّ
وَلاَ مُغِيْثٌ فِي الأَنَامْ
وَمُقَدَّسَاتُ الْمُسْلِمِيْنَ غَدَتْ
وَلَيْسَ لَهُنَّ حَامْ
فَحَوَافِرُ الْغَازِيْنَ دَاسَتْهَا
بِلاَ أَيَّ اهْتِمَامْ

وقال أيضاً:

وَلْيَعْبَثِ الْخَصْمُ اللَّئِيْمُ
بِكُلِّ سَهْلٍ أَوْ ثَنِيَّةْ
وَالْقُدْسُ تَنْهَشُهَا الذِّئَابُ
بِخِسَّةٍ وَبِلاَ رَوِيَّةْ
وَتَدُوْسُ مَسْرَى الْمُصْطَفَى
عُصَبُ التَّتَارِ الْبَرْبَرِيَّةْ

عبادَ اللهِ: مكانةُ الْقُدْسُ في الشريعةِ عظيمةٌ.

قالَ تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ۝١﴾ (الإسراء).

والمسجدُ الأَقْصى: هو بَيتُ المقدس، الذي هو إيلياء، مَعْدِنُ الأنبياءِ من لَدُنْ إبراهيمَ الخليلِ، لهذا جُمِعُوا للنبي ﷺ هنالك كُلُّهُمْ، فَأَمَّهُمْ في مَحِلَّتِهِمْ ودارِهِم، فدلَّ على أنه هو الإمامُ الأعظمُ، والرئيسُ الْمُقَدَّمُ، صلواتُ اللهِ وسلامُهُ عليهم أجمَعين.

وقَولُهُ سبحانَهُ ﴿الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ وَالْبَرَكَةُ: ثُبوتُ الخيرِ الإلَهِي في الشيءِ، لقدْ بَارَكَ اللَّهُ في أرضِ فِلَسْطِيْنَ بالخِصْبِ والثِّمارِ والأشجارِ والأنهارِ وعُذُوْبَةِ المياهِ والسُّهُوْلِ والجِبَالِ، وأيضاً بالْمَوْقِعِ الاستراتِيْجِيِّ الْهَامِّ، حَيْثُ إنَّ فِلَسْطِيْنَ هي حَلْقَةُ رَبْطِ آسيا بإفريقيا، وهي بَوَّابَةُ العُبورِ التي كان دائماً يَحْرِصُ عليها كُلُّ مَنْ يُحَاوِلُ دُخُولَ أفريقيا أو دُخولَ آسيا من جهةِ أفريقيا، وهي إحْدَى أَقْدَمِ دُولِ العالمِ في الحضاراتِ السابقةِ، قال تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ ﴿٨١﴾﴾ (الأنبياء).

والأرضُ التي باركَ اللهُ فيها في هذه الآيةِ أرضُ فِلَسْطِيْنَ.

والمسْجِدُ الأَقْصى مِنْ أقدمِ المساجدِ، التي أمرَ اللهُ بِبِنَائِهَا لِعِبَادَتِهِ وَتَوْحِيْدِهِ، فَهُوَ وُضِعَ بعدَ المسجدِ الحرامِ بأربعينَ سَنَةً. ويُسَنُّ شَدُّ الرِّحَالِ لِزِيَارَتِهِ، فَعَنْ أبي هريرةَ رضيَ اللَّهُ عنهُ قالَ: قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «لاَ تُشَدُّ الرِّحَالُ إلاَّ إِلَى ثَلاَثَةِ مَسَاجِدَ: الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَمَسْجِدِي هَذَا، وَالْمَسْجِدِ الأَقْصَى» (صحيحُ الجامعِ ٧٢٠٩) أخرجَهُ أحمدُ وغيرهُ عن أبي هريرةَ رضيَ اللَّهُ عنهُ.

وَقَالَ ﷺ: «وَلَنِعْمَ الْمُصَلَّىٰ هُوَ» أخرجَهُ الحاكمُ.

وعنْ أبي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: تَذَاكَرْنَا وَنَحْنُ عندَ رسولِ الله ﷺ أيُّهُمَا أفضَلُ: أَمَسْجِدُ رَسُوْلِ اللَّهِ أَمْ بَيْتُ الْمَقْدِسِ؟ فقالَ رَسُوْلُ اللَّهِ ﷺ: «صَلاَةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا أَفْضَلُ مِنْ أَرْبَعِ صَلَوَاتٍ فِيْهِ، وَلَنِعْمَ الْمُصَلَّىٰ هُوَ، وَلَيُوْشِكَنَّ أَنْ يَكُوْنَ لِلرَّجُلِ مِثْلُ شَطَنِ فَرَسِهِ مِنَ الأَرْضِ، حَيْثُ يَرَى مِنْهُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ الدُّنْيَا جَمِيْعَاً». (أخرجهُ الحَاكِمُ).

فأجرُ الصلاةِ بالمسجدِ الأَقْصَى بِمِئَتَيْنِ وخَمسين صلاةً.

وأرضُ فِلَسْطِيْنَ أَرضٌ مُقَدَّسَةٌ كَمَا وَصَفَهَا مُوسى ـ عليه السلامُ ـ وَنَحْنُ أحقُّ بِمُوسى مِنْ يهودَ، قالَ تعالى حَاكِيَاً عَنْ مُوسى ﷺ: ﴿يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم، ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين﴾ (المائدة).

وفلسطين هي ملجأ الأنبياء عند اشتداد البلاء عليهم من الظالمين، هاجر إليها إبراهيم ولوط من العراق قالَ تعالى: ﴿فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾﴾ (العنكبوت)، وقالَ تَعالى: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ﴾ أي إبراهيم ﴿وَلُوطًا إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾﴾ (الأنبياء)، كذلك هاجرَ إليها مُوسى عليه السلامُ.

جعلَ اللهُ فِلَسْطِيْنَ، وبيتَ المقدسِ خَاصَّةً بوابةَ السَّماءِ عندَمَا طَلَبَ مِنْ نَبِيِّهِ مُحَمَّداً ﷺ الذَّهَابَ إليه، لقدْ كانَ مِنَ الْمُمْكِنِ الصُّعُوْدُ مُبَاشَرَةً مِنْ مَكَّةَ إلى السَّمَاءِ ولكن بِحِكْمَةٍ يَرَاهَا سُبْحَانَهُ جَعَلَ الصُّعُوْدَ «الْمِعْرَاجُ» عَنْ طريقِ بيتِ المقدسِ لِيُؤَكِّدَ لَنَا أَهَمِّيَّةَ بَوَّابَةِ السماءِ التي نُصِبَ فيها الْمِعْرَاجُ، وَهُوَ الدَّرَجُ أَوْ

السَّلَمُ، الذي صَعَدَ عليه النبيُّ ﷺ إلى السماءِ لِيُقَابِلَ مَلِكَ الملوكِ وَعَلاَّمَ الغُيوبِ سُبْحَانَهُ.

بَسَطَتْ الملائكةُ أَجْنِحَتَهَا الدَّائِمَةَ عَلَى بلادِ الشَّامِ. وَفِلَسْطِيْنُ من أَرْضِ الشامِ. عن يزيدَ بنِ ثابتٍ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يَقُوْلُ: «يَا طُوْبَى لِلْشَّامِ»، قَالوا: يا رسولَ اللهِ، وَبِمَ ذلك؟ قالَ: «تِلْكَ مَلاَئِكَةُ اللَّهِ بَاسِطَةٌ أَجْنِحَتَهَا عَلَى الشَّامِ» (أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ).

فَمَلاَئِكَةُ اللهِ سبحانَهُ تَحُفُّ وتُحوطُ أرضَ الشامِ بإنزالِ الْبَرَكَاتِ وَدَفْعِ الْمَهَالِكِ وَالْمُؤْذِيَاتِ.

وعَنْ مَيْمُوْنَةَ بنتِ سَعْدٍ مَولاةِ النبيِّ ﷺ قالتْ: يا نَبِيَّ اللَّهِ، أَفْتِنَا في بيتِ المقدسِ قال: «أَرْضُ الْمَحْشَرِ وَالْمَنْشَرِ» (أخرجَهُ أحمدُ).

فَأَرْضُ فِلِسْطِيْنَ هِيَ أَرْضُ الْمَحْشَرِ وَالْمَنْشَرِ.

هذه هي مَنْزِلَةُ الْقُدْسِ في دينِكم ـ أُمَّةَ الإسلامِ ـ فَلاَ يَحِلُّ التَّفْرِيْطُ فيها، وَعَلَيْنَا بذلِ الغَالِيَ والنفيسَ لإنقاذِها من اليهود، واللَّهُ جلَّ جلالُهُ انْتَدَبَنَا لِذَلِكَ، وحَثَّنَا على الدِّفَاعِ عن المقدساتِ، وَنُصْرَةِ إخوانِنا الذين يَتَعَرَّضُوْنَ لِبَلاءٍ عَظِيْمٍ من اليهودِ، لقد قتلوا الصغارَ والكبارَ ومَلأوا السُّجُوْنَ بالشبابِ وَأَخَذُوا يَسُوْمُوْنَهُمْ أَشَدَّ العذابِ، هَدَمُوا البيوتَ، قَالَ تَعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾ (النساء).

وقالَ سبحانَهُ: ﴿وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ.... ﴾ (الأنفال: ٧٢).

وقالَ ﷺ: «أُنْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمَاً أَوْ مَظْلُومَاً... ونُصْرَةُ الظَّالِمِ بِمَنْعِهِ مِنْ ظُلْمِهِ».

وقالَ ﷺ: «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضَاً» وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعَهُ، أخرجَهُ الشيخان عن أبي مُوسى رضيَ اللهُ عنهُ.

وقال ﷺ: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لاَ يَخُونُهُ وَلاَ يَكْذِبُهُ، وَلاَ يَخْذُلُهُ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ...» أخرجَهُ الترمذيُّ عن أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ.

أُمَّةَ الإسلامِ: أَعْلَمَنَا اللهُ في كِتَابِهِ الكريمِ والنبيُّ ﷺ في سُنَّتِهِ الْمُطَهَّرَةِ بِطِبَاعِ اليهودِ حتَّى نَعْرِفَ كيفَ نَتَعَامَلُ مَعَهُمْ على بصيرَةٍ، فاليهودُ أساؤُوا الأدبَ معَ ربِّهم الَّذي خَلَقَهُمْ، فَنَسَبُوا لَهُ الْوَلَدَ، قالَ تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾ (التوبة: ٣٠)، والَّذي لا يَتَأَدَّبُ مَعَ رَبِّهِ لا يَتَأَدَّبُ مَعَ عبادِهِ، كَمَا وَصَفَ اليهودُ اللَّهَ الكريمَ الْمُنْعِمَ الجوادَ بِالْبُخْلِ، قالَ سبحانَهُ: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ...﴾ (المائدة: ٦٤)، كَمَا وَصَفُوهُ سُبْحَانَهُ بِالْفَقْرِ وهُوَ الْغَنِيُّ عَنْ عبادِهِ ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (١٨١)﴾ (آل عمران) ومِنْ قبائحِهم كذلك قَتْلُ الأنبياءِ.

وَمِنْ دَعْوَاهُمُ الباطلةُ استباحَتُهُم أموالَنا، وَأَنَّهُ لا حَرَجَ عليهم ولا إِثْمَ في

أخذها، قالَ تعالى حاكياً عن هؤلاء الأشقياء: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾ (آل عمران).

لقد عانَى رسولُ الله ﷺ مِنْ غَدْرِهِمْ وَنَقْضِهِمُ الْعُهُودَ مِمَّا حَمَلَهُ على مُحاربَتِهِم والقضاءِ على شرورِهم وخياناتِهم وصدقَ اللهُ تعالى: ﴿الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾﴾ (الأنفال).

عن أنسٍ رضيَ اللهُ عنهُ: أنَّ عبدَالله بن سَلامٍ أتى رسولَ الله ﷺ مَقْدمَهُ إلى المدينةِ، فقالَ: إنِّي سَائلُكَ عن ثلاثٍ لا يَعْلَمُهَا إلاَّ نَبيٌّ: مَا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ؟ وَمَا أَوَّلُ مَا يَأْكُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ وَمِنْ أَيْنَ يُشْبِهُ الْوَلَدُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ؟

فقال: «أخبَرَني بِهِنَّ جبريلُ آنفاً» قالَ: ذاكَ عَدُوُّ اليهودِ من الملائكةِ، قالَ: أمَّا أولُ أشراطِ الساعةِ فنارٌ تَخرجُ مِنَ الْمَشْرِقِ، فَتَحْشُرُ الناسَ إلى الْمَغْرِبِ، وأمَّا أولُ ما يَأْكُلُهُ أهلُ الجنةِ، فَزِيَادَةُ كَبِدِ حُوتٍ، وأمَّا الشَّبَهُ، فإذا سبَقَ ماءُ الرجلِ، نزعَ إليه الولَدُ، وإذا سَبَقَ ماءُ المرأةِ، نَزَعَ إليها» قال: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُوْلُ اللَّهِ.

وقالَ: يا رسولَ اللهِ، إنَّ اليَهُوْدَ قَوْمٌ بُهْتٌ، وإنَّهُمْ إنْ يَعْلَمُوا بِإسلامِي بَهَتُوْنِي، فَأَرْسِلْ إليهم، فَسَلْهُمْ عنِّي.

فأرسلَ إليهم، فقالَ: «أيُّ رجلٍ ابنُ سَلامٍ فيكُم»؟ قالوا: حَبْرُنا، وابنُ حَبْرِنَا، وعَالِمُنا، وابنُ عَالِمِنَا، قال: أرأيتُم إنْ أَسْلَمَ، تُسْلِمُوْنَ»؟ قَالُوا: أَعَاذَهُ اللهُ مِنْ ذَلِكَ. قالَ: فَخَرَجَ عبدُالله، فقالَ: أشْهَدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ، وأنَّ مُحَمَّداً رسولُ الله، فَقَالُوا: شَرُّنا وابنُ شَرِّنا، وجَاهِلُنا وابنُ جَاهِلِنَا، فقالَ: يا رسولَ اللهِ، أَلَمْ أُخْبِرْكَ أَنَّهُمْ قَوْمٌ بُهْتٌ.

أيُّها المسلمون: علينا أنْ نفقهَ هذه النصوصَ ونأخذَ منْها العِظَةَ وَالعِبْرَةَ ونعاملَ هذا الْعَدُوَّ اللَّدُوْدَ الذي لا يَرْقُبُ إلاً ولا ذِمَّةً عَلَى ضَوْئِهَا، فهذا الْعَدُوُّ لا حُدُوْدَ لأَطْمَاعِهِ، ومُخَطَّطَاتُهُ لتدمير أمةِ الإسلامِ عظيمَةٌ ولا يُوْثَقُ بعُهودِهِ ومواثيقِهِ وسلامِهِ المزعومِ.

أيُّها المسلمون: السبيلُ لتحريرِ الْقُدْسِ وَأَرْضِ الإسراءِ أَنْ نُعِدَّ الأُمَّةَ لِفَرِيْضَةِ الجهادِ في سبيلِ اللَّهِ تعالى التي فَرَضَهَا اللَّهُ علينا في كتابِهِ الكريمِ. قالَ سبحانَهُ: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾ (البقرة). وقالَ سبحانَهُ: ﴿وَقَاتِلُوْا الْمُشْرِكِيْنَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُوْنَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِيْنَ﴾ (التوبة).

الخُطبةُ الثانيةُ:

أيُّها المسلمون: «تَرْكُ الْجِهادِ سَبَبُ الذُّلِّ وَالْهَوَانِ، عن ابن عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِيْنَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ وَرَضِيْتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمْ الْجِهَادَ سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلاً لاَ يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِيْنِكُمْ».

أُمَّةَ الإسلامِ: نَيْلُ العِزِّ، وتَطهيرُ الْمُقَدَّسَاتِ والأرضِ لا يكونُ إلا بطريقِ الجهادِ وَأَخْذِ سَبِيْلِ الْقُوَّةِ، وَقَدْ جَرَّبَتِ الأُمَّةُ غيرَ سبيلِ الجهادِ فكانَتْ النتيجةُ مَزِيداً من السُّقُوطِ وَالتَّقَهْقُرِ وَالتَّنَازُلَاتِ، وَصَدَقَ مَنْ قَالَ:

السَّيْفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءً مِنَ الْكُتُبِ

فَمَنْ يُجَدِّدُ هَذَا الْقَوْلَ لِلْعَرَبِ

وَمَنْ يُعَلِّمُهُمْ أَنَّ الْبُطُولَةَ فِي

إِجَادَةِ الطَّعْنِ لاَ فِي جَوْدَةِ الْخُطَبِ

وَأَنَّ دِيْنَهُمُ الْغَلاَّبُ مُنْذُ أَتَى

لَمْ يَقْبَلِ الْعَيْشَ بَيْنَ اللَّهْوِ وَالطَّرَبِ

وَأَنَّ آبَاءَهُمْ سَادُوا الْوَرَى زَمَناً

بِالْكَدِّ وَالْجِدِّ لاَ بِالنَّوْمِ وَاللَّعِبِ

وَأَنَّ شَمْسَ هُدَاهُمْ مُنْذُ أَنْ طَلَعَتْ

عَلَى الْخَلاَئِقِ وَالأَكْوَانِ لَمْ تَغِبِ

وَأَنَّ تَارِيْخَنَا الْوَضَّاءَ قَدْ مَلأَ

الصَّحَائِفَ الغُرَّ بِالأَسْرَارِ وَالْعَجَبِ

وَأَنَّنَا مَا كَتَبْنَاهُ بِأَلْسُنِنَا

بَلْ بِالدِّمَاءِ وَأَقْصَى الْجَهْدِ وَالتَّعَبِ

فَمَنْ يُذَكِّرُ أَبْنَاءَ الْعُرُوْبَةِ وَالْـ

إِسْلاَمِ بِالْعِزِّ وَالإِكْرَامِ وَالْغَلَبِ

وَمَنْ يُزِيْلُ مَا بِأَنْفُسِهِمْ

مِنَ الغَشَاوَةِ وَالأَسْتَارِ والحُجُبِ

وَمَنْ يَقُصُّ عَلَيْهِم مَاضِيَاً عَطِراً

وَمَنْ يُذَكِّرهِمْ بِالفِتْيَةِ النُّجُبِ؟!

هَا أَنَا ذَا أُذَكِّرَ أُمَّةَ الإِسْلامِ بِنَموذجٍ سامٍ من الشبابِ الذين رَبَّاهُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ على البُطُوْلَةِ والتضحيةِ والجِهادِ والتسابُقِ في ميدانِ الوَغَى لِدَحْرِ عَدُوِّ أُمَّةِ الإسلامِ عن الأرضِ وَالْمُقَدَّسَاتِ.

عن سعدِ بن أبي وَقَّاصٍ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قالَ: رأيتُ أخي عُمير بن وقَّاصٍ قَبْلَ أنْ يَعْرِضَنَا رسولُ الله ﷺ يَوْمَ بَدْرٍ يَتَوَارَى، فَقُلْتُ: مَا لك يا أخي؟ قالَ: إنِّي أخافُ أن يَراني رسولُ الله ﷺ فَيَسْتَصْغِرَني فَيَرُدَّني، وأنا أُحِبُّ الخروجَ لعلَّ اللهَ أنْ يَرْزُقَنِي الشهادَةَ، قالَ: فَعُرِضَ على رسولِ الله ﷺ فردَّهُ، فَبَكَى فأجَازَهُ، فكان سَعْدٌ ـ رضيَ اللهُ عنهُ ـ يقولُ: فَكُنْتُ أعقدُ حَمَائِلَ سَيْفِهِ مِنْ صِغَرِهِ، فَقُتِلَ وهو ابنُ ستَّ عشرة سنةً» (نَضْرَةُ النَّعيم ٦ / ٢٤٢٢).

أُمَّةَ الإسلامِ: هكذا يَجِبُ أنْ نُعِدَ الأُمَّةَ على البَذْلِ وَالْعَطَاءِ وَالتَّضْحِيَّةِ وَالتَّسَابُقِ في ساحاتِ الدفاعِ عن الكرامةِ والعِرْضِ والدينِ والمقدساتِ والأرضِ.

وَأُمَّتُنَا فيها الخيرُ وَالْقُدْرَةُ على الْعَطَاءِ، إنَّ هذه الأُمَّةَ التي أَنْجَبَتْ خالدَ بنَ الوليدِ، وأبا عُبَيْدَةَ بن الْجَرَّاحِ، وصلاحَ الدِّيْنِ، قَادِرَةٌ على أنْ تُنْجِبَ في زَمَانِنَا هذا أَبْطَالاً يَذُودونَ عَنِ الحِمَىٰ بإذنِ اللَّهِ.

يَـــا أُمَّـــتِـــي رَبِّـــي بَـــنِـــيْـــكِ
عَـــلَـــى تَـــعَـــالِـــيْـــمِ الـــسَّـــمَـــاءْ
وَتَـــعَـــهَّـــدِيْـــهِـــمْ بِـــالْـــهُـــدَى
لاَ بِـــالـــنَّـــشِـــيْـــدِ أَوِ الْـــغِـــنَـــاءْ
فَـــالـــدِّيْـــنُ يَـــجْـــعَـــلُـــهُـــمْ رِجَـــالاً
مُـــخْـــلِـــصِـــيْـــنَ وَأَقْـــوِيَـــاءْ
يَـــــفْـــــدُوْنَ بِـــــالأَرْوَاحِ
هَـــاتِـــيْـــكَ الْـــبِـــلاَدِ وَبِـــالـــدِّمَـــاءْ
وَوَلاؤُهُـــمْ لِـــبِـــلاَدِهِـــمْ
وَلِـــدِيْـــنِـــهِـــمْ، نِـــعْـــمَ الْـــوَلاَءْ
إِنْ تَـــفْـــعَـــلِـــي تَـــجِـــدِي صَـــلاَحَ
الـــدِّيْـــنِ يَـــجْـــهَـــرُ بِـــالـــنِّـــدَاءْ
هَـــيَّـــا إِلَـــى الأَقْـــصَـــى الْـــمُـــبَـــا
رَكِ فَـــالْـــجَـــمِـــيْـــعُ لَـــهُ فِـــدَاءْ
وَالْـــجُـــنْـــدُ جُـــنْـــدُ الـــلَّـــهِ فِـــي
الْـــهَـــيْـــجَـــاءِ مَـــرْفُـــوْعُ الـــلِّـــوَاءْ

بسم الله الرحمن الرحيم

مِحْنَةُ كُوسوفا وواجبُ النُّصْرَةِ

الخُطبةُ الأولى:

عَجَباً لِلزمانِ في حَالَتَيْهِ
وبلاءٌ دُفِعْتُ مِنْهُ إِلَيْهِ
رُبَّ يَوْمٍ بَكَيْتُ مِنْهُ
فَلَمَّا صِرْتُ في غَيْرِهِ بَكَيْتُ عَلَيْهِ

هذه حالُ أُمَّتِنا ـ إِنَّا للَّهِ وَإِنَّا إليهِ رَاجِعُوْنَ ـ تَتَقَلَّبُ مِنْ كَرْبٍ إلى كَرْبٍ، ومِنْ خَطْبٍ إلى خَطْبٍ.

فَصِرْتُ إِذَا أَصَابَتْنِي سِهَامٌ
تَكَسَّرَتِ النِّصَالُ عَلَى النِّصَالِ

ولم تَتَّعِظْ أُمَّتي ولَمْ تتذكَّرْ، ولَمْ تَأْخُذِ الدُّرُوْسَ وَالْعِبَرَ، فَمِنْ نَكْبَةِ فلسطين السَّلِيْبَةِ، إلَى أَزْمَةِ أَفْغَانِسْتَانَ إلى أَزْمَةِ الْخَلِيْجِ، إلى مِحْنَةِ الْبُوسْنَةِ وَالْهَرْسَكِ، إلى مِحْنَةِ كوسوفا في أرضِ البَلقان، حيث ارتُكِبَتْ أَبْشَعُ جَرَائِمِ الْعَصْرِ فيها، على أيدي هؤلاءِ الحاقِدِيْنِ.

* سَفَكُوا الدَّمَ الْحَرَامَ..

* قَتَلُوا الصِّبْيَةَ الأَبْرِيَاءَ بَعْدَ أَنْ قَطَعُوا أَطْرَافَهُمْ وَرُؤُسَهُمْ أَمَامَ ذَوِيْهِمْ وَرَمَوْهُمْ فِي حَاوِيَاتِ الْقِمَامَةِ!!!.

* قَتَلُوا النِّسَاءَ.

* هَتَكُوا الأَعْرَاضَ!!.

* أَحْرَقُوا الْقُرَى!!.

* شَرَّدُوا آلافَ النَّاسِ مِنْ قُرَاهُمْ!!.

* مَزَّقُوا الهَوِيَّاتِ والْمُسْتَنَدَاتِ مِنْ عُقُودِ الزَّوَاجِ وَوَثَائِقِ الْبُيُوْتِ وَغَيْرِهَا!!.

ومَا فعلَ هؤلاءِ الأشرارُ في كوسوفا يَنْطَبِقُ عليهم تماماً ما قالَهُ الشاعِرُ الذي يَصِفُ ما فعَلَهُ العِدَا في قومِهِ فَأَقُوْلُهَا بِتَصَرُّفٍ:

وَتَبَجَّحَ الْمُتَبَجِّحُوْنَ وَتَلَفَّتُوا يَتَلَمَّظُوْنَ

وَلُعَابُهُمْ يَجْرِي كَأَنَّهُمُ جِيَاعٌ مُرْمِلُوْنَ

لَكِنَّهُمْ غَيْرَ اللَّحُوْمِ الآدِمِيَّةِ يَلْفِظُوْنَ

فَطَعَامُهُمْ جُثَثُ الْعِبَادِ وَغَيْرَهَا لاَ يَأْكُلُوْنَ

وَشَرَابُهُمْ دَمُهَا وَهُمْ غَيْرَ الدِّمَا لاَ يَشْرَبُوْنْ

وَالأَرْضُ مَطْعَمُهُمْ أَسَاسَاً يَسْرِقُوْنَ وَيَنْهَبُوْنْ

وَغَرَامُهُمْ أَنْ يُدْفَنَ الأَحْيَاءُ فِيْهَا أَجْمَعُوْنَ

وَكَأَنَّهُمْ كَانُوا وَغَيْرُهُمُ حَرَامٌ أَنْ يَكُوْنْ!!!

زَحَفُوا إِلَى كُوسوفا أَسْراباً وَهُمْ يَتَدَافَعُوْنْ

وَيُزَمْجِرُوْنَ كَمَا الْوُحُوْشُ الضَّارِيَاتُ وَيَهْجُمُوْنْ

فَيُدَمَّرُوْنَ وَيَسْحَقُوْنَ وَيَذْبَحُوْنَ وَيَقْتُلُوْنْ

وَعَلَى الْجِبَالِ وَفِي الْوِهَادِ تَرَاهُمُ يَتَجَمَّعُوْنْ

وَبِكُلِّ مُنْعَطَفٍ يُقِيْمُوْنَ الْقِلاَعَ أَوِ الْحُصُوْنْ

وَيُعَرْبِدُوْنَ فِي أَرْضِنَا وَبِكُلِّ رِيْعٍ يَعْبَثُوْنْ

هَجَمَتْ وُحُوْشُ الْغَابِ تَفْتِكُ بِالضِّعَافِ الآمِنِيْنْ

وَتَعِيْثُ فِي الأَرْضِ الْفَسَادَ وَتُظْهِرُ الْحِقْدَ الدَّفِيْنْ

يَا لِلشُّيُوْخِ أَوِ الْعَجَائِزِ إِذْ قَضَوْا مُتَحَسِّرِيْنْ

الشَّيْبُ لَمْ يَشْفَعْ لَهُمْ عِنْدَ الْعُتَاةِ الْمُجْرِمِيْنْ

يَا لَلنِّسَاءِ شَهِدْنَ ذَبْحَ بَنَاتِهِنَّ أَوِ الْبَنِيْنْ

وَسَمِعْنَ يَا لِلَّهِ صَيْحَاتِ التَّأَوُّهِ وَالأَنِيْنْ

يَا لِلصِّغَارِ الأَبْرِيَاءِ عَلَى الحِرَابِ مُعَلَّقِيْنْ

تَرْوِي جَمَاجِمُهُمْ عَنِ الْهَمَجِ الْعُتَاةِ الْمُعْتَدِيْنْ

قِصَصاً وَأَخْبَاراً يَشِيْبُ لَهَا الْجَنِيْنْ!!

عِبَادَ اللَّهِ: مَا مَوْقِفُنَا تُجَاهَ هَذِهِ الْمُصِيْبَةِ الْكُبْرَى تُجَاهَ إِخْوَانِنَا فِي كُوسُوفَا؟!.

أخرج مسلمٌ في صحيحه عن المنذرِ بن جريرٍ عن أبيه رضيَ اللهُ عنه قال: كُنَّا عندَ رَسُوْلِ الله ﷺ في صَدْرِ النَّهَارِ، قال: فجاءَهُ قَوْمٌ حُفَاةٌ عُرَاةٌ مُجْتَابِي النِّمَارِ، أَوْ الْعَبَاءِ، مُتَقَلِّدِي السُّيُوْفِ، عَامَّتُهُمْ مِنْ مُضَرَ، بَلْ كُلُّهُمْ مِنْ مُضَرَ، فَتَمَعَّرَ وَجْهُ رَسُوْلِ اللَّهِ ﷺ لَمَّا رَأَى مِنْ الْفَاقَةِ، فَدَخَلَ، ثُمَّ خَرَجَ، فَأَمَرَ بِلالاً فَأَذَّنَ، وَأَقَامَ

فَصَلَّى، ثُمَّ خَطَبَ فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ وقَرأَ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ (الحشر: ١٨).

تَصَدَّقَ رَجُلٌ مِنْ دِيْنَارِهِ مِنْ دِرْهَمِهِ مِنْ ثَوْبِهِ مِنْ صَاعِ بُرِّهِ مِنْ صَاعِ تَمْرِهِ حَتَّى قَالَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، قال: فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ بِصُرَّةٍ كَادَتْ كَفُّهُ تَعْجَزُ عَنْهَا، بَلْ قَدْ عَجَزَتْ، قَالَ: ثُمَّ تَتَابَعَ النَّاسُ حَتَّى رَأَيْتُ كَوْمَيْنِ مِنْ طَعَامٍ وَثِيَابٍ حَتَّى رَأَيْتُ وَجْهَ رَسُوْلِ اللَّهِ ﷺ يَتَهَلَّلُ كَأَنَّهُ مُذْهَبَةٌ، يَسْتَنِيْرُ فَرَحاً وَسُرُوْراً كَأَنَّهُ فِضَّةٌ مُذهبةٌ.

أيُّهَا المسلمون:

تَمَعَّرَ وَجْهُهُ ﷺ لِمَا رَأىٰ بِهِمْ مِنْ فَقْرٍ، فكيفَ لو رَأَى مَا نرى نحنُ من قَتْلٍ وَتَشْرِيْدٍ واغتصابٍ وبلاءٍ يشيبُ من هولِه الوليدُ، في أقليمِ كوسوفا المسلمِ على أيدي هَؤلاءِ الظالمين.

عبادَ اللهِ: إنَّ حَقَّهُمْ عَلَيْنَا أَنْ نَقُوْمَ بِنُصْرَتِهِمْ كَمَا أَمَرَ اللَّهُ تَعَالى:

﴿ وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ... ﴾ (الأنفال: ٧٢).

وقال سبحانه: ﴿ وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ ﴾ (النساء:).

فَنُصْرَةُ المسلمِ لأخيهِ إذا كان في حاجةٍ لهُ منْ واجباتِ الدِّينِ وليسَ من بابِ السُّنَنِ وَالْمُسْتَحَبَّاتِ.

فانصُروهم ـ عبادَ الله ـ بدعائكُم وأموالِكم وبما تَستطيعون استجابةً لأمرِ نبيِّكم ﷺ.

عن أنس ـ رضي اللهُ عنهُ ـ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «انصُرْ أخاكَ ظالماً أو مظلوماً» فقال رجلٌ: يا رسولَ الله أَنْصُرُهُ إذا كان مَظلوماً، أفرأيتَ إذَا كان ظَالماً كيفَ أَنْصُرُهُ؟ قال: «تَحْجِزُهُ أَوْ تَمْنَعُهُ مِنْ الظُّلْمِ، فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ». أخرجهُ البخاريُّ في صحيحه.

وَمَـــا المـــرءُ إلاَّ بِـــإِخْـــوَانِـــهِ
كَـمَـا تَـقْـبِـضُ الْـكَـفُّ بِـالْـمِـعْـصَـمِ
وَلاَ خَـيْـرَ فِـي الْـكَـفِّ مَـقْـطُـوْعَـةً
وَلاَ خَـيْـرَ فِـي الـسَّـاعِـدِ الأَجْـذَامِ

عَنْ أبي هريرةَ ـ رضيَ الله عنهُ ـ قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «مَنْ نَفَّس عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللَّهُ عنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِماً سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ»، إلى آخرِ الحديثِ. أخرجهُ مسلمٌ في صحيحه.

وقال ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤمنينَ في تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ كَالجَسَدِ الْوَاحِدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بالْحُمَّى والسَّهَرِ» أخرجه مُسْلِمٌ وغيرُه عن النعمان بن بشير.

وعن أبي موسى الأشعري ـ رضيَ اللهُ عنهُ ـ: أنَّ رسولَ الله ﷺ قال:

«الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضاً» وشبك بين أصابعه. أخرجه البخاري ومسلمٌ في صحيحيها.

وقال ﷺ: «المسلمُ أخُو المسلمِ، لاَ يَخُوْنُهُ وَلاَ يَكْذِبُهُ وَلاَ يَخْذُلُهُ، كُلُّ المسلمِ على المسلمِ حرامٌ...» أخرجهُ الترمذيُّ عن أبي هريرة رضيَ اللهُ عنهُ.

وعن معاويةَ بن سويدِ بن مقرنٍ، قالَ: دخلتُ على البراءِ بنِ عازبِ فَسَمِعْتُهُ يقولُ: أَمَرَنَا رسولُ اللَّهِ ﷺ بِسَبْعٍ ونهانا عن سَبْعٍ. أمرنا بعيادةِ المريضِ، واتِّباعِ الجنائزِ، وَتَشْمِيْتِ العاطسِ، وَإِبْرَارِ الْقَسَمِ أَوْ الْمُقْسِمِ، وَنَصْرِ المظلومِ، وإجابةِ الدَّاعي» إلى آخر الحديث. أخرجه البخاريُّ ومُسْلِمٌ في صحيحيهما.

عبادَ الله ـ أُخُوَّةُ الإسلامِ ليستْ كلاماً وادِّعاءً.

قال رجلٌ خُزَاعِيٌّ:

وَلَيْسَ أَخِي مَنْ وَدَّنِي بِلِسَانِهِ
وَلَكِنْ أَخِي مَنْ وَدَّنِي فِي النَّوَائِبِ
مَنْ مَالُهُ مَالِي إِذَا كُنْتُ مُعْدَمَاً
وَمَالِي لَهُ إِنْ عَضَّ دَهْرٌ بِغَارِبِ
فَلاَ تَحْمَدْ عِنْدَ الرَّخَاءِ مُؤَاخِيَاً
فَقَدْ تُنْكِرُ الإِخْوَانَ عِنْدَ الْمَصَائِبِ

عن جابر وأبي أيوب الأنصاري ـ رضيَ اللهُ عنهما ـ قالا: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «مَا مِنْ امْرِئٍ يَخْذُلُ مُسْلِماً فِي مَوْطِنٍ يُنْتَقَصُ فِيهِ مِنْ عِرْضِهِ، وَيُنْتَهَكُ فِيهِ

مِنْ حُرْمَتِهِ إلاَّ خَذَلَهُ اللَّهُ فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ فِيهِ نُصْرَتَهُ، وَمَا مِنْ امْرِئٍ، يَنْصُرُ مُسْلِماً فِي مَوْطِنٍ يُنْتَقَصُ فِيهِ مِنْ عِرْضِهِ وَيُنْتَهَكُ فِيهِ مِنْ حُرْمَتِهِ إلاَّ نَصَرَهُ اللَّهُ فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ فِيهِ نُصْرَتَهُ» أخرجه أبو داود وغيره.

الخُطبةُ الثانيةُ:

عبادَ الله : ضَرُورَةُ التَّنَاصُرِ وَأَهَمِّيَّتُهُ :

للتناصرِ أهميةٌ عُظْمَى في حياةِ الأُمَّةِ، وبدونه يُصْبِحُ المجتمعُ الإسلاميُّ مكشوفاً أمامَ أعدائه مُعَرَّضاً للهزيمةِ في كُلِّ وقتٍ وعلى العكسِ من ذلك، فإنَّ التزامَ المجتمعِ بِنَصْرِ الله من ناحيةٍ ونُصْرَةِ بَعْضِهِمُ الْبَعْضَ مِنْ نَاحِيَةٍ أُخْرَ يُؤَدِّي حَتْماً إلى ظَفَرِ المسلمين. إنَّ الأَخْذَ بيدِ المظلومِ، والضَّرْبَ على يدِ الظالمِ يُؤَدِّي إلى نجاةِ المجتمعِ بأسره ووصوله إلى بَرِّ الأمانِ.

إنَّ مَا يَنْطَبِقُ على الأفرادِ فيمَا يتعلقُ بالتناصُرِ ينطبقُ أيضاً على الدُّوَلِ الَّتي تَدِيْنُ بالإسلامِ، فإذا ظُلِمَتْ دَوْلَةٌ وَجَدَتْ منَ الدولِ كافةً مَنْ يُقَدِّمُ لها الْعَوْنَ والمساعدةِ حتَّى يَتَحَقَّقَ لها النصرُ على الْبُغَاةِ والظالمين، وظهورُهم على عدوِّهم تحقيقاً لوعده عزَّ وجلَّ ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ﴾ (الحج: ٤٠).

إنَّ التناصُرَ هو صفةُ المسلمين أفراداً وجماعات ودُولاً، أمَّا أنْ يَنْكَفِي كُلُّ فَردٍ أوْ كلُّ دولةٍ على شأنه الخاصِّ، فإنَّ ذلك كفيلٌ بتَعَرُّضِ الجميعِ للضَّياعِ ولنَ يُفيدَ في هذه الحالةِ أنْ يَتَّصِفَ هذا أو ذاكَ بالإسلامِ، لأنَّ الإسلامَ الحقيقيَّ يَقْتَضي تنفيذَ ما أمرَ اللهُ به، ومِنْ ذلكَ تحقيقُ التَّنَاصُرِ فيما بين المسلمين بعضِهم لبعضٍ من ناحيةٍ وفيما بينهم وبين ربِّهم من ناحيةٍ أخرى.

هُبُّوا أيُّها المسلمون في كُلِّ مكانٍ لِنُصْرَةِ إخوانكم في كُوسوفا بما تستطيعون. حتى تبرأَ ذِمَّتُكُمْ عندما تَقِفُوْنَ بين يَدَيِّ رَبِّكُمْ في يومٍ يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيْباً.

اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الكِتابِ، وَمُجْرِيَ السَّحَابِ، وسريعَ الحسابِ هازِمَ الأحزابِ، اهْزِمْ هؤلاءِ الظالمين، اللَّهُمَّ عليكَ بهم فإنَّهم لا يُعْجِزُوْنَكَ، اللَّهُمَّ خُذْهُمْ أَخْذَ عَزِيْزٍ مُقْتَدِرٍ، اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَداً، وَاقْتُلْهُمْ بَدَداً ولا تُبْقِ منهم أحداً اللَّهُمَّ جَمِّدِ الدِّمَاءَ فِي عُرُوْقِهِم، اللَّهُمَّ زَلْزِلِ الأرضَ من تحتِهم، اللَّهُمَّ انْشُرْ بَيْنَهُمُ الرُّعْبَ والخوفَ والحقدَ والحسدَ، اللَّهُمَّ فَرِّقْ شَمْلَهُمْ، اللَّهُمَّ أَرْسِلْ عليهِم جُنُوْدَكَ يا قويُّ يا عزيزُ.

الفهرس

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٥
التقوى ـ حكمها ـ تعريفها ـ فضلها ـ سبل تحصيلها	٩
الأمانة	١٧
الغدر	٢٦
وقفات مع الوقت	٣٧
ما ورد في ذم الإسراف	٤٤
أحكام يوم الجمعة	٥٣
رمضان شهر الجد والعطاء والبذل	٦٣
الجنة وطلابها	٧٣
موجز من أخبار أبي القاسم ﷺ	٨٢
خيار المؤمنين الأقوياء	٩١
فضل ضعفة المسلمين	١٠٢
الرحمة	١٠٨
أمراض القلوب	١١٣

الزواج فطرة وشريعة ١٢١
كيف حفظت الشريعة الأعراض ١٣٢
الحلول الشرعية لمشاكلنا الأسرية ١٤٧
حسن العشرة يؤدي إلى سعادة الأسرة ١٥٤
انحراف الشباب ـ أسبابه ودواعيه ١٦٦
دور المجتمع بالتصدي لآفة المخدرات ١٧٩
مكانة القدس في الإسلام ١٩١
محنة كوسوفا وواجب النصرة ٢٠٢
الفهرس ٢١٠
صدر للمؤلف ٢١٢

صَدَرَ للمؤلِّفِ

١ ـ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ.

٢ ـ قَوَاعِدٌ وَفَوَائِدٌ مِنَ الأَرْبَعِيْنَ النَّوَوِيَّةِ (تُرْجِمَ إِلَى اللُّغَةِ الإِنْجلِيْزِيَّةِ وَالتُّرْكِيَّةِ).

٣ ـ هِدَايَةُ النَّاسِكِ لأَحْكَامِ الْمَنَاسِكِ.

٤ ـ مُخْتَصَرُ أَحْكَامِ الْحَيْضِ.

٥ ـ سِلْسِلَةُ رَسَائِلِ «بَلِّغُوا عنِّي...».

* مَا يُسْتَفَادُ مِنْ حَادِثِ تَغْيِيْرِ الْقِبْلَةِ.

* دَعْوَةُ لوطٍ عَلَيْهِ السَّلامُ لِقَوْمِهِ.

* الْحُبُّ وَالْبُغْضُ فِي اللَّهِ تَعَالَى.

* الابْتِلاءُ.

* الْعَفْوُ مِنْ مَكَارِمِ الأَخْلاَقِ.

* الظُّلْمُ.

* وَصْفُ الْحُوْرِ الْحِسَانِ.

* ضَوَابِطُ الْعَلاَقَةِ بَيْنَ الْمُسْلِمِ وَالأَجْنَبِيَّةِ.

* إِجَابَاتٌ عَنْ أَسْئِلَةٍ فِقْهِيَّةٍ فِي الصَّلاةِ.

* الْحُقُوْقُ السَّوِيَّةُ لِلْحَيَاةِ الزَّوْجِيَّةِ.

٦ ـ الْقُطُوْفُ الدَّانِيَةُ فِي الأَحَادِيْثِ الثَّمَانِيَّةِ.

٧ ـ شَرْحُ أَحَادِيْثِ الصِّيَامِ. (مِنْ بُلُوْغِ الْمَرَامِ)

٨ ـ التِّبْيَانُ فِي فَضْلِ شَرْحِ أَعْظَمِ آيَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ (آية الكرسي).

٩ ـ تَبْصِرَةُ السَّائِلِ عَنْ مُخْتَلَفِ الْمَسَائِلِ ـ مُجَلَّدَانِ ـ فَتَاوَىٰ.